



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

عَلَّمَ النَّاسَ
مَنْ فَقِرَ النَّهْرَاءُ

الجزء الثاني

المحقق الدكتور الزاهد
السيد محمد الحسيني الشيرازي



دار الفکر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفقه موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي من فقه الزهراء (عليها السلام)

كاتب:

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

نشرت في الطباعة:

موسسة المجتبي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
27	الفقه موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي من فقه الزهراء (عليها السلام) المجلد 2
27	هوية الكتاب
27	اشارة
31	المقدمة
35	خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) في المسجد
90	روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه (عليهم السلام):
90	اشارة
90	استحباب الرواية ووجوبها
90	رواية هذه الخطبة
96	رواية النساء
96	تحمل المميز
98	أنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً
98	اشارة
98	الدفاع عن الولاية
99	الجهر بالحق
100	الاجتماع على الباطل
100	إيذاء أهل البيت (عليهم السلام)
101	حرمة الغضب ومصادرة الأموال
102	الاهتمام بقضية فدك
103	بلغها ذلك
103	اشارة
103	المطالبة بالحق وفضح الطغاة

104	الاتتصار للحق
105	مطالبة المرأة بحقتها
106	التصدي للطغاة مطلقاً
106	فورية المطالبة بالحق
107	لائت
107	اشارة
107	وجوب الستر على المرأة
107	حرمة إظهار الزينة
109	خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها،
109	اشارة
109	استحباب التخمر للمرأة
110	شد الخمار على الرأس
110	امتلاك الخمار
111	التخمر في المنزل
112	لوث الخمار تحت الجلباب
113	تغطية كل الجسد
115	وأقبلت
115	اشارة
115	خروج المرأة من البيت
116	في لمة
116	اشارة
116	خروج المرأة مع غيرها
116	الخروج منفرداً أو مع جماعة
118	من حفدتها ونساء قومها،
118	اشارة

118	الخروج مع المعارف
119	تطاً ذبولها،
119	اشارة
119	الحجاب والسائر
119	عباءة المرأة
119	الستر الفضفاض
119	شدة التستر
120	ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله)
120	اشارة
120	التأسي بالرسول (صلى الله عليه وآله) في كل شيء
121	المشي بسكينة ووقار
122	حتى دخلت
122	اشارة
122	دخول المرأة للمسجد
123	طرح القضايا في المسجد
123	طرح القضايا أمام الناس
124	القضاء في المسجد
127	الاستفادة من مراكز الإعلام
127	الاستفادة من مراكز الإعلام
127	الاستفادة من مراكز الإعلام
128	دخول المرأة في مجمع الرجال
129	على أبي بكر
129	اشارة
129	الضغط مباشرة
130	وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم،

- 130 اشارة
- 130 الفضح على رؤوس الأشهاد.
- 130 إتمام الحجّة على الناس
- 131 المطالبة بالحق بمحضر الغير.
- 131 الجهر بالحق لشتى الطبقات.
- 132 فبيطت دونها ملاءة،
- 132 اشارة
- 132 الساتر بين الرجال والنساء.
- 134 فجلست، ثم أتت أنه،
- 134 اشارة
- 134 الجلوس في المسجد.
- 134 إسماع الصوت للرجال.
- 135 سماع صوت المرأة.
- 135 البكاء على الميت.
- 136 رفع المرأة صوتها بالبكاء.
- 137 البكاء لفقد المعصوم (عليه السلام).
- 137 بكاء المظلوم تظليماً.
- 139 أجهش القوم لها بالبكاء.
- 139 اشارة
- 139 البكاء لبكاء المظلوم.
- 139 البكاء لبكاء المفجوع.
- 141 فارتج المجلس،
- 141 اشارة
- 141 افتتاح الحديث بما يهين النفوس.
- 142 ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم،

- 142 اشارة
- 142 الكلام في أفضل الأحوال
- 143 افتتحت الكلام بحمد الله
- 143 اشارة
- 143 افتتاح الأعمال بذكر الله تعالى
- 144 تعليم الناس على الافتتاح بالحمد
- 144 الافتتاح بذكر الله جهرًا
- 145 تقديم الحمد بعد البسمة
- 146 والثناء عليه، والصلاة على رسوله
- 146 اشارة
- 146 اشتمال الافتتاح على الثناء
- 146 الصلاة على الرسول وآله الأطهار (عليهم السلام)
- 148 فعاد القوم في بكانهم
- 148 اشارة
- 148 تجدد البكاء عند تجدد ذكر الفقيد
- 149 فلما أمسكوا عادت في كلامها،
- 149 اشارة
- 149 عدم قطع بكاء المفجوع
- 149 مراعاة حال المستمع
- 151 فقالت (عليها السلام): «الحمد لله على ما أنعم،
- 151 اشارة
- 151 العودة إلى حمد الله تعالى
- 152 وله الشكر على ما ألهم،
- 152 اشارة
- 152 الشكر لله تعالى

154 والثناء بما قدم،
154 اشارة
154 الثناء على الله تعالى
154 ذكر متعلق الحمد وما يوجبه
155 ذكر الله تعالى وحمده عند تواتر المصائب
156 توجه المظلوم إلى الله تعالى
157 من عموم نعم
157 اشارة
157 إفاضة الخير على الجميع
158 ابتداها،
158 اشارة
158 الابتداء بالنعمة والإحسان
159 وسبوغ آلاء
159 اشارة
159 كمال النعم وتمامها
160 أسداها وتمام منن أولها،
160 اشارة
160 إسداء النعمة
160 توالي إفاضة النعم
162 جم عن الإحصاء عددها،
162 اشارة
162 إظهار العجز عن إحصاء النعم
163 تذكر لا نهائية النعم
164 ونأى عن الجزاء أمدها،
164 اشارة

- 164 عدم إمكان الجزاء على النعم
- 166 وتفاوت عن الإدراك أبعدها،
- 166 إشارة
- 166 العجز عن إدراك النعم
- 168 وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها،
- 168 إشارة
- 168 الاستزادة من النعم
- 168 التحفظ على النعم
- 169 وجوب أصل الشكر وبعض مصاديقه
- 171 واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثى بالندب إلى أمثالها.
- 171 إشارة
- 171 حمد الله واجب أم مستحب
- 175 وأشهد أن لا إله إلا الله
- 175 إشارة
- 175 بحث حول كلمة التوحيد
- 178 وحده لا شريك له،
- 178 إشارة
- 178 وحدانية الله وأحديته
- 179 استحباب التلطف بالشهادة
- 180 التأكيد في الاعتقادات
- 180 استحباب الابتداء بالشهادة
- 181 صبغة الله
- 183 كلمة جعل الإخلاص تأويلها،
- 183 إشارة
- 183 الإخلاص في العقيدة والعمل

187	وضمن القلوب موصولها، وأثار في التفكير معقولها،
187	اشارة
187	توحيد الله في أعماق القلوب
189	الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته،
189	اشارة
189	امتناع رؤية الله تعالى ووصفه
191	ومن الأوهام كفيته،
191	اشارة
191	حرمة التفكير في ذات الله ..
193	ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها،
193	اشارة
193	استحباب التفكير في أفعال الله تعالى
197	كونها بقدرته، وذراها بمشيته،
197	اشارة
197	قدرته تعالى ..
197	مشيته تعالى ..
199	من غير حاجة منه إلى تكوينها،
199	اشارة
199	الغني المطلق ..
199	إفاضة الخير لذاته
201	ولا فائدة له في تصويرها،
201	اشارة
201	الفرق بين الحاجة والفائدة
202	إلا تبييناً لحكمته،
202	اشارة

202	الحكمة الإلهية
202	الإشارة إلى علل الخلق
202	1: تبيين الحكمة وتبتيها
205	وتبتيها على طاعته،
205	اشارة
205	2: الإرشاد إلى طاعته تعالى
207	وإظهاراً لقدرته،
207	اشارة
207	3: إظهار قدرته عزوجل
208	وتعبداً لبريته،
208	اشارة
208	4: التبعيد لله تعالى
209	إظهار العبودية لله تعالى
210	التربية على حالة العبودية
211	حرمة عبادة غير الله
213	وإعزازاً لدعوته،
213	اشارة
213	5: إعزاز الدعوة
214	بيان العلل والأهداف
216	الهدف تكامل الإنسان
217	ثم جعل الثواب على طاعته،
217	اشارة
217	الإثابة على الإطاعة
218	ووضع العقاب على معصيته،
218	اشارة

218	العقاب على مخالفة القانون
221	زيادةً لعباده من نعمته،
221	اشارة
221	حفظ العباد عن التعرض للنقمة الإلهية
223	وحياشئةٌ لهم إلى جنته ،
223	اشارة
223	سوق العباد إلى الجنة
224	التطرق لفلسفة الثراب والعقاب
226	وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله،
226	اشارة
226	الاعتقاد بنبوته (صلى الله عليه وآله)
227	التلفظ بالشهادة الثانية
228	الشهادة بعبوديته (صلى الله عليه وآله) لله تعالى
229	الاعتقاد بالعبودية
230	الشهادة الثانية
230	التصريح بالنسب وإظهاره
231	نشر فضائل الوالدين
233	اختاره قبل أن أرسله،
233	اشارة
233	فضائل الرسول (صلى الله عليه وآله)
233	الاختيار الإلهي للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)
234	مواصفات خاصة للنبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام)
237	مواصفات وكلاء المعصومين (عليهم السلام) وأتباعهم
240	وسماه قبل أن اجتباها،
240	اشارة

- 240 التسمية قبل الولادة
- 241 واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة،
- 241 اشارة
- 241 من فضائله (صلى الله عليه وآله)
- 243 علماً من الله تعالى بمآل الأمور ، وإحاطة بحدوث الدهور، ومعرفة بمواقع الأمور
- 243 اشارة
- 243 علمه تعالى
- 244 ما وصف الله به نفسه
- 246 استحضر إحاطته تعالى
- 246 التبعد المطلق
- 248 ابتعثه الله إتماماً لأمره،
- 248 اشارة
- 248 إتمام الأمر
- 250 وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه،
- 250 اشارة
- 250 تنفيذ حكمه تعالى
- 250 التقدير الإلهي الحتمي
- 253 فرأى الأمم فرقا في أديانها،
- 253 اشارة
- 253 التفرق عن الحق
- 255 الفحص عن حال الأمم
- 256 عكفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها،
- 256 اشارة
- 256 عبادة النيران والأوثان
- 258 منكرة لله مع عرفانها،

258	اشارة
258	إنكار الله رغم معرفته
260	فأنار الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآله) ظلمها،
260	اشارة
260	إنارة الظلم
260	المصباح المنير
261	تفصيل أهداف البعثة
262	المقياس في اتباع الرسول (صلى الله عليه وآله)
263	وكشف عن القلوب بهمها،
263	اشارة
263	توضيح المعضلات
265	وجلى عن الأبصار غممها،
265	اشارة
265	إزاحة الستائر
267	وقام في الناس بالهداية،
267	اشارة
267	الهداية العملية
269	فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية،
269	اشارة
269	الإنقاذ من الغواية
270	التبصير من العماية
271	وهداهم إلى الدين القويم،
271	اشارة
271	الهداية للدين القويم
272	ودعاهم إلى الطريق المستقيم.

- 272 اشارة
- 272 انتهاج الطريق المستقيم
- 274 علي (عليه السلام) هو الصراط المستقيم
- 276 ثم قبضه الله اليه قبض رافة واختيار، ورغبة وإيثار،
- 276 اشارة
- 276 إنك ميت
- 276 رافة الله برسوله (صلى الله عليه وآله) واختياره
- 277 التجب عن القبض بغضب
- 278 رغبته (صلى الله عليه وآله) في لقاء الله تعالى
- 278 الرغبة في ذلك
- 279 التذكير بمناقبه (صلى الله عليه وآله)
- 280 فمحمد (صلى الله عليه وآله) من تعب هذه الدار في راحة،
- 280 اشارة
- 280 تحمل الأذى في سبيل الله
- 284 قد حف بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار،
- 284 اشارة
- 284 التعويض الإلهي
- 285 مجاورة الملك الجبار
- 287 التذكير بمنزلة الأنبياء (عليهم السلام) والمؤمنين في الآخرة
- 287 غفران الخطايا
- 289 صلى الله على أبي،
- 289 اشارة
- 289 الدعاء للأب
- 290 الصلوات على النبي (صلى الله عليه وآله)
- 292 نبيه وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيه،

292	اشارة
292	الأمين المصطفى
292	عصمة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)
293	النبي الأمين (صلى الله عليه وآله)
295	والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.
295	اشارة
295	الدعاء للأولياء والصالحين
298	السلام على الأموات
300	ذكر محاسن الأموات
300	الترحم على الأموات
302	ثم التفتت (عليها السلام) إلى أهل المجلس وقالت: ..
302	اشارة
302	المراد بالالتفات
303	أنتم عباد الله
303	اشارة
303	عباد الله
305	مما ينبغي التذكير به ..
306	نصب أمره ونهيه،
306	اشارة
306	مسؤوليات العباد
306	1: امتثال الأوامر والنواهي ..
307	وحملة دينه ووحيه،
307	اشارة
307	2: حمل راية الدين والوحي
311	وأمناء الله على أنفسكم،

- 311 اشارة
- 311 3: وقاية النفس والانتمان عليها
- 312 مسائل أخرى
- 313 وبلغاه إلى الأمم،
- 313 اشارة
- 313 4: تبليغ وهداية الأمم
- 317 الأجيال القادمة
- 319 زعيم حق له فيكم
- 319 اشارة
- 319 القرآن هو الزعيم
- 321 زعيم حق
- 323 وعهد قدمه إليكم،
- 323 اشارة
- 323 القرآن عهد الهي
- 324 عدم تحريف القرآن
- 331 وبقية استخلفها عليكم
- 331 اشارة
- 331 القرآن خليفة الله في الأرض
- 333 كتاب الله الناطق،
- 333 اشارة
- 333 وصف القرآن بجميل الصفات
- 335 والقرآن الصادق،
- 335 اشارة
- 335 صدق القرآن
- 336 تحري الصدق

339 والنور الساطع، والضياء اللامع،
339 اشارة
339 النور الإلهي
339 القرآن نور وضياء
341 هداية الناس وإرشادهم
343 بينة بصائر، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره،
343 اشارة
343 البصائر البينة
343 حجية ظواهر الكتاب
345 مغتبطة به أشياعه،
345 اشارة
345 من هم أشياع القرآن؟
347 قائداً إلى الرضوان أتباعه،
347 اشارة
347 إتباع تعاليم القرآن
348 حرمة إتباع غير القرآن
348 مسؤوليات القائد
349 مؤدٍ إلى النجاة استماعه،
349 اشارة
349 الاستماع للقرآن الكريم
351 التزاحم بين الاستماع والقراءة
351 توجيه الآخرين نحو الاستماع
353 كراهة الاشغال عن الاستماع
354 التدبر في القرآن الحكيم
356 القراءة بصوت حسن مؤثر

358	به تال حجج الله المنورة،
358	اشارة
358	استخراج الحجج من القرآن
360	وعزائمه المفسرة،
360	اشارة
360	عزائم القرآن و فرائضه
362	ومحارمه المحذرة،
362	اشارة
362	ترك المحرمات
363	التخصص في آيات الأحكام
364	الرجوع إلى المفسرين
365	التحذير من المحرمات
366	وبيئاته الجالية، وبراهينه الكافية
366	اشارة
366	الاعتماد على الأدلة الجلية
368	وفضائله المندوية،
368	اشارة
368	الدعوة إلى الفضائل
369	ورخصه الموهوبة،
369	اشارة
369	التعرف على المباحات
370	شمولية القانون
371	وشرائعه المكتوبة،
371	اشارة
371	القرآن والأحكام الشرعية

371	وجوب التقيد بشرائع الله
373	فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك،
373	إشارة
373	تطهير الباطن
377	علل الأحكام
378	الإيمان بالله
379	هداية المشركين
380	الطهارة من نجاسة الشرك
380	إبلاغ الأحكام
381	التقدم الرتبي للإيمان
382	الكفر كالشرك
382	حكم المتردد والشاك
384	والصلاة تنزيهاً لكم
384	إشارة
384	رجحان الصلاة
384	تنزيه النفس
385	عن الكبير،
385	إشارة
385	التكبير
390	والزكاة تركية للنفس،
390	إشارة
390	الزكاة راجحة مطلقاً
391	تركية النفس
393	ونماء في الرزق،
393	إشارة

393	إنماء الرزق
395	الاهتمام بالأمر الديني
395	الإنفاق
397	والصيام تبييناً للإخلاص،
397	إشارة
397	الصيام وفلسفته
398	الإخلاص في العبادة وغيرها
400	والحج تشييداً للدين
400	إشارة
400	فريضة الحج والأهداف الربانية
402	تشيد الدين
403	والعدل تسيقاً للقلوب
403	إشارة
403	أنواع العدل والظلم
405	من مصاديق العدل ومظاهره
407	تأليف القلوب
409	وطاعتنا نظاماً للملة،
409	إشارة
409	وجوب إطاعة أهل البيت (عليهم السلام)
411	إطاعتهم (عليهم السلام) سبب للنظام
413	حماية حماة الشريعة
415	وإمامتنا أماناً للفرقة
415	إشارة
415	الاعتقاد بالإمامة
416	التفرق عن سبيل الله

416	السعي لتحقيق فعلية حاكميتهم (عليهم السلام)
419	والجهاد عزاً للإسلام
419	اشارة
419	الجهاد في سبيل الله
420	إعزاز الإسلام واجب
421	والصبر معونة على استيجاب الأجر
421	اشارة
421	الصبر
424	السعي لاستحقاق الأجر والثواب
426	والأمر بالمعروف مصلحة للامة،
426	اشارة
426	وجوب الأمر بالمعروف
428	مراعاة المصلحة العامة
430	بيان الأحكام
431	وبر الوالدين وقاية من السخط
431	اشارة
431	البر بالوالدين
432	إسقاط الوالدين
435	وصلة الأرحام منسأة في العمر، ومنمأة للعدد
435	اشارة
435	صلة الأرحام
436	قطع الرحم
437	السعي لطول العمر
439	التكثير في النسل
446	والتقصاص حقناً للدماء،

- 446 اشارة
- 446 حق القصاص
- 447 فلسفة العقوبات الإسلامية
- 449 وجوب حقن الدماء
- 451 والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة
- 451 اشارة
- 451 وجوب الوفاء بالنذر
- 454 التعريض لمغفرة الله
- 455 وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس
- 455 اشارة
- 455 توفية المكيال والميزان
- 457 والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس،
- 457 اشارة
- 457 حرمة شرب الخمر
- 461 المخدرات
- 462 اجتناب الرجس
- 464 واجتناب القذف حجاً عن اللعنة
- 464 اشارة
- 464 حرمة القذف والسب
- 468 الاجتناب عن اللعنة
- 472 وترك السرقة إيجاباً للعفة
- 472 اشارة
- 472 حرمة السرقة
- 472 وجوب التحلي بالعفاف
- 474 وحرّم الله الشرك إخلصاً له بالربوبية

- 474 اشارة
- 474 الشرك الجلي والخي
- 476 ف اتقوا الله حتى تقاتيه
- 476 اشارة
- 476 مراتب التقوى
- 478 الاستزادة من التقوى
- 481 وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
- 481 اشارة
- 481 الموت على الإسلام
- 482 حسن العاقبة
- 483 الاقتباس من الكتاب
- 490 وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه،
- 490 اشارة
- 490 إطاعة الباري تعالى
- 492 فإنه «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»
- 492 اشارة
- 492 الخشية من الله
- 494 التويه بمكانة العلماء
- 497 تعريف مركز

الفقه موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي من فقه الزهراء (عليها السلام) المجلد 2

هوية الكتاب

الفقه موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي من فقه الزهراء (عليها السلام)

المجلد الثاني : خطبتها عليها السلام في المسجد 1

المرجع الديني الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله درجاته)

ص: 1

إشارة

الطبعة الأولى

1439 هـ 2018 م

تهميش وتعليق:

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

كربلاء المقدسة

ص: 2

الفقه

من فقه الزهراء (عليها السلام)

المجلد الثاني

خطبتها عليها السلام في المسجد

القسم الأول

ص: 3

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين

وصلی الله علی محمد وآله الطيبين الطاهرين

ولعنة الله علی أعدائهم أجمعين

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الصِّدِيقَةُ الشَّهِيدَةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الرَّضِیَّةُ الْمَرْضِیَّةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْفَاضِلَةُ الزَّكِيَّةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْحَوْرَاءُ الْإِنْسِيَّةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا النَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْمُحَدَّثَةُ الْعَلِيْمَةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْمَظْلُومَةُ الْمَعْصُوبَةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْمُضْطَهَدَةُ الْمَقْهُورَةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللّٰهِ

وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ

البلد الأمين ص 278. مصباح المتهجد ص 711

بحار الأنوار ج 97 ص 195 ب 12 ح 5 ط بيروت

ص: 4

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة على أعدائهم أجمعين.

وبعد، فإن الدفاع كالهجوم - حقاً كان، كما في الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) والعلماء والصالحين من المؤمنين والمؤمنات.. أم باطلاً، كما في الطغاة والمجرمين - على سبعة أقسام، وإن أمكن التكثير أو التقليل منها بالاعتبارات المختلفة:

الأول: السياسي، بالتحرك وتوجيه الضغوط عبر محاور ومراكز ومؤسسات متخصصة لذلك وما أشبهه، كجعل الشخص المناسب في المكان المناسب، أو التحرك لأجله في الحق وبالعكس في الباطل.

والثاني: الاقتصادي، عبر الدعم المادي - بمختلف صوره - لجهة الحق أو الباطل في الجانبين، أو الحظر الاقتصادي سواء على جبهة الحق، كما في محاصرة أهل مكة لأهل المدينة اقتصادياً، وكما في اغتصاب فدك، وفي عكسه على جبهة الباطل، كما قام به الرسول (صلى الله عليه وآله) بالنسبة إلى بعض القوافل التجارية لقريش

ص: 5

والثالث: الاجتماعي بالمقاطعة الاجتماعية، كما فعله الرسول (صلى الله عليه وآله) (2) «وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلْفُوا» (3)، وكما فعله بنو العباس - بالباطل - مع الأئمة الطاهرين (عليهم السلام).

والرابع: العسكري، بالسلاح، كما في حروب الرسول (صلى الله عليه وآله) الدفاعية - في جانب الحق - وعكسه في القوى المعادية لأهل الحق. والخامس: العاطفي، عبر الندبة والنوح والبكاء، كما قام به أهل البيت والأئمة (عليهم السلام) - في العديد من المواطن - خاصة الإمام السجاد (عليه السلام) بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) (4)، وبذلك تمكنا من إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

والسادس: الثقافي، وذلك عبر القيام بنشر الوعي والعلم والثقافة بمختلف الوسائل، فأهل الحق ينشرون الفضيلة والتقوى والصدق ويقومون بإرشاد الناس للحقائق، وأهل الباطل ينشرون الفساد والكذب والخداع، قال تعالى: «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ» (5).

والسابع: الأجوائي (6) بتهيئة الأجواء الصالحة.. بتزويج الشباب والشابات ومنع المخامر والمقامر والمباغي والملاهي والمراقص، واستبدالها بالبدائل الصالحة

ص: 6

1- راجع حول هذه المباحث كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج 1-2 للإمام المؤلف (قدس سره).

2- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج 2 ص 169-175 غزوة تبوك، تحت عنوان: المتخلفون عن تبوك.

3- سورة التوبة: 118.

4- راجع وسائل الشيعة: ج 3 ص 282 ب 87 ح 3658.

5- سورة الإسراء: 84.

6- قد يكون هذا القسم داخلاً في الدفاع السياسي أو غيره، ولكن ذكره من باب ذكر الخاص بعد العام لأهميته أو لغير ذلك مما هو مذكور في علم البلاغة.

والسليمة، أو الأجواء الفاسدة، كما يفعله المبطلون في كل زمان ومكان. والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) اتخذت أسلوب الدفاع والهجوم، لإحقاق الحق وإبطال الباطل، عبر:

1: العاطفة، كالبكاء ونحوه.

2: الثقافة، كما في خطبتها (عليها السلام) في المسجد، وفي مجمع النساء اللاتي جئن لعيادتها في البيت.

3: المقاطعة الاجتماعية:

في حياتها: حيث لم تأذن للشيخين في زيارتها (1)، وقالت (عليها السلام): «إليكم عني..» (2).

وبعد الوفاة: بالوصية بإخفاء مراسم التشيع والصلاة والدفن وإخفاء القبر الشريف (3).

4: التحرك لأجل إرجاع الحق لأهله عبر الخطبة وتوجيه الضغوط (4) وغيرها (5).

وفيما يلي نذكر خطبة الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بأكملها، مع بعض

ص: 7

1- راجع بحار الأنوار: ج 28 ص 357 ب 4 ح 69 تبين.

2- راجع الاحتجاج: ج 1 ص 109 احتجاج فاطمة الزهراء (عليها السلام) على القوم لما منعوها فدك وقولها لهم عند الوفاة بالإمامة.

3- راجع بحار الأنوار: ج 43 ص 214 ب 7 ضمن ح 44.

4- كما في طوافها (عليها السلام) على الأربعين من الصحابة.

5- وهذا من الدفاع السياسي والأجوائي حسب التقسيم المذكور، وقد يكون اقتصادياً أيضاً بالنسبة إلى مطالبتها (عليها السلام) بفدك، أما الدفاع العسكري فلم يكن ذلك بصالح الإسلام والمسلمين كما وصى بذلك الرسول (صلى الله عليه وآله).

ما يستنبط منها من الفروع والأحكام على النحو الذي فصلناه في مقدمة حديث الكساء(1).

هذا وقد أشرنا إلى بعض أدلة حجية الخطبة في المجلد الأول.

كما ذكرنا بعض ما يدل على كونها (صلوات الله عليها) مفروضة الطاعة على جميع الخلائق حتى الأنبياء (عليهم السلام)(2).

والله الموفق وهو المستعان.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

1414هـ

ص: 8

1- راجع موسوعة الفقه (من فقه الزهراء (عليها السلام)) المجلد الأول.

2- راجع (من فقه الزهراء (عليها السلام)) المجلد الأول.

خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) في المسجد

خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) في المسجد (1)

** احتجاج فاطمة الزهراء (عليها السلام) على القوم لما منعوها فدك (2)

بسم الله الرحمن الرحيم

روى عبد الله بن الحسن، بإسناده عن آبائه (عليهم السلام):

أنه لما أجمع (3) أبو بكر وعمر عليمنع فاطمة (عليها السلام) فدكاً (4)، وبلغها ذلك..

ص: 9

-
- 1- نقلنا هذه الخطبة الشريفة نصاً وتعليقاً من كتاب (عوامل العلوم ومستدركاتهما) مجلد فاطمة الزهراء (عليها السلام) ج 2 ص 652-697 الباب الخامس الحديث الأول، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) قم المقدسة.
 - 2- الاحتجاج للطبرسي: ج 1 ص 97-108، احتجاج فاطمة الزهراء (عليها السلام) على القوم لما منعوها فدك.
 - 3- أجمع أبو بكر وعمر: أي أحكما النية والعزيمة عليه.
 - 4- فدك من الكلمات التي يجوز فيها الصرف ومنع الصرف.

لاث (1) خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها (2)..

وأقبلت في لمة (3) من حفدتها (4) ونساء قومها..

تطأ ذيولها (5)، ما تخرم (6) مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتى دخلت

ص: 10

1- أي عصبتة وجمعتة، يقال: لاث العمامة على رأسه يلوئها لوئاً: أي شدها وربطها.

2- الجلباب، بالكسر: يطلق على الملحفة والرداء والإزار والثوب الواسع للمرأة دون الملحفة والثوب كالمقنعة تغطي بها المرأة رأسها وصدرها وظهرها، والأول أظهر.

3- اللمة - بضم اللام وتخفيف الميم - : الجماعة. قال في النهاية ج 4 ص 273: في حديث فاطمة (عليها السلام): (إنها خرجت في لمة من نسائها تتوطأ ذيلها إلى أبي بكر فعاتبته) أي في جماعة من نسائها. قيل: هي ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقيل: اللمة: المثل في السن والترب. وقال الجوهري في الصحاح: ج 5 ص 2026: الهاء عوض من الهمزة الذاهبة من وسطه، وهو مما أخذت عينه كسر ومد، وأصلها (فعللة) من الملائمة وهي الموافقة. انتهى. ويحتمل أن يكون بتشديد الميم. قال الفيروز آبادي في القاموس: ج 4 ص 177: اللمة بالضم: صاحب والأصحاب في السفر، والمؤنس للواحد والجمع.

4- الحفدة، بالتحريك: الأعوان والخدم.

5- أي كانت أثوابها طويلة تستر قدميها، وتضع عليها قدمها عند المشي، وجمع الذيل باعتبار الأجزاء أو تعدد الثياب.

6- وفي بعض النسخ: من مشي رسول الله (صلى الله عليه وآله). والخرم: الترك والنقص والعدول. والمشية: بالكسر الإسم من مشى يمشي مشياً: أي لم تنقص مشيتها (عليها السلام) من مشيه (صلى الله عليه وآله) شيئاً، كأنه هو بعينه. قال في النهاية: ج 2 ص 27: فيه ما خرمت من صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) شيئاً، أي ما تركت. ومنه الحديث: (لم أخرم عنه حرفاً) أي لم أدع.

على أبي بكر، وهو في حشد (1) من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة (2)، فجلست.. ثم أتت أنه أجهش (3) القوم لها بالبكاء، فارتج (4) المجلس..

ثم أمهلت هنيئة (5)..

ص: 11

1- والحشد، بالفتح وقد يحرك: الجماعة. وفي الكشف: (إن فاطمة (عليها السلام) لما بلغها إجماع أبي بكر على منعها فداً، لاثت خمارها وأقبلت في لميمة من حفدتها ونساء قومها، تجرّ أذراعها، وتطأ في ذيولها، ما تخرم من مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى دخلت على أبي بكر، وقد حشد المهاجرين والأنصار، فضرب بينهم بريطة بيضاء، وقيل: قبطية، فأنت أذّة أجهش القوم لها بالبكاء، ثم أمهلت طويلاً حتى سكنوا من فورتهم، ثم قالت: أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم...).

2- الملاءة، بالضم والمد: الريطة والإزار، ونيطت: بمعنى علقت، أي ضربوا بينها (عليها السلام) وبين القوم سترًا وحجاباً. والريطة بالفتح: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين، أو هي كل ثوب لين رقيق. والقبطية، بالكسر: ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر، وقد يضم لأنهم يغيرون في النسبة. وفي رواية لابن أبي الحديد في شرح النهج، وصاحب كتاب (السقيفة وفدك): (فضرب بينها وبينهم ريطة بيضاء)، وقال بعضهم: قبطية، وقالوا: قُبطية، بالكسر والضم. والريطة: الإزار، والقبطية: ثياب منسوبة إلى القبط. وقال في معجم البلدان: ج4 ص306: القبط، بالكسر ثم السكون: بلاد القبط بالديار المصرية سميت بالجبل الذي كان يسكنه.

3- الجهش: أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء، كالصبي يفزع إلى أمه وقد تهيأ للبكاء، يقال: جهش إليه كمنع وأجهش..

4- الارتجاج: الاضطراب.

5- هنيئة: صبرت زماناً قليلاً.

حتى إذا سكن نشيج (1) القوم، وهدأت فورتهم (2)، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسوله..

فعاد القوم في بكائهم..

فلما أمسكوا، عادت في كلامها، فقالت (عليها السلام):

«الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم (3)، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها (4).. وتمام ممن أولاهها (5).. جم (6) عن الإحصاء عددها..

ونأى عن الجزاء أمدها (7)..

ص: 12

- 1- النشيج: صوت معه توجع وبكاء، كما يردد الصبي بكاءه في صدره.
- 2- وهدأت، كمنعت: أي سكنت. وفورة الشيء: شدته، وفار القدر: أي جاشت.
- 3- أي بنعم أعطاه العباد قبل أن يستحقوها. ويحتمل أن يكون المراد بالتقديم: الإيجاد والفعل من غير ملاحظة معنى الابتداء فيكون تأسيساً.
- 4- السبوغ: الكمال. والآلاء: النعماء، جمع ألى بالفتح والقصر، وقد تكسر الهمزة. وأسدى وأولى وأعطى بمعنى واحد.
- 5- أولاهها: أي تابعها بإعطاء نعمة بعد أخرى بلا فصل.
- 6- وجم الشيء: أي كثر. والجم: الكثير، والتعدية ب (عن) لتضمين معنى التعدي والتجاوز.
- 7- الأمد، بالتحريك: الغاية المنتهى، أي بُعد عن الجزاء بالشكر غايتها. فالمراد بالأمد إما الأمد المفروض، إذ لا أمد لها على الحقيقة، أو الأمد الحقيقي لكل حد من حدودها المفروضة، ويحتمل أن يكون المراد بأمدها: ابتداؤها، وقد مر في كثير من الخطب ما بهذا المعنى. وقال في النهاية: (في حديث الحجاج، قال الحسن: ما أمدك؟ قال: سنتان من خلافة عمر، أراد أنه ولد لسنتين من خلافته، وللإنسان أمدان: مولده وموته) انتهى. وإذا حمل عليه يكون أبلغ، ويحتمل على بُعد أن يقرأ بكسر الميم. قال الفيروز آبادي: الأمد: المملو من خير وشر، والسفينة المشحونة.

وتفاوت عن الإدراك أبدها (1)..

ونديهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها (2)..

واستحمد إلى الخلائق بإجزالها (3)، وثنى بالندب إلى أمثالها (4).

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له..

كلمة جعل الإخلاص تأويلها (5)..

ص: 13

1- التفاوت: البعد. والأبد: الدهر. والدائم: القديم الأزلي، وبُعدَه عن الإدراك لعدم الانتهاء.

2- ونديهم: يقال نديه للأمر، وإليه فانتدب: أي دعاه فأجاب. واللام في قولها (عليها السلام): (لاتصالها) لتعليل الندب، أي رغبهم في استزادة النعمة بسبب الشكر، لتكون نعمة متصلة لهم غير منقطعة عنهم، وجعل اللام الأولى للتعليل، والثانية للصلة. وفي بعض النسخ: (لإفضالها) فيحتمل تعلقه بالشكر.

3- أي طلب منهم الحمد بسبب إجزال النعم وإكمالها عليهم، يقال: أجزلت له من العطاء أي أكثرت. وأجزلك النعم كأنه طلب الحمد أو طلب منهم الحمد حقيقة لإجزال النعم، وعلى التقديرين التعديية يالئ لتضمين معنى الانتهاء، أو التوجه، وهذه التعديية في الحمد شائع بوجه آخر، يقال: أحمد إليك الله، قيل: أي أحمده معك، وقيل: أي أحمد إليك نعمة الله بتحديثك إياها، ويحتمل أن يكون استحمد بمعنى تحمّد، يقال: فلان يتحمّد عليّ، أي يمتنّ، فيكون إلى بمعنى على، وفيه بُعد.

4- أي بعد أن أكمل لهم النعم الدنيوية، نديهم إلى تحصيل أمثالها من النعم الأخروية، أو الأعم منها، ومن مزيد النعم الدنيوية. ويحتمل أن يكون المراد بالندب إلى أمثالها: أمر العباد بالإحسان والمعروف وهو إنعام على المحسن إليه وعلى المحسن أيضاً، لأنه به يصير مستوجباً للأعواض والمثوبات الدنيوية والأخروية.

5- المراد بالإخلاص: جعل الأعمال كلها خالصة لله تعالى وعدم شوب الرياء والأغراض الفاسدة، وعدم التوسل بغيره تعالى - مستقلاً - في شيء من الأمور، فهذا تأويل كلمة التوحيد، لأن من أيقن بأنه الخالق والمدبر، وبأنه لا شريك له في الإلهية، فحق له أن لا يشرك في العبادة غيره، ولا يتوجه في شيء من الأمور إلى غيره.

وضمن القلوب موصولها (1).. وأثار في التفكير معقولها (2)، الممتنع من الأبصار رؤيته (3)، ومن الألسن صفته (4)، ومن الأوهام كفيته.

ابتدع الأشياء لا من شيء (5) كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء (6) أمثلة امتثلها..

ص: 14

1- هذه الفقرة تحتل وجوهاً: الأول: أن الله تعالى ألزم وأوجب على القلوب ما تستلزمه هذه الكلمة من عدم تركبته تعالى وعدم زيادة صفاته الكمالية الموجودة وأشبه ذلك مما يؤول إلى التوحيد. الثاني: أن يكون المعنى جعل ما يصل إليه العقل من تلك الكلمة مدرجا في القلوب بما أراهم من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، أو بما فطرهم عليه من التوحيد. الثالث: أن يكون المعنى لم يكلف العقول الوصول إلى منتهى دقائق كلمة التوحيد وتأويلها، بل إنما كلف عامة القلوب بالإذعان بظاهر معناها وصريح مغزاها وهو المراد بالموصول. الرابع: أن يكون الضمير في (موصولها) راجعا إلى القلوب، أي لم يلزم القلوب إلا ما يمكنها الوصول إليها من تأويل تلك الكلمة الطيبة، والدقائق المستنبطة منها، أو مطلقا. ولولا التفكيك لكان أحسن الوجوه بعد الوجه الأول، بل مطلقا.

2- أي أوضح في الأذهان ما يتعقل من تلك الكلمة، بالتفكر في الدلائل والبراهين، ويحتمل إرجاع الضمير إلى القلوب أو الفكر بصيغة الجمع، أي أوضح بالتفكر ما يعقلها العقول، وهذا يؤيد الوجه الرابع من وجوه الفقرة السابقة.

3- ويمكن أن يقرأ: (الأبصار) بصيغة الجمع والمصدر، والمراد بالرؤية: العلم الكامل والظهور التام.

4- الظاهر أن الصفة هنا مصدر، ويحتمل المعنى المشهور بتقدير.

5- أي بيان صفته. (لا من شيء): أي مادة.

6- احتذى مثاله: اقتدى به، و(امتثلها): أي تبعها. و(لم يتعد عنها): أي لم يخلقها على وفق صنع غيره.

كوّنها بقدرته، وذراها بمشيئته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتاً لحكمته، وتنبهياً (1) على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبداً لبريته (2)، وإعزازاً لدعوته (3)، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة (4) لعباده من نعمته، وحياشة (5) لهم إلى جنته.

وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه (6)، واصطفاه قبل أن ابتعثه..

إذ الخلائق بالغيب مكنونة..

وبستر الأهاويل مصونة (7)، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى

ص: 15

- 1- لأن ذوي العقول يتنبهون بمشاهدة مصنوعاته بأن شكر خالقها والمنعم بها واجب، أو أن خالقها مستحق للعبادة، أو بأن من قدر عليها يقدر على الإعادة والانتقام.
- 2- أي خلق البرية ليتعبدهم، أو خلق الأشياء ليتعبّد البرايا بمعرفته والاستدلال بها عليه.
- 3- أي خلق الأشياء ليغلب ويظهر دعوة الأنبياء (عليهم السلام) إليه بالاستدلال بها.
- 4- الذود والذيادة، بالذال المعجمة: السوق والطرْد والدفع والإبعاد.
- 5- وحشت الصيد أو حشته: إذا جئته من حواليه لتصرفه إلى الجبال، ولعل التعبير بذلك لنفور الناس بطباعهم عما يوجب دخول الجنة.
- 6- في بعض النسخ: (قبل أن اجتبله) الجبل: الخلق، يقال جبلهم الله أي خلقهم، وجبله على الشيء: أي طبعه عليه. ولعل المعنى: أنه تعالى سماه لابتنائه قبل أن يخلقه، ولعل زيادة البناء للمبالغة تنبيهاً على أنه خلق عظيم. وفي بعض النسخ: بالحاء المهملة، يقال اجتبل الصيد: أي أخذه بالحبال، فيكون المراد به الخلق أو البعث مجازاً. وفي بعضها: (قبل أن اجتباه واصطفاه بالبعثة).
- 7- لعل المراد بالستر: ستر العدم، أو حجب الأصلاب والأرحام، ونسبته إلى الأهاويل لما يلحق الأشياء في تلك الأحوال من موانع الوجود وعوائقه. ويحتمل أن يكون المراد: أنها كانت مصونة عن الأهاويل بستر العدم، إذ هي إنما تلحقها بعد الوجود. وقيل: التعبير بالأهاويل من قبيل التعبير عن درجات العدم بالظلمات.

بمآيل الأمور (1)، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع الأمور (2).

ابتعثه الله إتماماً لأمره (3)، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه (4)، فرأى الأمم فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها (5)، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها (6). فأثار الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآله) ظلمها (7)، وكشف عن القلوب بهمها (8)، وجلى عن الأبصار غممها (9)، وقام في الناس بالهداية،

ص: 16

- 1- الأمور، على صيغة الجمع: أي عواقبها. وفي بعض النسخ: بصيغة المفرد
- 2- في بعض النسخ: (ومعرفة بمواقع المقدور) أي لمعرفته تعالى بما يصلح وينبغي من أزمنة الأمور الممكنة المقدورة وأمكنتها، ويحتمل أن يكون المراد بالمقدور: المقدّر، بل هو أظهر.
- 3- أي للحكمة التي خلق الأشياء لأجله.
- 4- الإضافة في (مقادير حتمه) من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة، أي مقاديره المحتومة.
- 5- يقال: عكف على الشيء، كضرب ونصر: أي أقبل عليه مواظباً ولازمه، فهو عاكف، ويجمع على (عُكِّف) بضم العين وفتح الكاف المشددة، كما هو الغالب في فاعل الصفة، نحو شهد وغيّب، و(النيران): جمع نار وهو قياس مطرد في جمع الأجوف، نحو تيجان وجيران.
- 6- لكون معرفته تعالى فطرية، أو لقيام الدلائل الواضحة الدالة على وجوده سبحانه.
- 7- والضمير في (ظلمها) راجع إلى الأمم، والضميران التاليان له يمكن إرجاعهما إليها، وإلى القلوب والأبصار. والظلم، بضم الظاء وفتح اللام: جمع ظلمة، استعيرت هنا للجهاالة.
- 8- البهم: جمع بُهْمَة، بالضم: هي مشكلات الأمور. و(جلوت الأمر): أوضحته وكشفته.
- 9- والغمم: جمع غمّة، يقال: (أمر غمّة) أي مبهم ملتبس. قال الله تعالى: «ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة». قال أبو عبيدة: مجازها ظلمة وضيق، وتقول: غممت الشيء إذا غطيته وسترته، والغمامة: الغواية واللجاج، ذكره الفيروز آبادي.

فأقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار، ورغبة وإيثار(1)، فمحمد (صلى الله عليه وآله) (2) من تعب هذه الدار في راحة، قد حف بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي، نبيه وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيه(3)، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

- ثم التفتت (عليها السلام) إلى أهل المجلس وقالت :- أنتم عباد الله نصب أمره (4) ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاه إلى الأمم(5)..

ص: 17

- 1- واختيار: أي من الله له ما هو خير له، أو باختيار منه (صلى الله عليه وآله) ورضا، وكذا الإيثار، والأول أظهر فيهما.
- 2- لعل الظرف متعلق بالإيثار بتضمين معنى الضنة أو نحوها. وفي بعض النسخ: (بمحمد)، وفي بعض النسخ: (محمد) بدون الباء، فتكون الجملة استئنافية أو مؤكدة للفقرة السابقة أو حالية بتقدير الواو. وفي بعض النسخ القديمة: (فمحمد (صلى الله عليه وآله)) وهو أظهر. وفي رواية كشف الغمة: (رغبته بمحمد (صلى الله عليه وآله) عن تعب هذه الدار). وفي رواية أحمد ابن أبي طاهر: (أبي (صلى الله عليه وآله) عرت هذه الدار) وهو أظهر، ولعل المراد بالدار: دار القرار، ولو كان المراد الدنيا تكون الجملة معترضة.
- 3- في بعض النسخ: (وأمينه على الوحي وصفيه وخيرته من الخلق ورضيه).
- 4- قال الفيروز آبادي: (النصب) بالفتح: العلم المنسوب، ويحرك، (هذا نصب عيني) بالضم والفتح، انتهى. أي نصبكم الله لأوامره ونواهيه وهو خير الضمير، و(عباد الله) منصوب على النداء.
- 5- أي تؤدون الأحكام إلى سائر الناس، لأنكم أدركتم صحبة الرسول (صلى الله عليه وآله).

زعيم حق له فيكم (1).. وعهد قدمه إليكم..

وبقية (2) استخلفها عليكم:

كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائر (3)، منكشفة سرائره (4)، منجلية ظواهره، مغتبطة (5) به أشياعه، قائداً إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه (6)، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه (7) المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية،

ص: 18

1- في بعض النسخ: (وزعمتم حق لكم لله فيكم) أي زعمتم أن ما ذكر ثابت لكم، وتلك الأسماء صادقة عليكم بالاستحقاق، ويمكن أن يقرأ على الماضي المجهول. وفي إيراد لفظ الزعم إشارة بأنهم ليسوا متصفين بها حقيقة، وإنما يدعون ذلك كذبا، ويمكن أن يكون (حق لكم) جملة أخرى مستأنفة، أي زعمتم أنكم كذلك، وكان يحق لكم وينبغي أن تكونوا كذلك لكن قصرتم. وفي بعض النسخ: (وزعمتم حق له فيكم وعهد)، وفي كتاب المناقب القديم: (زعمتم أن لا حق لي فيكم عهداً قدمه إليكم) فيكون (عهدا) منصوبا بأذكروا أو نحوه. وفي الكشف: (إلى الأمم خولكم الله فيكم عهد).

2- عهد وبقية، (العهد): الوصية. و(بقية الرجل): ما يخلفه في أهله. والمراد بهما: القرآن، أو بالأول ما أوصاهم به في أهل بيته وعترته، وبالثاني: القرآن. وفي رواية أحمد ابن أبي طاهر: (وبقية استخلفنا عليكم) ومعناها: كتاب الله، فالمراد بالبقية: أهل البيت (عليهم السلام)، وبالعهد: ما أوصاهم به فيهم.

3- البصائر: جمع بصيرة، وهي الحججة.

4- انكشاف السرائر: وضوحها عند حملة القرآن وأهله.

5- الغبطة: أن يتمنى المرء مثل حال المغبوط من غير أن يريد زوالها منه، تقول: غبطته فاغبتبط. والباء للسببية أي أشياعه مغبوطون بسبب اتباعه، وتلك الفقرة غير موجودة في سائر الروايات.

6- على بناء الإفعال أي تلاوته. وفي بعض نسخ الاحتجاج وسائر الروايات: (احتجاجه).

7- المراد بالعزائم: الفرائض.

وفضائله (1) المندوبة، ورخصه (2) الموهوبة، وشرائعه (3) المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس (4)..

ونماءً في الرزق (5)..

والصيام تثبيتاً للإخلاص (6)، والحج تشييداً للدين (7)، والعدل تنسيقاً

ص: 19

1- المراد بالفضائل: السنن.

2- المراد بالرخص: المباحات، بل ما يشمل المكروهات أيضاً.

3- والشرائع ما سوى ذلك من الأحكام، كالحدود والديات، أو الأعم. أما (الحجج والبيئات والبراهين): فالظاهر أن بعضها مؤكدة لبعض، ويمكن تخصيص كل منها ببعض ما يتعلق بأصول الدين لبعض المناسبات. وفي رواية ابن أبي طاهر: (وبيانه الجالية وجمله الكافية)، فالمراد بالبيئات: المحكمات، وبالجمال: المتشابهات، ووصفها بالكافية لدفع توهم نقص فيه لإجمالها، فإنها كافية فيما أريد منها، ويكفي معرفة الراسخين في العلم بالمقصود منها فإنهم المفسرون لغيرهم. ويحتمل أن يكون المراد بالجمال: العمومات التي يستنبط منها الأحكام الكثيرة.

4- أي من دنس الذنوب، أو من رذيلة البخل، إشارة إلى قوله تعالى: «تطهرهم وتزكهم بها» سورة التوبة: 103.

5- إيماء إلى قوله تعالى: «وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون» سورة الروم: 39، على بعض التفاسير.

6- أي لتشديد الإخلاص وإبقائه، أو للإثباته وبيانه، ويؤيد الأخير أن في بعض الروايات: (تبييناً) وهذا تخصيص الصوم بذلك، لكونه أمراً عديماً لا يظهر لغيره تعالى، فهو أبعد من الرياء وأقرب إلى الإخلاص، وهذا أحد الوجوه في تفسير الحديث المشهور: (الصوم لي وأنا أجزي به).

7- إنما خص التشييد به لظهوره ووضوحه، وتحمل المشاق فيه، وبذل النفس والمال، فالإتيان به أدل دليل على ثبوت الدين، أو يوجب استقرار الدين في النفس، لتلك العلل وغيرها مما لا نعرفه، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما ورد في الأخبار الكثيرة من أن علة الحج: التشرف بخدمة الإمام (عليه السلام) وعرض النصرة عليه وتعلم الشرائع منه، فالتشييد لا يحتاج إلى تكلف. وفي العلل ورواية ابن أبي طاهر: (تسلية للدين) فلعل المعنى تسلية للنفس بتحمل المشاق وبذل الأموال بسبب التقييد بالدين، أو المراد بالتسلية الكشف والإيضاح فإنها كشف لهم، أو المراد بالدين أهل الدين، أو أسند إليه مجازاً، والظاهر أنه تصحيف (تسنيه) وكذا في الكشف وفي بعض نسخ العلل، أي يصير سبباً لرفعة الدين وعلوه.

للقلوب (1)، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً للفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر (2)، والأمر بالمعروف
مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط (3)، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنمأة للعدد (4)..

والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالندر تعريضاً للمغفرة..

وتوفية المكييل والموازين تغييراً للبخس (5)، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس (6)..

ص: 20

1- والتنسيق: التنظيم. وفي العلل: (مسكاً للقلوب) أي ما يمسكها. وفي القاموس: (المسكة، بالضم: ما يتمسك به وما يمسك الأبدان من
الغذاء والشراب، والجمع: مُسك كصرد، والمسك محرّكة: الموضع يمسك الماء). وفي رواية ابن أبي طاهر وكشف الغمة: (تسكا للقلوب)
أي عبادة لها، لأن العدل أمر نفساني يظهر آثاره على الجوارح.

2- إذ به يتم فعل الطاعات وترك السيئات.

3- أي سخطهما، أو سخط الله تعالى، والأول أظهر.

4- المنمأة: اسم مكان أو مصدر ميمي، أي يصير سبباً لكثرة عدد الأولاد والعشائر، كما أن قطعها تذر الديار بلاقع من أهلها.

5- وفي سائر الروايات: (للبخسة) أي لثلا ينقص مال، من ينقص المكيال والميزان، إذ التوفية موجب للبركة وكثرة المال، أو لثلا ينقصوا
أموال الناس فيكون المقصود: إن هذا أمر يحكم العقل بقبحه.

6- أي النجس، أو ما يجب التنزه عنه عقلاً، والأول أوضح في التعليل، فيمكن الاستدلال على نجاستها.

واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة (1)، وترك السرقة إيجاباً لللعنة (2).. وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية، ف «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (3)، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (4).

- ثم قالت: -

أيها الناس، اعلموا أنني فاطمة وأبي محمد (صلى الله عليه وآله)..

أقول عوداً وبدواً (5)..

ولا- أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً (6) «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» (7)..

ص: 21

1- اي لعنة الله، أو لعنة المقذوف أو القاذف، فيرجع إلى الوجه الأخير في السابقة، والأول أظهر، إشارة إلى قوله تعالى: «ولعنوا في الدنيا والآخرة» سورة النور: 23.

2- أي لللعنة عن التصرف في أموال الناس مطلقاً، أو يرجع إلى ما مر، وكذا الفقرة الثانية. وفي (كشف الغمة) بعد قوله لللعنة: (والتنزه عن أكل أموال الأيتام والاستيثار بغيئهم إجارة من الظلم، والعدل في الأحكام إناساً للرعية، والتبري من الشرك إخلاصاً للربوبية).

3- سورة آل عمران: 102.

4- سورة فاطر: 28

5- أي أولاً وآخراً، وفي رواية ابن أبي الحديد وغيره: (أقول عوداً على بدء) والمعنى واحد.

6- والشطط، بالتحريك: البعد عن الحق ومجاوزة الحد في كل شيء.

7- سورة التوبة: 128. (من أنفسكم): أي لم يصبه شيء من ولاية الجاهلية، بل عن نكاح طيب، كما روي عن الصادق (عليه السلام).

وقيل: أي من جنسكم من البشر، ثم من العرب من بني إسماعيل. (عزيز عليه ما عنتم): أي شديد شاق عليه عنتم وما يلحقكم من الضرر،

بترك الإيمان أو مطلقاً. (حريص عليكم): أي على إيمانكم وصلاح شأنكم. (بالمؤمنين رؤوف رحيم): أي رحيم بالمؤمنين منكم ومن

غيركم، والرأفة: شدة الرحمة، والتقديم لرعاية الفواصل. وقيل: رؤوف بالمطيعين، رحيم بالمدنبيين. وقيل: رؤوف بأقربائه، رحيم بأوليائه.

وقيل: رؤوف بمن رآه، رحيم بمن لم يره، فالتقديم للاهتمام بالمتعلق.

فإن تعزوه (1) وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزى (2) إليه (صلى الله عليه وآله).

فبلغ الرسالة صادعاً (3) بالندارة (4).. مائلاً عن مدرجة المشركين (5)، ضارباً ثبجهم..

أخذاً بأكظامهم (6)، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة (7).

ص: 22

- 1- عزوته إلى أبيه: أي نسبته إليه، أي إن ذكرت نسبته وعرفتموه تجدوه أبي وأخا ابن عمي، فالأخوة ذكرت استطراداً، ويمكن أن يكون الانتساب أعم من النسب ومما طرأ أخيراً، ويمكن أن يقرأ (وأخا) بصيغة الماضي، وفي بعض الروايات: (فإن تعزوه وتوقروه).
- 2- المعزى: الانتساب.
- 3- الصدع: الإظهار، تقول: صدعت الشيء أي أظهرته، وصدعت بالحق: إذا تكلمت به جهاراً، قال الله تعالى: «فاصدع بما تؤمر» سورة الحجر: 94.
- 4- والندارة، بالكسر: الإنذار، وهو الإعلام على وجه التخويف.
- 5- والمدرجة: المذهب والمسلك، وفي كشف الغمة: (ناكبا عن سنن مدرجة المشركين). وفي رواية ابن أبي طاهر: (مائلاً عن مدرجة) أي قائماً للرد عليهم، وهو تصحيف.
- 6- الثبج، بالتحريك: وسط الشيء ومعظمه. و(الكظم) بالتحريك: مخرج النفس من الحلق، أي كان (صلى الله عليه وآله) لا يبالي بكثرة المشركين واجتماعهم ولا يداريهم في الدعوة.
- 7- كما أمره سبحانه بقوله: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» وقيل المراد بالحكمة: البراهين القاطعة وهي للخواص، وبالموعظة الحسنة: الخطابات المقنعة والعبر النافعة وهي للعوام، وبالمجادلة التي هي أحسن: إلزام المعاندين والجاحدين بالمقدمات المشهورة والمسلمة، وأما المغالطات والشعريات فلا يناسب درجة أصحاب النبوات.

يجف الأصنام، وينكث الهام(1)، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه(2)، ونطق زعيم الدين(3)، وخرستشقاشق الشياطين(4)، وطاح وشيظ النفاق(5)، وانحلت عقد الكفر

ص: 23

1- في بعض النسخ: (يكسر الأصنام وينكث الهام)، النكث إلقاء الرجل على رأسه، يقال: طعنه فنكثه، و(الهام): جمع الهامة بالتخفيف فيهما وهي الرأس، والمراد قتل رؤساء المشركين وقمعهم وإذلالهم والمشركين مطلقاً. وقيل: أريد به إلقاء الأصنام على رؤوسها، ولا يخفى بعده لا سيما بالنظر إلى ما بعده، وفي بعض النسخ: (ينكس الهام) وفي الكشف وغيره: (يجذ الأصنام) من قولهم: جذذت الشيء أي كسرتة، ومنه قوله تعالى: «وجعلهم جذاذا» سورة الأنبياء: 58.

2- أي كشف الغطاء عن محضه وخالصه، والواو مكان (حتى) كما في رواية ابن أبي طاهر: (أظهره). و(تفرى الليل): أي انشق حتى ظهر ضوء الصباح. و(أسفر الحق) ويقال أسفر الصبح: أي أضاء.

3- زعيم القوم: سيدهم والمتكلم عنهم، والزعيم أيضاً: الكفيل، والإضافة لامية ويحتمل البيانية.

4- خرس بكسر الراء، و(الشقاشق): جمع شقشقة بالكسر، وهي شيء كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب: ذو شقشقة فإنما يشبه بالفحل، وإسناد الخرس إلى الشقاشق مجازي.

5- طاح فلان يطوح: إذا هلك أو أشرف على الهلاك وتاه في الأرض وسقط. و(الوشيظ) بالمعجمتين: الرذل والسفلة من الناس، ومنه قولهم: (إياكم والوشايظ)، وقال الجوهرى: الوشيظ: لفيف من الناس ليس أصلهم واحد، أو بنو فلان وشيظة في قومهم، أي هم حشو فيهم. و(الوسيط) بالمهملتين: أشرف القوم نسباً وأرفعهم محلاً، وكذا في بعض النسخ، وهو أيضاً مناسب.

والشقاق، وفهتَم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص(1)، وكنتم على شفاحفرة من النار(2)، مذقة الشارب، ونهزة الطامع(3)، وقبسة العجلان(4)، وموطئ الأقدام(5)، تشربون الطرق، وتقتاتون القد(6)، أذلة خاسئين، تخافون

ص: 24

1- يقال: فاه فلان بالكلام كقال أي لفظ به كتفوه، وكلمة الإخلاص: كلمة التوحيد، وفيه تعريض بأنه لم يكن إيمانهم عن قلوبهم. و(البيض): جمع أبيض، وهو من الناس خلاف الأسود. و(الخماص) بالكسر: جمع خميص، و(الخماصة): تطلق على دقة البطن خلقة وعلى خلوه من الطعام، يقال: فلان خميص البطن من أموال الناس، أي عفيف منها، وفي الحديث: (كالطير تغدو خماصا وتروح بطانا) والمراد بالبيض الخماص: إما أهل البيت (عليهم السلام) ويؤيده ما في كشف الغمة: (في نفر من البيض الخماص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا). ووصفهم بالبيض، لبياض وجوههم، أو هو من قبيل وصف الرجل بالأغر، وبالخماص لكونهم ضامري البطون بالصوم وقلة الأكل، أو لعفتهم عن أكل أموال الناس بالباطل، أو المراد بهم من آمن من العجم كسلمان (رضوان الله عليه) وغيره، يقال لأهل فارس بيض، لغلبة البياض على ألوانهم وأموالهم، إذ الغالب في أموالهم الفضة، كما يقال لأهل الشام حمر، لحمرة ألوانهم وغلبة الذهب في أموالهم، والأول أظهر، ويمكن اعتبار نوع تخصيص في المخاطبين، فيكون المراد بهم غير الراسخين الكاملين في الإيمان، وبالبيض الخماص: الكمّل منهم.

2- شفا كل شيء: طرفه وشفيره، أي كنتم على شفير جهنم، مشرفين على دخولها، لشرككم وكفركم.

3- مذقة الشارب: شربته. والنهزة بالضم: الفرصة، أي محل نهزته، أي كنتم قليلين أذلاء يتخطفكم الناس بسهولة.

4- والقبسة بالضم: شعلة من نار يقتبس من معظمها، والإضافة إلى العجلان لبيان القلة والحقارة.

5- وموطئ الأقدام: مثل مشهور في المغلوبية والمذلة .

6- في بعض النسخ: (وتشربون الطرق وتقتاتون الورق). الطرق بالفتح: ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتبعر. و(الورق) بالتحريك: ورق الشجر. وفي بعض النسخ: (وتقتاتون القد) وهو بكسر القاف وتشديد الدال: سير يقدّ من جلد غير مدبوغ، والمقصود: وصفهم بخبائث المشرب وجشوبة المأكل لعدم اهتدائهم إلى ما يصلحهم في دنياهم ولفقرهم وقلة ذات يدهم وخوفهم من الأعداء.

أن يتخطفكم الناس من حولكم(1).

فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله) بعد اللتيا والتي(2)..

ويعد أن مني بهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب(3)..

«كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ»(4)..

أو نجم(5) قرن(6) الشيطان، أو فغرت(7) فاغرة(8) من المشركين قذف(9)

ص: 25

- 1- الخاسئ: المبعد المطرود. و(التخطف): استلاب الشيء وأخذه بسرعة، اقتبس من قوله تعالى: «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون» سورة الأنفال: 26. وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام): إن الخطاب في تلك الآية لقريش خاصة، فالمراد بالناس سائر العرب، أو الأعم.
- 2- و(اللتيا) بفتح اللام وتشديد الياء: تصغير التي، وجوز بعضهم فيه ضم اللام، وهما كنياتان عن الداهية الصغيرة والكبيرة.
- 3- يقال: مُني بكذا، على صيغة المجهول أي ابتلي، و(بهم الرجال) كَصرد: الشجعان منهم لأنهم لشدة بأسهم لا يدرى من أين يؤتون، و(ذؤبان العرب): لصوصهم وفعاليتهم الذين لا مال لهم ولا اعتماد عليهم، و(المردة): العتاة المتكبرون المجاوزون للحد.
- 4- سورة المائدة: 64.
- 5- نجم الشيء، كنصر، نجوماً: ظهر وطلع.
- 6- المراد بالقرن: القوة، وفسر قرن الشيطان بأتمته ومتابعيه.
- 7- فغراه: أي فتحه، وفغرفوه: أي انفتح، يتعدى ولا يتعدى.
- 8- الفاغرة من المشركين: الطائفة العادية منهم، تشبيهاً بالحية أو السبع. ويمكن تقدير الموصوف مذكراً على أن يكون التاء للمبالغة.
- 9- القذف: الرمي ويستعمل في الحجارة، كما أن الحذف يستعمل في الحصا، يقال: (هم بين حاذف وقاذف).

أخاه في لهواتها (1)، فلا ينكفى حثيظاً جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه (2). مكدوداً في ذات الله (3)، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله (4). مشمراً (5) ناصحاً، مجدداً كادحاً (6)، لا- تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون (7) فاكهون (8) آمنون، تتربصون بنا

ص: 26

1- اللهوات، بالتحريك: جمع لهاة، وهي اللحمية في أقصى سقف الفم. وفي بعض الروايات: (في مهواتها) بالميم والتسكين، الحفرة وما بين الجبلين ونحو ذلك، وعلى أي حال المراد أنه (صلى الله عليه وآله) كلما أراد طائفة من المشركين أو عرضت له داهية عظيمة بعث علياً (عليه السلام) لدفعها وعرضه للمهالك، وفي رواية الكشف وابن أبي طاهر: (كلما حشوا ناراً للحرب، ونجم قرن للضلال)، قال الجوهري: حششت النار: أوقدتها.

2- في بعض النسخ: (فلا ينكفى حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه). (انكفاً) بالهمزة: أي رجع، من قولهم كفأت القوم كفاءً: إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره، فانكفئوا أي رجعوا. و(الصماخ) بالكسرة: ثقب الأذن والأذن نفسها، وبالسين كما في بعض الروايات لغة فيه، و(الأخمص): ما لا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشي، و(وطئ الصماخ بالأخمص) عبارة عن القهر والغلبة على أبلغ وجه، وكذا إخماد الذهب بماء السيف استعارة بليغة شائعة.

3- المكدود: من بلغه التعب والأذى، و(ذات الله): أمره ودينه وكلما يتعلق به سبحانه. وفي كشف الغمة: (مكدوداً دؤوباً في ذات الله).

4- وفي بعض النسخ: (سيد أولياء الله) بالجر صفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو بالنصب عطفًا على الأحوال السابقة، ويؤيد الأخير ما في رواية ابن أبي طاهر: (سيداً في أولياء الله).

5- والتشمير في الأمر: الجد والاهتمام فيه.

6- الكدح: العمل والسعي.

7- قال الجوهري: الدعة الخفض، تقول: منه ودع الرجل فهو وديع أي ساكن ووادع أيضاً، يقال: نال فلان المكارم وادعى من غير كلفة.

8- الفكاهة، بالضم: المزاح. وبالفتح: مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه، إذا كان طيب النفس مزاحاً، والفكه أيضاً: الأشر والبطر، وقرئ (ونعمة كانوا فيها فكهين) أي أشرين، و(فاكهين) أي ناعمين، والمفاكهة الممازحة. وفي رواية ابن أبي طاهر: (وأنتم في بلهنية وادعون آمنون). قال الجوهري: هو في بلهنية من العيش: أي سعة ورفاهية وهو ملحق بالخماسي بألف في آخره، وإنما صارت ياء لكسرة ما قبلها. وفي كشف الغمة: (وأنتم في رفهينة) وهي مثلها لفظاً ومعنى.

الدوائر(1)، وتتوكفون الأخبار(2)، وتنكصون عند النزال(3)، وتقرون من القتال.

فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفياه، ظهر فيكم حسكة(4) النفاق، وسمل(5) جلباب(6) الدين، ونطق كاظم(7) الغاوين، ونبغ(8) حامل(9) الأقلين(10)، وهدر(11) فنيق(12) المبطلين..

ص: 27

- 1- الدوائر: صروف الزمان وحوادث الأيام والعواقب المذمومة، وأكثر ما تستعمل الدائرة في تحول النعمة إلى الشدة، أي كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا وزوال النعمة والغلبة عنا.
- 2- التوكف: التوقع، والمراد أخبار المصائب والفتن. وفي بعض النسخ: (تتواكفون الأختيار) يقال: واكفه في الحرب أي واجهه.
- 3- النكوص: الإحجام والرجوع عن الشيء، و(النزال) بالكسر: أن ينزل القرنان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربا، والمقصود من تلك الفقرات أنهم لم يزالوا منافقين لم يؤمنوا قط.
- 4- وفي بعض النسخ (الحسيكة) وهي العداوة، قال الجواهري: قولهم في صدره على حسيكة وحساسة، أي ضغن وعداوة. وفي بعض الروايات: (حسكة النفاق) فهو على الاستعارة.
- 5- وسمل الثوب، كنصر: صار خلقا.
- 6- الجلباب، بالكسر: الملحفة، وقيل: ثوب واسع للمرأة غير الملحفة، وقيل: هو إزار ورداء، وقيل: هو كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها.
- 7- والكظوم: السكوت.
- 8- نبغ الشيء، كمنع ونصر: أي ظهر، ونبغ الرجل إذا لم يكن في أرث الشعر ثم قال وأجاد.
- 9- الخامل: من خفي ذكره وصوته وكان ساقطا لا نباهة له.
- 10- والمراد بالأقلين: الأذلون، وفي بعض الروايات (الأولين). وفي كشف الغمة (فنطق كاظم، ونبغ حامل).
- 11- الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته.
- 12- الفنيق: الفحل المكرّم من الأبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته على أهله.

فخطر(1) في عرصاتكم.. وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه(2) هاتفاً(3) بكم.. فألفاكم(4) لدعوته مستجيبين..

وللغرة(5) فيه ملاحظين(6).. ثم استنهضكم(7) فوجدكم خفافاً(8)، وأحشمكم(9) فألفاكم غضاباً..

ص: 28

- 1- يقال: خطر البعير بذنبه، يخطر - بالكسر - خطراً وخطراناً: إذا رفعه مرة بعد مرة، وضرب به فخذيته، ومنه قول الحجاج لما نصب المنجنيق على الكعبة: خطارة كالجمل الفنيق أعددتها للمسجد العتيق شبه رميها بخطران الفنيق.
- 2- مغرز الرأس، بالكسر: ما يختفي فيه، وقيل: لعل في الكلام تشبيهاً للشيطان بالقنفذ، فإنه إنما يطلع رأسه عند زوال الخوف، أو بالرجل الحريص المقدم على أمر، فإنه يمد عنقه إليه.
- 3- الهتاف: الصياح.
- 4- وألفاكم: أي وجدكم.
- 5- الغرة، بالكسر: الاغترار والانخداع، والضمير المجرور راجع إلى الشيطان.
- 6- وملاحظة الشيء: مراعاته، وأصله من اللحظ وهو النظر بمؤخر العين، وهو إنما يكون عند تعلق القلب بشيء، أي وجدكم الشيطان لشدة قبولكم للانخداع، كالذي كان مطمح نظره أن يغتر بأباطيله، ويحتمل أن يكون (للغزة) بتقديم المهملة على المعجمة. وفي الكشف: (وللغزة ملاحظين)، أي وجدكم طالبين للغزة.
- 7- النهوض: القيام. واستنهضه لأمر: أي أمره بالقيام إليه.
- 8- أي مسرعين إليه.
- 9- في بعض النسخ: (وأحشمكم). وأحشمت الرجل: أغضبته. وأحشمت النار: ألهبتها. أي حملكم الشيطان على الغضب، فوجدكم مغضبين لغضبه، أو من عند أنفسكم، وفي المناقب القديم: (عطافاً) بالعين المهملة والفاء، من العطف بمعنى الميل والشفقة، ولعله أظهر لفظاً ومعنى.

فوسمتم (1) غير إبلکم، ووردتم (2) غير مشربکم (3)..

هذا والعهد قريب، والكلم (4) رحيب (5)..

والجرح (6) لما يندمل (7)..

والرسول (صلى الله عليه وآله) لما يقبر (8)..

ابتداراً (9) زعمتم خوف الفتنة «أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» (10).

فهيهات (11) منكم..

ص: 29

- 1- الوسم: أثر الكي، يقال: وسمته كوعده، وسمماً.
- 2- في بعض النسخ: (أوردتم) والورود: حضور الماء للشرب. والإيراد: الإحضار.
- 3- وفي بعض النسخ: (شربكم) والشرب بالكسر: الحظ من الماء، وهما كنايةتان عن أخذ ما ليس لهم بحق من الخلافة والإمامة وميراث النبوة. وفي كشف الغمة: (وأوردتموها شرباً ليس لكم).
- 4- الجرح.
- 5- الرحب، بالضم: السعة.
- 6- والجرح، بالضم: الاسم. وبالفتح: المصدر.
- 7- أي لم يصلح بعد.
- 8- قبرته: دفنته.
- 9- ابتداراً: مفعول له للأفعال السابقة، ويحتمل المصدر بتقدير الفعل. وفي بعض الروايات: (بتداراً زعمتم خوف الفتنة) أي ادعيتهم وأظهرتهم للناس كذباً وخديعة إنما اجتمعنا في السقيفة دفاعاً للفتنة، مع أن الغرض كان غضب الخلافة عن أهلها، فهو عين الفتنة، والالتفات في (سقطوا) الموافقة مع الآية الكريمة، (ابتدر القوم): تسابقوا في الأمر.
- 10- سورة التوبة: 49.
- 11- هيهات: للتبعيد، وفيه معنى التعجب، كما صرح به الشيخ الرضي (رحمة الله) وكذلك كيف وأنى تستعملان في التعجب.

وكيف بكم وأنى توفكون(1)..

وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة (2)، وأحكامه زاهرة (3)..

وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم..

أرغبة عنه تريدون(4)، أم بغيره تحكمون..

«بَشِّرِ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا»(5)، «ومن يتبع غيرَ الإسلامِ دِينًا فُلنَّ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»(6).

ثم لم تلبثوا إلا ريث(7) أن تسكن نفرتها(8)..

ص: 30

1- أفكه، كضربه: صرفه عن الشيء وقلبه. أي إلى أين يصرفكم الشيطان وأنفسكم والحال أن كتاب الله بينكم. و(فلان بين أظهر قوم وبين ظهرانيهم) أي مقيم بينهم محفوف من جانبه أو من جوانبه بهم.

2- وفي كشف الغمة: (بين أظهركم، قائمة فرائضه، واضحة دلائله، نيرة شرائعه، زواجره واضحة، وأوامره لائحة، أرغبة عنه).

3- والزاهر: المتألئ المشرق.

4- تدبرون، خ ل.

5- سورة الكهف: 50. أي من الكتاب ما اختاروه من الحكم الباطل.

6- سورة آل عمران: 85.

7- ريث، بالفتح: بمعنى قدر، وهي كلمة يستعملها أهل الحجاز كثيرا، وقد يستعمل مع ما، يقال: لم يلبث إلا ريثما فعل كذا، وفي كشف الغمة هكذا: (لم تبرحوا ريثا). وقال بعضهم: هذا ولم تریثوا حتّها إلا ريث. وفي رواية ابن أبي طاهر: (ثم لم تریثوا أختها). وعلى التقديرين ضمير المؤنث راجع إلى فتنة وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله). توضيح: (حتها) حت الورق من الغصن: نثرها، أي لم تصبروا إلى ذهاب أثر تلك المصيبة.

8- ونفرت الدابة، بالفتح: ذهابها وعدم انقيادها.

ويسلس (1) قيادها (2)..

ثم أخذتم توروب (3) ووقدتها (4).. وتهيجون جمرتها (5)..

وتستجيبون لهتاف (6) الشيطان الغوي..

أنوار الدين الجلي..

وإهمال (7) سنن النبي الصفي..

تشربون (8) حسواً (9) في ارتغاء (10)..

ص: 31

- 1- والسلس، بكسر اللام: اللين المنقاد، ذكره الفيروز آبادي. وفي مصباح اللغة: (سلس سلساً من باب تعب: سهل ولان).
- 2- والقياد، بالكسر: ما يقاد به الدابة من حبل وغيره.
- 3- وفي الصحاح: وري الزند يري ورياً، إذا خرجت تارة. وفي لغة أخرى: (وري الزند يري) بالكسر فيهما (وأوريته أنا) وكذلك وريته تورية، وفلان يستوري زناد الضلالة.
- 4- ووقدة النار، بالفتح: وقودها. ووقدها: لهبها.
- 5- الجمرة: المتوقد من الحطب، فإذا برد فهو فحم، والجمر بدون التاء جمعها.
- 6- والهتاف، بالكسر: الصياح، وهتف به: أي دعاه.
- 7- في بعض النسخ: (وإهماد النار): اطفأها بالكلية، والحاصل أنكم إنما صبرتم حتى استقرت الخلافة المغصوبة عليكم، ثم شرعتم في تهيج الشرور والفتن واتباع الشيطان وإبداع البدع وتغيير السنن.
- 8- في بعض النسخ: (تسرون) الإسرار: ضد الإعلان.
- 9- والحسو، بفتح الحاء وسكون السين المهملتين: شرب المرق وغيره، شيئاً بعد شيء.
- 10- والارتغاء: شرب الرغوة وهو زبد اللبن، قال الجوهري: الرغوة مثلثة زبد اللبن، وارتغيت: شربت الرغوة، وفي المثل: (يسرّ حسواً في ارتغاء) يضرب لمن يظهر أمراً ويريد غيره. قال الشعبي: لمن سأله عن رجل قبل أم امرأته؟ قال: يسرّ حسواً في ارتغاء وقد حرمت عليه امرأته. وقال الميداني: قال أبو زيد والأصمعي: أصله الرجل يوتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة ولا يريد غيرها فيشربها، وهو في ذلك ينال من اللبن. يضرب لمن يريك أنه يعينك وإنما يجر النفع إلى نفسه.

وتمشون لأهله وولده في الخمرة (1) والضراء (2)، ويصير منكم على مثل حز (3) المدى (4)، ووخز (5) السنان في الحشا، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا..

أفحكم الجاهلية تبغون «وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (6) أفلا تعلمون، بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية (7) أني ابنته.

أيها المسلمون، أأغلب على إرثي؟.

يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي..

لقد جئت شيئاً فرياً (8)، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء

ص: 32

1- وفي بعض النسخ: (الخمر) بالتحريك: ما وارك من شجر وغيره، يقال: توارى الصيد عني في خمر الوادي. ومنه قولهم: دخل فلان في خمار الناس - بالضم - أي ما يواريه ويستره منهم.

2- الضراء، بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المخففة: الشجر الملتف في الوادي، ويقال: لمن ختل صاحبه وخادمه: يدب له الضراء ويمشي له الخمر، وقال الميداني: قال ابن الأعرابي: الضراء ما انخفض من الأرض.

3- الحز، بفتح الحاء المهملة: القطع، أو قطع الشيء من غير إباتته.

4- المدى، بالضم: جمع مدية، وهي: السكين والشفرة.

5- الوخز: الطعن بالرمح ونحوه لا يكون نافذاً، يقال: وخزه بالخنجر. وفي كشف الغمة: (ثم أنتم أولا تزعمون أن لا إرث إلي) فهو أيضا كذلك.

6- سورة المائدة: 50.

7- كالشمس الضاحية: أي الظاهرة البينة، يقال: فعلت ذلك الأمر ضاحية أي علانية.

8- أي أمراً عظيماً بديعاً، وقيل: أي أمراً منكراً قبيحاً، وهو مأخوذ من الافتراء بمعنى الكذب. وأعلم أنه وردت الروايات المتظافرة كما ستعرف في أنها (عليها السلام) ادعت أن فدكا كانت نحلة لها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلعل عدم تعرضها (عليها السلام) في هذه الخطبة لتلك الدعوى ليأسها عن قبولهم إياها. إذ كانت الخطبة بعد ما ردّ أبو بكر شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن شهد معه وقد كان المنافقون الحاضرون معتقدين لصدقها فتمسكت بحديث الميراث لكونه من ضروريات الدين.

ظهوركم إذ يقول: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» (1)، وقال - فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا - إذ قال: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (عليهم السلام) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» (2)، وقال: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» (3)، وقال: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» (4)، وقال: «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأُولَادَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» (5).

وزعمتم أن لا حظوة (6) لي، ولا إرثمن أبي، ولا رحم بيننا..

ص: 33

1- سورة النمل: 16.

2- سورة مريم: 5-6.

3- سورة الأنفال: 75، سورة الأحزاب: 6.

4- سورة النساء: 11.

5- سورة البقرة: 180.

6- في بعض النسخ: (وزعمتم أن لا حظوة لي) الخطوة، بكسر الخاء وضمها وسكون الظاء المعجمة: المكانة والمنزلة، ويقال: (خظيت المرأة عند زوجها) إذا دنت من قلبه، وفي كشف الغمة: (فزعمتم أن لا- حظ لي ولا إرث لي من أبيه، أفحكم الله بآية أخرج أبي منها، أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان، أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي (صلى الله عليه وآله) «أفحكم الجاهلية ييغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون» إيهاماً معاشر المسلمة أبتز ارثيه، أالله أن ترث أبك ولا أرث أبيه، لقد جتتم شيئا فريا، فدونها مرحولة مخطومة مزومة). وفي رواية ابن أبي طاهر: (وبها معاشر المهاجرة أبتز إرث أبيه). قال الجوهري: إذا أغريته بالشيء قلت: ويهاً يا فلان وهو تحريض. انتهى. ولعل الأنسب هنا التعجب. والهاء في (أبيه) في الموضعين، و(إرثيه) بكسر الهمزة بمعنى الميراث، للسكت كما في سورة الحاقة: (كتابه وحسابه وماليه وسلطانيه) تثبت في الوقف وتسقط في الوصل، وقرئ بإثباتها في الوصل أيضا.

أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟

أم هل تقولون إن أهل ملتين لا يتوارثان، أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟

فدونكها (1) مخطومة (2) مرحولة (3)، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والزعيم محمد (صلى الله عليه وآله) (4) والموعود القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون (5)، ولا ينفعكم إذ تدمون، «لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ (6) وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» (7)، (8) «مَنْ

ص: 34

1- الضمير راجع إلى فذك، المدلول عليها بالمقام والأمر بأخذها للتهديد.

2- الخطام، بالكسر: كل ما يوضع في أنف البعير ليقاد به.

3- والرحل، بالفتح للناقة: كالسرج للفرس، ورحل البعير كمنع: شد على ظهره الرحل، شَبَّهْتَهَا (عليها السلام) في كونها مسلمة لا يعارضه في أخذها أحد بالناقة المنقادة المهيأة للركوب.

4- في بعض النسخ: (والغريم) أي طالب الحق.

5- في بعض النسخ: (وعند الساعة ما تخسرون) كلمة ما مصدرية، أي في القيامة يظهر خسرانكم.

6- أي لكل خبر يريد العذاب، أو إلا يعاد به وقت استقرار ووقوع.

7- سورة الأنعام: 67.

8- سوف تعلمون أي عند وقوعه من يأتيه عذاب يخزيه، والاقْتَبَسَ من موضعين: أحدهما سورة الأنعام، والآخر سورة هود في قصة نوح

(عليه السلام) حيث قال: «إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم» فالعذاب الذي يخزيهم: الغرق. والعذاب المقيم: عذاب النار.

يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ»(1).

- ثم رمت بطرفها (2) نحو الأنصار فقالت :-

يا معشر (3) النقيبة(4)، وأعضاء(5) الملة، وحصنة الإسلام..

ما هذه الغميمة (6) في حقي.. والسنة (7) عن ظلامي(8)..

ص: 35

1- سورة هود: 39، سورة الزمر: 40.

2- الطرف، بالفتح: مصدر، طرفت عين فلان: إذا نظرت، وهو أن ينظر ثم يغمض، والطرف أيضا: العين.

3- المعشر: الجماعة.

4- في بعض النسخ: (الفتية) بالكسر: جمع فتى هو الشاب، والكريم السخي. وفي كشف الغمة: (يا معشر البقية، ويا عماد الملة، وحصنة الإسلام).

5- والأعضاء: جمع عضد، بالفتح: الأعوان، يقال: عضدته كنصرته لفظا ومعنى.

6- قال الجوهري: ليس في فلان غميمة، أي مطعن ونحوه، ذكره الفيروز آبادي، وهو لا يناسب المقام إلا بتكلف، وقال الجوهري: رجل غمز أي ضعيف. وقال الخليل في كتاب العين: الغمز، بفتح الغين المعجمة والزاء: ضعفه في العمل وجهلة في العقل، ويقال: سمعت كلمة فاعتمزتها في عقله: أي علمت أنه أحمق، وهذا المعنى أنسب. وفي الكشف: (ما هذه الفترة) بالفاء المفتوحة وسكون التاء وهو السكون وهو أيضا مناسب. وفي رواية ابن أبي طاهر: بالراء المهملة، ولعله من قولهم: غمر على أخيه أي حقد وضغن، أو من قولهم: غمر عليه، أي أغمي عليه، أو من الغمر بمعنى الستر، ولعله كان بالضاد المعجمة فصحف، فإن استعمال إغماض العين في مثل هذا المقام شائع.

7- مصدر وسن يوسن، كعلم يعلم، وسناً وسنةً: أول النوم، أو النوم الخفيف، والهاء عوض عن الواو.

8- الظلامة بالضم: كالمظلمة بالكسر، ما أخذه الظالم منك فتطلبه عنده، والغرض تهيج الأنصار لنصرتها أو توبيخهم على عدمها. وفي كشف الغمة بعد ذلك: (أما كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يحفظ).

أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبي يقول: المرء يحفظ في ولده. سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة (1)، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول، أتقولون: مات محمد (صلى الله عليه وآله) فخطب (2) جليل، استوسع وهيه (3)، واستنهر فتقه (4)، وانفتق رتقه..

ص: 36

1- سرعان، مثلثة السين، وعجلان بفتح العين: كلاهما من أسماء الأفعال، بمعنى سرع وعجل، وفيهما معنى التعجب، أي ما أسرع وأعجل. وفي رواية ابن أبي طاهر: (سرعان ما أجدبتم فأكدبتم) يقال: أجدب القوم أي أصابهم الجذب، وأكدى الرجل إذا قل خيره، والإهالة - بكسر الهمزة - الودك، وهو دسم اللحم. وقال الفيروزآبادي: قولهم سرعان ذا إهالة، أصله: إن رجلا كانت له نعجة عجفاء، وكانت رعامها يسيل من منخريها لهزالها، فقيل له: ما هذا الذي يسيل؟ فقال: ودكها، فقال السائل: سرعان ذا إهالة، ونصب (إهالة) على الحال، و(ذا) إشارة إلى الرعام، أو تمييز على تقدير نقل الفعل كقولهم: تصبب زيد عرقا، والتقدير سرعان إهالة هذه، وهو مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وفاته، انتهى. والرعام، بالضم: ما يسيل من أنف الشاة والخيل، ولعل المثل كان بلفظ (عجلان) فاشتبه على الفيروزآبادي أو غيره، أو كان كل منهما مستعملاً في هذا المثل، وغرضها (صلوات الله عليها) التعجب من تعجيل الأنصار، ومبادرتهم إلى إحداث البدع وترك السنن والأحكام والتخاذل عن نصره عترة سيد الأنام (صلى الله عليه وآله) مع قرب عهدهم به، وعدم نسيانهم ما أوصاهم به فيهم، وقدرتهم على نصرتها، وأخذ حقها ممن ظلمها، ولا يبعد أن يكون المثل إخباراً مجملاً بما يترتب على هذه البدعة من المفاسد الدينية وذهاب الآثار النبوية.

2- الخطب، بالفتح: الشأن والأمر، عظم أو صغر.

3- الوهي، كالرمي: الشق والخرق، يقال: وهي الثوب إذا بلي وتخرق، واستوسع واستنهر: استفعل من النهر - بالتحريك - بمعنى السعة أي اتسع.

4- الفتق: الشق، والرتق ضده، وانفتق أي انشق، والضمائر المجرورات الثلاثة، راجعة إلى الخطب، بخلاف المجرورين بعدها، فإنهما راجعان إلى النبي (صلى الله عليه وآله).

وأظلمت الأرض لغييبته، وكسفت الشمس والقمر(1)، وانتشرت النجوم لمصيبته، وأكدت(2) الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم(3)، وأزيلت الحرمة(4) عند مماته.

فتلك والله النازلة(5) الكبرى، والمصيبة العظمى..

لا مثلها نازلة، ولا بائقة(6) عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتم(7)، وفي ممساكم ومصبحكم(8)، يهتف في أفنيتم هتافاً(9) وصراخاً(10)، وتلاوة(11) وألحاناً(12)..

ص: 37

1- في بعض النسخ: (كسفت النجوم) وكسف النجوم: ذهب نورها، والفعل منه يكون متعدياً ولازماً، والفعل كضرب، وفي رواية ابن أبي طاهر: (مكان الفقرة الأخيرة: واكتأبت خيرة الله لمصيبته). والاكتاب: افتعال من الكآبة بمعنى الحزن. وفي كشف الغمة: (واستهر فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الأرض، واكتأبت لخيرة الله) إلى قولها (عليها السلام): (وأديلت الحرمة) من الإدالة بمعنى الغلبة. وفي البحار: (واستهر فتقه).

2- يقال: أكدى فلان أي بخل أو قلّ خيريه.

3- حريم الرجل: ما يحميه ويقا تل عنه.

4- الحرمة: ما لا يحل انتهاكه، وفي بعض النسخ: (الرحمة) مكان (الحرمة).

5- النازلة: الشديدة.

6- والبائقة: الداهية.

7- فناء الدار، ككساء: العرصة المتسعة أمامها.

8- الممسي والمصبح، بضم الميم فيهما: مصدران وموضعان من الإصباح والإمساء.

9- الهتاف، بالكسر: الصياح.

10- الصراخ، كغراب: الصوت أو الشديد منه.

11- التلاوة، بالكسر: القراءة.

12- الإلحان: الإفهام، يقال: ألحنه القول أي أفهمه إياه، ويحتمل أن يكون من اللحن بمعنى الغناء والطرب. قال الجوهري: اللحن واحد الألحان واللحن، ومنه الحديث: (اقرؤوا القرآن بلحون العرب) وقد لحن في قراءته: إذا طرب بها وغرّد وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناءً. انتهى. ويمكن أن يقرأ على هذا بصيغة الجمع أيضاً، والأول أظهر. وفي كشف الغمة: (فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله في قبلتكم ممساكم ومصبحكم هتافاً هتافاً، ولقبلة ما حل بأنبياء الله ورسله).

ولقبه ما حل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل(1)، وقضاء حتم(2) «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ (3) مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ(4) وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ(5)، (6).

ص: 38

- 1- الحكم الفصل: هو المقطوع به الذي لا ريب فيه ولا مردّ له، وقد يكون بمعنى القاطع، الفارق بين الحق والباطل.
- 2- الحتم في الأصل: إحكام الأمر، و(القضاء الحتم): هو الذي لا يتطرق إليه التغيير.
- 3- خلت: أي مضت.
- 4- الانقلاب على العقب: الرجوع القهقري، أريد به الارتداد بعد الإيمان.
- 5- سورة آل عمران: 144.

6- الشاكرون: المطيعون المعترفون بالنعم، الحامدون عليها، قال بعض الأماثل: واعلم أن الشبهة العارضة للمخاطبين بموت النبي (صلى الله عليه وآله) إما عدم تحتم العمل بأوامره وحفظ حرمة في أهله لغيبته، فإن العقول الضعيفة مجبولة على رعاية الحاضر أكثر من الغائب، وأنه إذا غاب عن أبصارهم ذهب كلامه عن أسماعهم ووصاياهم عن قلوبهم، فدفعها ما أشارت إليه (صلوات الله عليها) من إعلان الله جل ثناؤه وإخباره بوقوع تلك الواقعة الهائلة قبل وقوعها، وأن الموت مما قد نزل بالماضين من أنبياء الله ورسله (عليهم السلام) تثبيتاً للأمة على الإيمان، وإزالة لتلك الخصلة الذميمة عن نفوسهم. ويمكن أن يكون معنى الكلام: أنقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله) وبعد موته ليس لنا زاجر ولا مانع عما نريد، ولا نخاف أحداً في ترك الانقياد للأوامر وعدم الانزجار عن النواهي. ويكون الجواب ما يستفاد من حكاية قوله تعالى «أفإن مات أو قتل» الآية، لكن لا يكون حينئذ لحديث إعلان الله سبحانه وإخباره بموت الرسول (صلى الله عليه وآله) مدخل في الجواب إلا- بتكلف. ويحتمل أن يكون شبهتهم عدم تجويزهم الموت على النبي (صلى الله عليه وآله) كما أفصح عنه عمر بن الخطاب، وسيأتي في مطاعنه، فبعد تحقق موته عرض لهم شك في الإيمان ووهن في الأعمال، فلذلك خذلوها وقعدوا عن نصرتها، وحينئذ مدخلية حديث الإعلان وما بعده في الجواب واضح. وعلى التقادير لا- يكون قولها (صلوات الله عليها): فخطب جليل، داخلاً في الجواب، ولا مقولاً لقول المخاطبين على الاستفهام التوبيخي، بل هو كلام مستأنف لبث الحزن والشكوى، بل يكون الجواب ما بعد قولها: (فتلك والله النازلة الكبرى). ويحتمل أن يكون مقولاً- لقولهم، فيكون حاصل شبهتهم: أن موته (صلى الله عليه وآله) الذي هو أعظم الدواهي، قد وقع فلا يبالي بما وقع بعده من المحذورات، فلذلك لم ينهضوا بنصرها والاتصاف ممن ظلمها، ولما تضمن ما زعموه كون مماته (صلى الله عليه وآله) أعظم المصائب، سلّمت (عليها السلام) أولاً في مقام الجواب تلك المقدمة، لكونها محض الحق، ثم نهت على خطأهم في أنها مستلزمة لقلّة المبالاة بما وقع، والقعود عن نصرته الحق، وعدم إتباع أوامره (صلى الله عليه وآله) بقولها: أعلن بها كتاب الله، إلى آخر الكلام، فيكون حاصل الجواب: أن الله قد أعلمكم بها قبل الوقوع، وأخبركم بأنها سنة ماضية في السلف من أنبيائه (عليهم السلام) وحذركم الانقلاب على أعقابكم كيلا تتركوا عمل بلوازم الإيمان بعد وقوعها، ولا تهنوا عن نصرته الحق وقمع الباطل، وفي تسليمها ما سلمته أولاً دلالة على أن كونها أعظم المصائب مما يؤيد وجوب نصرتي، فإني أنا المصاب بها حقيقة وإن شاركني فيها غيري، فمن نزلت به تلك النازلة الكبرى فهو بالرعاية أحق وأحرى. ويحتمل أن يكون قولها (عليها السلام): (فخطب جليل) من أجزاء الجواب فتكون شبهتهم بعض الوجوه المذكورة أو المركب من بعضها مع بعض. وحاصل الجواب حينئذ: أنه إذا نزل بي مثل تلك النازلة الكبرى، وقد كان الله عز وجل أخبركم بها وأمركم أن لا ترتدوا بعدها على أعقابكم، فكان الواجب عليكم دفع الضيم عني والقيام بنصرتي، ولعل الأنسب بهذا الوجه ما في رواية ابن أبي طاهر، من قولها: (وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله) بالواو دون الفاء، ويحتمل أن لا تكون الشبهة العارضة للمخاطبين مقصورة على أحد الوجوه المذكورة، بل تكون الشبهة لبعضهم بعضها، وللأخرى أخرى، ويكون كل مقدمة من مقدمات الجواب إشارة إلى دفع واحدة منها. أقول: ويحتمل أن لا تكون هناك شبهة حقيقة، بل يكون الغرض أنه ليس لهم في ارتكاب تك

الأمر الشنيع حجة متمسك إلا أن يتمسك أحد بأمثال تلك الأمور الباطلة الواهية التي لا يخفى على أحد بطلانها، وهذا شائع في الاحتجاج.

إيهاً (1) بني قيلة (2).. إيهاً (3) بني قيلة (4).. أأهضم (5) تراث (6) أبي، وأنتم بمرأى مني ومسمع (7)..

ومنتدى ومجمع (8)..

تلبسكم (9) الدعوة (10)، وتشملكم الخبرة (11)..

ص: 40

- 1- إيهاً، بفتح الهمزة والتنوين: بمعنى هيهات.
- 2- وبنو قيلة: الأوس والخزرج قبيلتا الأنصار، و(قيلة) بالفتح: اسم أم لهم قديمة، وهي قيلة بنت كامل.
- 3- إيهاً، بفتح الهمزة والتنوين: بمعنى هيهات.
- 4- وبنو قيلة: الأوس والخزرج قبيلتا الأنصار، و(قيلة) بالفتح: اسم أم لهم قديمة، وهي قيلة بنت كامل.
- 5- الهضم: الكسر، يقال: هضمت الشيء أي كسرتة، وهضمه حقه واهتضمه: إذا ظلمه وكسر عليه حقه.
- 6- في بعض النسخ: (تراث أبيه) والتراث بالضم: الميراث، وأصل التاء فيه واو.
- 7- أي بحيث أراكم وأسمع كلامكم. وفي رواية ابن أبي طاهر: (منه) أي من الرسول (صلى الله عليه وآله). والمبتدأ في أكثر النسخ بالباء الموحدة مهموزاً، فلعل المعنى: أنكم في مكان يبتدأ منه الأمور والأحكام.
- 8- المنتدى، بالنون غير مهموز: بمعنى المجلس، وكذا في المناقب القديم، فيكون المجمع كتفسير له، والغرض الاحتجاج عليهم بالاجتماع الذي هو من أسباب القدرة على دفع الظلم، واللفظان غير موجودين في رواية ابن أبي طاهر.
- 9- تلبسكم، على بناء المجرد: أي تغطيكم وتحيط بكم.
- 10- الدعوة: المرة من الدعاء أي النداء.
- 11- الخبرة، بالفتح: من الخبرة بالضم، بمعنى العلم، أو الخبرة بالكسر بمعناه. والمراد بالدعوة نداء المظلوم للنصرة، وبالخبرة علمهم بمظلوميته صلوات الله عليها، والتعبير بالإحاطة والشمول للمبالغة، أو للتصريح بأن ذلك قد عمهم جميعاً، وليس من قبيل الحكم على الجماعة بحكم البعض أو الأكثر، وفي رواية ابن أبي طاهر: (الحيرة) بالحاء المهملة، ولعله تصحيف، ولا يخفى توجيهه.

وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة. توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكما الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح(1)، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت(2)، والخيرة(3) التي اختيرت لنا أهل البيت.

قاتلتم العرب(4)، وتحملتكم الكد والتعب، وناطحتم الأمم(5)، وكافحتهم البهم(6)، لا نبرح أو تبرحون(7)، نأمركم فتأتمرون(8)، حتى إذا دارت بنا رحي

ص: 41

- 1- الكفاح: استقبال العدو في الحرب بلا ترس ولا جنة، ويقال: فلان يكافح الأمور، أي يباشرها بنفسه.
- 2- في بعض النسخ: (النخبة التي انتخبت) النخبة، كهزمة: النجيب الكريم. وقيل: يحتمل أن يكون بفتح الخاء المعجمة أو سكونها، بمعنى المنتخب المختار، ويظهر من ابن الأثير أنها بالسكون تكون جمعا.
- 3- والخيرة: كعنبه، المفضل من القوم، المختار منهم.
- 4- في المناقب: (لنا أهل البيت قاتلتم وناطحتم الأمم وكافحتهم البهم، فلا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون).
- 5- أي حاربتم الخصوم ودافعتموهم بجِدِّ واهتمام كما يدافع الكبش قرنه بقرنه.
- 6- البهم: الشجعان، كما مر، ومكافحتها: التعرض لدفعها من غير توان أو ضعف.
- 7- أو تبرحون: معطوف على دخول النفي، فالمنفي أحد الأمرين، ولا ينتفي إلا بانتفائهما معاً، فالمعنى لا نبرح ولا تبرحون.
- 8- أي كنا لم نزل أمرين وكنتم مطيعين لنا في أوامرنا. وفي كشف الغمة: (وتبرحون) بالواو، فالعطف على مدخول النفي أيضاً، ويرجع إلى ما مر. وعطفه على النفي إشعار بأنه قد كان يقع منه براح عن الإطاعة، كما في غزوة أحد وغيرها، بخلاف أهل البيت (عليهم السلام) إذ لم يعرض لهم كلال عن الدعوة والهداية، بعيد عن المقام. وفي الكشف: (فباديتهم العرب، وبادهتم الأمور) إلى قولها (حتى دارت لكم بنا رحي الإسلام، ودرّ حلب البلاد، وخبث نيران الحرب) يقال: بدهه بأمر أي استقبله، وبادهه: فاجأه. والأظهر ما في رواية ابن أبي طاهر من ترك المعطوف رأساً: (لا- نبرح نأمركم) أي لم يزل عادتنا الأمر وعادتكم الائتثار. وفي المناقب: (لا نبرح ولا تبرحون نأمركم) فيحتمل أن يكون (أو) في تلك النسخة أيضاً بمعنى الواو، أي لا نزال نأمركم ولا تزالون تأتمرون، ولعل ما في المناقب أظهر النسخ وأصوبها.

الإسلام(1)، ودّر(2) حلب الأيام(3)..

وخضعت ثغرة (4) الشرك..

وسكنت فورة الإفك(5)..

وخمدت نيران (6) الكفر..

ص: 42

1- دوران الرحي: كناية عن انتظام أمرها، والباء للسببية.

2- ودّر اللبن: جريانه وكثرته.

3- الحلب، بالفتح: استخراج ما في الضرع من اللبن، وبالتحريك: اللبن المحلوب، والثاني أظهر، للزوم ارتكاب تجوز في الإسناد أو في المسند إليه على الأول.

4- في نسخة (النعرة) بالنون والعين والراء المهملتين: مثال همزة الخيشوم والخيلاء والكبر، أو بفتح النون من قولهم: نعر العرق بالدم، أي فار، فيكون الخضوع بمعنى السكون، أو بالغين المعجمة، من نغرت القدر أي فارت. وقال الجوهري: نغر الرجل - بالكسر - أي اغتاط. قال الأصمعي: هو الذي يغلي جوفه من اليغظ. وقال ابن السكيت: يقال ظل فلان يتنغر على فلان: أي يتذمر عليه. وفي أكثر النسخ: بالثاء المثناة المضمومة، والغين المعجمة، وهي نقرة النحر بين الترقوتين، فخضوع ثغرة الشرك كناية عن محقه وسقوطه كالحيوان الساقط على الأرض، نظيره قول أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه): (أنا وضعت كل كل العرب) أي صدورهم.

5- الإفك، بالكسر: الكذب. وفورة الإفك: غليانه وهيجانه.

6- وخمدت النار: أي سكن لهبها ولم يطفأ جمرها، ويقال: (همدت) بالهاء: إذا طفئ جمرها، وفيه إشعار بنفاق بعضهم، وبقاء مادة الكفر في قلوبهم. وفي رواية ابن أبي طاهر: (وباخت نيران الحرب) قال الجوهري: (باخ الحرب والنار والغضب والحمى أي سكن وفتر).

وهدأت (1) دعوة الهرج (2)، واستوسق (3) نظام الدين..

فأنى (4) حزتم (5) بعد البيان، وأسرتتم بعد الإعلان، ونكصتم (6) بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان، بؤساً لقوم نكثوا (7) أيمنهم من بعد عهدهم،

ص: 43

1- هدأت: أي سكنت.

2- الهرج: الفتنة والاختلاط، وفي الحديث: (الهرج: القتل).

3- أي اجتمع وانضم من الوسق، بالفتح، وهو ضم الشيء إلى الشيء، واتساق الشيء: انتظامه.

4- كلمة (أنى) ظرف مكان بمعنى أين، وقد يكون بمعنى كيف، أي من أين حزتم وما كان منشأه.

5- في نسخة: (جرتتم) إما بالجيم من الجور وهو الميل عن القصد، والعدول عن الطريق، أي لماذا تركتم سبيل الحق بعد ما تبين لكم؟. أو بالحاء المهملة المضمومة، من الحور بمعنى الرجوع أو النقصان، قال: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، أي من النقصان بعد الزيادة. وإما بكسرهما من الحيرة.

6- النكوص: الرجوع إلى الخلف.

7- نكث العهد، بالفتح: نقضه. و(الأيمن) جمع اليمين، وهو القسم «ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمنهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين» سورة التوبة: 13. والمشهور بين المفسرين: أن الآية نزلت في اليهود الذين نقضوا عهدهم، وخرجوا مع الأحزاب، وهموا بإخراج الرسول (صلى الله عليه وآله) من المدينة، وبدؤوا بنقض العهد والقتال. وقيل: نزلت في مشركي قريش وأهل مكة حيث نقضوا أيمنهم التي عقدوها مع الرسول (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم أعداءهم، فعاونوا بني بكر على خزاعة، وقصدوا إخراج الرسول (صلى الله عليه وآله) من مكة حين تشاوروا بدارالندوة، وأتاهم إبليس بصورة شيخ نجدى، إلى آخر القصة، فهم بدؤوا بالمعاداة والمقاتلة في هذا الوقت، أو يوم بدر، أو بنقض العهد. والمراد بالقوم الذين نكثوا أيمنهم في كلامها صلوات الله عليها: إما الذين نزلت فيهم الآية، فالغرض بيان وجوب قتال الغاصبين للإمامة ولحقها، الناكثين لما عهد إليهم الرسول (صلى الله عليه وآله) في وصيه (عليه السلام) وذوي قرباه وأهل بيته (عليهم السلام) كما وجب بأمره سبحانه قتال من نزلت الآية فيهم، أو المراد بهم الغاصبون لحق أهل البيت (عليهم السلام) فالمراد بنكثهم أيمنهم نقض ما عهدوا إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) حين بايعوه من الانقياد له في أوامره والانتهاة عند نواهيه، وأن لا يضمروا له العداوة، فنقضوه ونقضوا ما أمرهم به.

«وَهُمْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ (1) وَهُمْ بِدَوُكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ اتَّخَشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (2).

ألا وقد أرى (3) أن قد أخذتم (4) إلي الخفض (5) ..

وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض (6) ..

وخلوتم (7) بالدعة (8)، ونجوتهم بالضيق من السعة، فمجتتم (9) ما

ص: 44

1- والمراد بقصدهم إخراج الرسول (صلى الله عليه وآله): عزمهم على إخراج من هو كنفس الرسول (صلى الله عليه وآله) وقائم مقامه بأمر الله وأمره عن مقام الخلافة، وعلى إبطال أوامره ووصاياه في أهل بيته (عليهم السلام) النازلة منزلة إخراجهم (صلى الله عليه وآله) من مستقره، وحينئذ يكون من قبيل الاقتباس، وفي بعض الروايات: (لقوم نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول (صلى الله عليه وآله) وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم) فقلوه (لقوم) متعلق بقوله (تخشونهم).

2- سورة التوبة: 13.

3- الرؤية هنا بمعنى: العلم، أو النظر بالعين.

4- وأخذ إليه: ركن ومال.

5- الخفض، بالفتح: سعة العيش.

6- والمراد بمن هو أحق بالبسط والقبض: أمير المؤمنين (عليه السلام)، وصيغة التفضيل مثلها في قوله تعالى: «قل أذلك خير أم جنة الخلد» سورة الفرقان: 15.

7- خلوت بالشيء: انفردت به واجتمعت معه في خلوة.

8- الدعة: الراحة والسكون.

9- مج الشراب من فيه: رمى.

- 1- وعيتم: أي حفظتم.
- 2- الدسع، كالمنع: الدفع والقيء، وإخراج البعير جرتته إلى فيه.
- 3- ساغ الشراب يسوغ سوغاً: إذا سهل مدخله في الحلق، وتسوغه: شربه بسهولة.
- 4- وصيغة (تكفروا) في كلامها (عليها السلام) إما من الكفران وترك الشكر، كما هو الظاهر من سياق الكلام المجيد، حيث قال تعالى: «وَإِذْ تَأْذَنُ رَبُّكَ لِمَنْ شِئْتُمْ لِأُزِيدَنَّكُمْ وَلِئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ* وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ» سورة إبراهيم: 7-8. وإما من الكفر بالمعنى الأخص، والتغيير في المعنى لا ينافي الاقتباس، مع أن في الآية أيضاً يحتمل هذا المعنى، والمراد إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً من الثقلين، فلا يضرب ذلك إلا أنفسكم، فإنه سبحانه غني عن شكركم وطاعتكم، مستحق للحمد في ذاته، أو محمود تحمده الملائكة، بل جميع الموجودات بلسان الحال، فضرر الكفران عائد إليكم حيث حرمتكم من فضله تعالى ومزيد إنعامه وإكرامه، والحاصل: إنكم إنما تركتم الإمام بالحق وخلعتم بيعته من رقابكم ورضيتم ببيعة أبي بكر لعلمكم بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يتهاون ولا يدهن في دين الله، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ويأمركم بارتكاب الشدائد في الجهاد وغيره، وترك ما تشتهون من زخارف الدنيا، ويقسم الفبيء بالسوية، ولا يفضل الرؤساء والأمرء، وإن أبابكر رجل سلس القيادة ومداهن في الدين لإرضاء العباد، فلذا رفضتم الإيمان وخرجتم عن طاعته سبحانه إلى طاعة الشيطان ولا يعود وباله إلا إليكم. وفي كشف الغمة: (ألا وقد أرى والله أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فمحجتم الذي أوعيتم، ولفظتم الذي سوغتم) يقال ركن إليه، بفتح الكاف وقد يكسر، أي مال وسكن. وفي رواية ابن أبي طاهر: (فعجتم عن الدين) وقال الجوهرى: عجت بالمكان أعوج، أي أقتت به عجت غيري، يتعدى ولا يتعدى. وعجت البعير: عطفت رأسه بالزمام، والعاجج: الواقف، وذكر ابن الأعرابي: فلان ما يعوج من شيء، أي ما يرجع عنه.
- 5- سورة إبراهيم: 8.

ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجدلة (1)..

التي خامرتكم (2)..

والغدرة (3) التي استشعرتها (4) قلوبكم..

ولكنها فيضة النفس (5).. ونفثة الغيظ (6)..

وخور (7) القناة (8)..

وبثة الصدر (9)، وتقدمة الحجة (10)..

ص: 46

- 1- في بعض النسخ: (الخدلة) أي ترك النصر.
- 2- وخامرتكم: أي خالطتكم.
- 3- والغدر: ضد الوفاء.
- 4- واستشعره: أي لبسه، والشعار: الثوب الملاصق للبدن.
- 5- والفيضة: في الأصل كثرة الماء وسيلانه، يقال: فاض الخبر: أي شاع، وفاض صدره بالسرّ أي باح به وأظهره، ويقال: فاضت نفسه: أي خرجت روحه، والمراد به هنا: إظهار المضمّر في النفس لاستيلاء الهم وغلبة الحزن.
- 6- النفث بالفم: شبيه النفخ، وقد يكون للمغتاظ تنفس عال تسكيناً لحر القلب وإطفاءً لنانة الغضب.
- 7- الخور، بالفتح والتحريك: الضعف.
- 8- والقناة: جمع قناة وهي الرمح، وقيل: كل عصا مستوية أو معوجة قناة، ولعل المراد بخور القناة ضعف النفس عن الصبر على الشدة وكتمان الضرب، أو ضعف ما يعتمد عليه في النصر على العدو، والأول أنسب.
- 9- البثّ: النشر والإظهار والهمّ الذي لا يقدر صاحبه على كتمانها فيبثّه أي يفرّقه.
- 10- تقدمت الحجة: إعلام الرجل قبل وقت الحاجة قطعاً لاعتذاره بالغفلة. والحاصل: أن استنصاري منكم وتظلمي لديكم وإقامة الحجة عليكم لم يكن رجاءً للعون والمظاهرة، بل تسليّة للنفس وتسكيناً للغضب وإتماماً للحجة لئلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين.

فدونكموها فاحتقبوها (1)، دبرة (2) الظهر، نقبة (3) الخف .. باقية العار (4)، موسومة (5) بغضب الجبار ..

وشنار (6) الأبد، موصولة ب «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (7) (عليهم السلام) الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ» (8)، (9).

فبعين الله ما تفعلون (10) .. «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ (11)

ص: 47

- 1- الحقب، بالتحريك: حبل يشد به الرجل إلى بطن البعير، يقال: أحقبت البعير أي شدته به، وكل ما شد في مؤخر رجل أوقتب فقد احتقب، ومنه قيل: (احتقب فلان الإثم) كأنه جمعه واحتقبه من خلفه. والأنسب في هذا المقام: أحقبوها بصيغة الإفعال، أي شدوا عليها ذلك وهيؤها للركوب، وفيما وصل إلينا من الروايات على بناء الافتعال.
- 2- الدبر، بالتحريك: الجرح في ظهر البعير، وقيل: جرح الدابة مطلقاً.
- 3- والنقب، بالتحريك: رقة خف البعير.
- 4- العار الباقي: عيب لا يكون في معرض الزوال.
- 5- وسمته وسمماً وسممةً: إذا أثرت فيه بسممة وكي.
- 6- الشنار: العيب والعار.
- 7- الموقدة: المؤججة على الدوام.
- 8- سورة الهمزة: 67.
- 9- الاطلاع على الأفئدة إشرافها على القلوب بحيث يبلغه ألمها كما يبلغ ظواهر البدن. وقيل: إن معناه أن هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر، بخلاف نيران الدنيا. وفي كشف الغمة: (إنها عليهم مؤصدة) والمؤصدة: المطبقة.
- 10- أي متلبس بعلم الله أعمالكم ويطلع عليها كما يعلم أحدكم ما يراه ويبصره، وقيل في قوله تعالى: «تجري بأعيننا» سورة القمر: 14، إن المعنى تجري بأعين أوليائنا من الملائكة والحفظة.
- 11- والمنقلب: المرجع والمنصرف، و(أي) منصوب على أنه صفة مصدر محذوف، والعامل فيه ينقلبون، لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه، وإنما يعمل فيه ما بعده، والتقدير: سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون انقلاباً أي انقلاب.

يَنْقَلِبُونَ»(1)، وأنا ابنة «نَذِيرٌ لَكُمْ(2) بَيْنَيْدِي عَذَابٍ شَدِيدٍ»(3)، فاعملوا(4) إنا عاملون، «وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ»(5)).

فأجابها(6) أبو بكر عبد الله بنعثمان وقال:

ص: 48

1- سورة الشعراء: 227.

2- أي أنا ابنة من أُنذركم بعذاب الله على ظلمكم، فقد تمت الحجة عليكم.

3- سورة سبأ: 46.

4- والأمر في (اعملوا) و(انظروا) للتهديد.

5- سورة هود: 122.

6- وفي دلائل الإمامة: ص39، قال: فأطلعت أم سلمة من بابها وقالت: ألمثل فاطمة (عليها السلام) يقال هذا؟ وهي الحوراء بين الإنس، والأنس للنفس، وبيت في حجور أمهات الأنبياء وتداولتها أيدي الملائكة، ونمت في المغارس الطاهرات، نشأت خير منشأ، وربيت خير مربى، أتزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرم عليها ميراثه ولم يعلمها، وقد قال الله تعالى: «وأُنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»، أفأُنذرها وجاءت تطلبه وهي خيرة النسوان، وأم سادة الشبان، وعديلة مريم ابنة عمران، وحليمة ليث الأقران. تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، فيوسدُها يمينه ويدثرها بشماله رويدا، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) بمرأى لأعينكم وعلى الله تردون، فواهاً لكم وسوف تعلمون، أنسيتم قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) (لعلي (عليه السلام)): أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وقوله: إني تارك فيكم الثقلين، ما أسرع ما أحدثتم وأعجل ما نكثتم. فحرمت أم سلمة عطاءها تلك السنة. عنه وفاة الصديقة (عليها السلام) لابن المقرم: ص98. وفي شرح النهج: ج16 ص214: قال أبو بكر: وحدثني محمد بن زكريا، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالإسناد الأول قال: فلما سمع أبو بكر خطبتها شق عليه مقالتها فصعد المنبر وقال: أيها الناس، ما هذه الرعبة إلى كل قالة! أين كانت هذه الأمانى في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة شهيدة ذنبة، مرب لكل فتنة، هو الذي يقول: كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، كأمر طحال أحب أهلها إليها البغي، ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إني ساكت ما تركت، ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهانكم، وأحق من لزم عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنتم، فقد جاءكم فأوئتم ونصرتهم، ألا- إني لست بأسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا، ثم نزل، فانصرفت فاطمة (عليها السلام) إلى منزلها. قلت: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري، وقلت له: بمن يعرض؟ فقال: بل يصرح. قلت: لو صرح لم أسألك. فضحك وقال: بعلي بن أبي طالب (عليه السلام). قلت: هذا الكلام كله لعلي (عليه السلام) يقوله!! قال: نعم، إنه الملك يا بني!! قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر علي (عليه السلام) فخاف من اضطراب الأمر عليهم، فنهاهم. عنه البحار: ج8 ص128 ط حجرية.

يا بنت رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وعقاباً عظيماً.

إن عزوانه (1) وجدناه أباكِ دون النساء، وأخا إلفكِ دون الأخلاء (2)، آثره على كل حميم، وساعده في كل أمر جسيم.

لا يحبكم إلا سعيد، ولا يبغضكم إلا شقي بعيد، فأنتم عترة رسول الله الطيبون، الخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا. وأنتِ يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله، ولا عملت إلا بذنه، والرائد لا يكذب أهله (3)، وإني أشهد الله وكفى به شهيداً، أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة،

ص: 49

1- عزوانه: نسبناه.

2- الأخلاء: مفردة الخليل وهو الصديق.

3- هذا مثل استشهاد به في صدق الخبر الذي افتراه على النبي (صلى الله عليه وآله)، والرائد: من يتقدم القوم يبصر لهم الكلاء والماء ومساقط الغيث، حيث جعل نفسه لاحتماله الخلافة التي هي الرياسة العامة بمنزلة الرائد للأمة الذي يجب عليه أن ينصحهم ويخبرهم بالصدق.

ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا، أن يحكم فيه بحكمه. وقد جعلنا ما حاولته في الكراع (1) والسلاح، يقاتل بها المسلمون، ويجاهدون الكفار، ويجالدون (2) المردة الفجار، وذلك بإجماع من المسلمين (3)، لم أنفرد به وحدي، ولم أستبد (4) بما كان الرأي عندي، وهذهحالي ومالي، هي لك وبين يديك، لا تزوي (5) عنك، ولا ندخر دونك، وإنك وأنت سيدة أمة أيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا ندفع ما لك من فضلك، ولا يوضع في فرعك وأصلك (6)، حكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين (7) أن أخالف في ذاك أباك (صلى الله عليه وآله).

فقال (عليها السلام):

«سبحان الله! ما كان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله صادفاً (8)..»

ص: 50

- 1- الكراع بضم الكاف: جماعة الخيل.
- 2- والمجالدة: المضاربة بالسيوف.
- 3- قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج 16 ص 221: إنه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلاّ أبو بكر وحده. وله كلام في ذلك أيضا في ص 227 و 22 فراجع. وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: ص 68: وأخرج أبو القاسم البغوي وأبو بكر الشافعي في فوائده وابن عساكر عن عائشة قالت: اختلفوا في ميراثه (صلى الله عليه وآله) فما وجدوا عند أحد من ذلك علما، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.
- 4- واستبد فلان بالرأي: أي انفرد به واستقل.
- 5- ولا تزوي عنك: أي لا تقبض ولا تصرف.
- 6- أي لا نحط درجتك ولا ننكر فضل أصولكم وأجدادك وفروعك وأولادك.
- 7- وترين: من الرأي بمعنى الاعتقاد.
- 8- الصادف عن الشيء: المعرض عنه.

ولا لأحكامه مخالفاً..

بل كان يتبع أثره(1)، ويقفو(2) سوره(3)، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً(4) عليه بالزور(5)، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي(6) له من الغوائل(7) في حياته، هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً، يقول: «يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»(8)، ويقول: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ»(9)..

وبين عزوجل فيما وزع(10) من الأقساط(11)..

وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث، ما أزاح(12) به علة المبطلين، وأزال التظني(13) والشبهات في الغابرين(14)، كلا

ص: 51

- 1- والأثر، بالتحريك وبالكسر: أثر القدم.
- 2- والقفو: الاتباع.
- 3- والسور، بالضم: كل مرتفع عال، ومنه (سور المدينة)، ويكون جمع سورة، وهي كل منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن لأنها منزلة بعد منزلة، ويجمع على سُوْر بفتح الواو، وفي العبارة يحتملها، والضمائر المجرورة تعود إلى الله تعالى أو إلى كتابه، والثاني أظهر.
- 4- والاعتلال: إبداء العلة والاعتذار.
- 5- والزور: الكذب.
- 6- والبغي: الطلب.
- 7- والغوائل: المهالك والدواهي، أشارت (عليها السلام) بذلك إلى ما دبروا - لعنهم الله - من إهلاك النبي (صلى الله عليه وآله) واستيصال أهل بيته (عليهم السلام) في العقبتين وغيرهما.
- 8- سورة مريم: 6.
- 9- سورة النمل: 16.
- 10- والتوزيع: التقسيم.
- 11- والقسط، بالكسر: الحصة والنصيب.
- 12- والإزاحة: الإذهاب والإبعاد.
- 13- والتظني: إعمال الظن وأصله التظنن.
- 14- والغابر: الباقي، وقد يطلق على الماضي.

«بَلْ سَوَّلَتْ (1) لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ (2) وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ» (3).

فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله وصدقت ابنته، أنتِ معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك (4)، هؤلاء المسلمون بيني وبينكِ قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر (5)، ولا مستبد ولا مستأثر (6)، وهم بذلك شهود.

فالتفت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس وقالت: «معاشر المسلمين المسرعة (7) إلى قيل (8) الباطل، المغضية (9) على الفعل

ص: 52

- 1- والتسويل: تحسين ما ليس بحسن، وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله، وقيل: هو تقدير معنى في النفس على الطمع في تمامه.
- 2- أي فصبري جميل، أو الصبر الجميل أولى من الجزع الذي لا يغني شيئاً. وقيل: إنما يكون الصبر جميلاً إذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذي وجب، ذكره السيد المرتضى (رحمة الله).
- 3- سورة يوسف: 18.
- 4- خطابك - في قول أبي بكر - من المصدر المضاف إلى الفاعل، ومراده بما تقلدوا، ما أخذ فدك أو الخلافة أي أخذت الخلافة بقول المسلمين واتفاقهم، فلزمني القيام بحدودها التي من جملتها أخذ فدك للحديث المذكور..
- 5- المكابرة: المغالبة.
- 6- الاستبداد والاستيثار: الانفراد بالشيء.
- 7- في بعض النسخ: (معاشر الناس المبتغية المسرعة).
- 8- القيل: بمعنى القول، وكذا القال، وقيل: (القول في الخير، والقيل والقال في الشر)، وقيل: (القول مصدر، والقيل والقال اسمان له).
- 9- والإغضاء: إدناء الجفون، وأغضى على الشيء: أي سكت ورضي به.

القيح الخاسر، أفلا تتدبرون «الْقُرْآنَ (1) أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» (2)، كلا بل ران (3) على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم..

ولبئس ما تأولتم (4)، وساء ما به أشرتهم (5)..

وشر (6) ما منه اغتصبتم (7)، لتجدنوالله محمله (8) ثقيلاً، وغبه (9) وبيلاً (10) إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه الضراء (11)، وبدا لكم من ربكم

ص: 53

- 1- روي عن الصادق والكاظم (عليهما السلام) في الآية أن المعنى: أفلا يتدبرون القرآن فيقضوا بما عليهم من الحق. وتنكير (القلوب) لإرادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم .
- 2- سورة محمد (صلى الله عليه وآله): 24.
- 3- الرين: الطبع والتغطية، وأصله الغلبة.
- 4- التأول والتأويل: التصيير والإرجاع ونقل الشيء عن موضعه، ومنه تأويل الألفاظ أي نقل اللفظ عن الظاهر.
- 5- والإشارة: الأمر بأحسن الوجوه في أمر.
- 6- شرّ، كفرّ: بمعنى ساء.
- 7- في بعض النسخ: (اعتضتم) والاعتياض: أخذ العوض والرضا به، والمعنى: ساء ما أخذتم منه عوضاً عما تركتم.
- 8- المحمل: كمجلس، مصدر.
- 9- والغب، بالكسر: العاقبة.
- 10- في الأصل الثقل والمكروه، ويراد به في عرف الشرع: عذاب الآخرة، والعذاب الوبيل: الشديد.
- 11- الضراء، بالفتح والتخفيف: الشجر الملتف، كما مر. يقال: توارى الصيد مني في ضراء. و(الوراء) يكون بمعنى قدام كما يكون بمعنى خلف، وبالأول فسّر قوله تعالى: «وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا» سورة الكهف: 79. ويحتمل أن تكون الهاء زيدت من النساخ، أو الهمزة فيكون على الأخير بتشديد الراء من قولهم: (ورّى الشيء تورية): أي أخفاه، وعلى التقادير فالمعنى: ظهر لكم ما ستره عنكم الضراء.

ما لم تكونوا تحتسبون(1)، «وَحَسِيرَ هُنَالِكَ الْمُبْطُلُونَ»(2)، (3).

ثم عطف على قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وقالت(4):

قد كان بعدك أنباء وهنبثة (5) *** لو كنت شاهداً (6) لم تكثر الخطب (7)

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها(8) *** واختل قومك فاشهدهم ولا تغب(9)

وكل أهل له قربي(10) ومنزلة (11) *** عند الإله على الأذنين (12) مقترب(13)

ص: 54

1- أي ظهر لكم من صنوف العذاب ما لم تكونوا تنتظرونه ولا تظنونونه واصلاً إليكم ولم يكن في حسابكم.

2- سورة غافر: 78.

3- المبطل: صاحب الباطل، من أبطل الرجل إذا أتى بالباطل.

4- في كشف الغمة: (ثم التفتت إلى قبر أبيها متمثلة بقول هند ابنة أத்தை) ثم ذكر الأبيات.

5- الخطب، بالفتح: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال.

6- قال في النهاية: الهنبثة: واحدة الهنابث، وهي الأمور الشداد المختلفة. والهنبثة: الاختلاط في القول، والنون زائدة، وذكر فيه أن فاطمة

(عليها السلام) قالت بعد موت النبي (صلى الله عليه وآله): قد كان بعدك أنباء... إلى آخر البيتين، إلا أنه قال: فاشهدهم ولا تغب.

7- الشهود: الحضور.

8- في بعض النسخ: (فقد نكب) ونكب فلان عن الطريق، كنصر وفرح: أي عدل ومال.

9- الوابل: المطر الشديد.

10- الأذنين: هم الأقربون.

11- اقترب: أي تقارب. وقال في مجمع البيان: في اقترب زيادة مبالغة على قرب، كما أن في اقتدر زيادة مبالغة على قدر، ويمكن تصحيح

تركيب البيت وتأويل معناه على وجوه: الأول: وهو الأظهر أن جملة (له قربي) صفة لأهل، والتنوين في (منزلة) للتعظيم، والظرفان متعلقان

بالمنزلة لما فيها من معنى الزيادة والرجحان. و(مقترب خبر لكل، أي ذو القرب الحقيقي أو عند ذي الأهل كل أهل كانت له مزية وزيادة

على غيره من الأقربين عند الله تعالى. والثاني: تعلق الظرفين بقولها: (مقترب) أي كل أهل له قرب ومنزلة من ذي الأهل فهو عند الله تعالى

مقترب مفضل على سائر الأذنين. والثالث: تعلق الظرف الأول بالمنزلة، والثاني بالمقترب، أي كل أهل اتصف بالقربي بالرجل وبالمنزلة

عند الله فهو مفضل على سائر الأذنين. والرابع: أن يكون جملة (له قربي) خبراً للكلمة، و(مقترب) خبراً ثانياً. وفي الظرفين يجري

الاحتمالات السابقة، والمعنى: أن كل أهل نبي من الأنبياء له قرب ومنزلة عند الله ومفضل على سائر الأقارب عند الأمة.

12- القربي: في الأصل القرابة في الرحم.

13- المنزلة: المرتبة والدرجة، ولا تجمع.

أبدت (1) رجال لنا نجوى صدورهم (2) *** لما مضيت وحالت (3) دونك (4) الترب (5)

تجهمتنا (6) رجال واستخف بنا *** لما فقدت وكل الأرض مغتصب (7)

وكنت بدمراً ونوراً يستضاء به *** عليك ينزل من ذي العزة الكتب

ص: 55

- 1- دون الشيء: قريب منه، يقال: دون النهر جماعة، أي قبل أن تصل إليه.
- 2- قال الفيروز آبادي: الترب والتراب والتربة: معروف، وجمع التراب: أتربة وتربان، ولم يسمع لسائرهما بجمع، انتهى. فيمكن أن يكون بصيغة المفرد والتأنيث بتأويل الأرض كما قيل، والأظهر أنه بضم التاء وفتح الراء جمع تربة، قال في مصباح اللغة: التربة: المقبرة، والجمع ترب، مثل غرفة وغرف.
- 3- بدى الأمر بدواً: ظهر. وأبداه: أظهره.
- 4- النجوى: الاسم من نجوته إذا ساررت، ونجوى صدورهم: ما أضمره من نفوسهم من العداوة ولم يتمكنوا من إظهاره في حياته (صلى الله عليه وآله). وفي بعض النسخ: (فحوى صدورهم) وفحوى القول: معناه، والمآل واحد.
- 5- حال الشيء بيني وبينك: أي منعي من الوصول إليك.
- 6- المغتصب: على بناء المفعول المغصوب.
- 7- التهجم: الاستقبال بالوجه الكريه.

وكان جبرئيل بالآيات يؤنسنا *** فقد فقدت وكل الخير محتجب (1)

فليت قبلك كان الموت صادفنا (2) *** لما مضيت وحالت دونك الكشب (3)

إنا رزينا (4) بما لم يرز ذو شجن (5) *** من البرية لا عجم (6) ولا عرب

ثم انكفأت (7) (عليها السلام) وأمير المؤمنين (عليه السلام) يتوقع (8) رجوعها إليه..

ويتطلع طلوعها (9) عليه، فلما استقرت بها الدار (10) قالت لأمير المؤمنين (عليه السلام): «يا ابن أبي طالب، اشتملت (11) شملة (12) الجنين (13)، وقعدت

ص: 56

- 1- المحتجب: على بناء الفاعل.
- 2- والكشب، بضمين: جمع كتيب وهو التل من الرمل.
- 3- صادفه: وجده ولقيه.
- 4- الشجن، بالتحريك: الحزن.
- 5- وفي القاموس: العجم، بالضم والتحريك، خلاف العرب. انتهى ما قاله المجلسي (رحمة الله).
- 6- والرزء، بالضم مهموزاً: المصيبة بفقد الأعدة، و(رزينا) على بناء المجهول.
- 7- والانكفاء: الرجوع. وفي نسخة قديمة لكشف الغمة منقول من خط المصنف، مكتوباً على هامشها بعد إيراد خطبتها (صلوات الله عليها) ما هذا لفظه: وجدت بخط السيد المرتضى علم الهدى الموسوي (قدس الله روحه) أنه لما خرجت فاطمة (عليها السلام) من عند أبي بكر، حين ردها عن فدك، استقبلها أمير المؤمنين (عليه السلام) فجعلت تعنّفه ثم قال: اشتملت... إلى آخر كلامها (عليها السلام).
- 8- وتوقعت الشيء واستوقعته: أي انتظرت وقوعه.
- 9- وطلعت على القوم: أتيتهم، وتطلع الطلوع انتظاره.
- 10- أي سكنت كأنها اضطرت وتحركت لخروجها، أو على سبيل القلب وهذا شائع، يقال: استقرت نوى القوم، واستقرت بهم النوى، أي أقاموا.
- 11- اشتمل بالثوب: أي أداره على جسده كله.
- 12- والشملة، بالفتح: كساء يشتمل به، والشملة بالكسر: هيئة الاشتمال، فالشملة إما مفعول مطلق من غير الباب كقوله تعالى: «نباتا» أو في الكلام حذف وإيصال. وفي رواية السيد: (مشيمة الجنين): وهي محل الولد في الرحم، ولعله أظهر.
- 13- الولد ما دام في البطن.

- 1- الحجرة، بالضم: حظيرة الإبل، ومنه حجرة الدار.
- 2- الظنين: المتهم. والمعنى: اختفيت عن الناس كالجنين، وقعدت عن طلب الحق، ونزلت منزلة الخائف المتهم، وفي رواية السيد: (الحجرة) بالزاي المعجمة. وفي بعض النسخ: (قعدت حجرة الظنين)، وقال في النهاية: الحجرة موضع شد الإزار، ثم قيل: للإزار، حجرة للمجاورة. وفي القاموس: الحجرة بالضم: معقد الإزار، ومن الفرس مركب مؤخر الصفاق بالحقو، وقال: شدة الحجز، كناية عن الصبر.
- 3- قوادم الطير: مقادير ريشه، وهي عشر في كل جناح، واحدها: قادمة.
- 4- الصقر.
- 5- الأعزل: الذي لا سلاح معه، قيل: لعلها (صلوات الله عليها) شبّهت الصقر الذي نقضت قواده بمن لا سلاح له، والمعنى: تركت طلب الخلافة في أول الأمر قبل أن يتمكنوا منها ويشيدوا أركانها وظننت أن الناس لا يرون غيرك أهلا للخلافة، ولا يقدّمون عليك أحدا، فكنت كمن يتوقع الطيران من صقر منقوضة القوادم. ويحتمل أن يكون المراد أنك نازلت الأبطال، وخضت الأهوال، ولم تبال بكثرة الرجال، حتى نقضت شوكتهم، واليوم غلبت من هؤلاء الضعفاء والأرزال، وسلمت لهم الأمر ولا تنازعهم، وعلى هذا ربما كان في الأصل: خاتك، بالتاء المشناة الفوقانية. قال الجوهري: خات البازي واختات أي انقضّ ليأخذه، وقال الشاعر: يخوتون أخرى القوم خوت الأجادل، والخاتنة: العقاب إذا انقضت فسمعت صوت انقضاضها، والخوات: دوي جناح العقاب، والخوات بالتحديد: الرجل الجريء، وفي رواية السيد (نقضت) بالفاء، وهو يؤيد المعنى الأول.
- 6- والابتزاز: الاستلاب وأخذ الشيء بقهر وغلبة من البزّ بمعنى السلب.
- 7- فعلية بمعنى مفعول من النحلة، بالكسر، بمعنى الهبة والعطية عن طيبة نفس من غير مطالبة أو عوض.

وبلغة (1) ابني (2)، لقد أجهد (3) في خصامي (4)، وألفيته (5) ألد في كلامي (6)..

حتى حبستني قبيلة (7) نصرها، والمهاجرة (8) وصلها (9)..

وغضت (10) الجماعة دوني طرفها (11)، فلا دافع ولا مانع (12)..

خرجت كاظمة (13)، وعدت راغمة (14)..

ص: 58

- 1- والبُلغة، بالضم: ما يبلغ به من العيش ويكتفى به. وفي أكثر النسخ: (بليغة) بالتصغير، فالتصغير في النحيلة أيضاً أنسب.
- 2- وابني: إما بتخفيف الياء فالمراد به الجنس، أو تشديدها على التثنية.
- 3- في بعض النسخ: (وأجهر) وإجهار الشيء: إعلانه.
- 4- والخصام: مصدر كالمخاصمة، ويحتمل أن يكون جمع خصم، أي أجهر العداوة أو الكلام لي بين الخصام والأول أظهر.
- 5- ألفيته: أي وجدته.
- 6- والألدّ: شديد الخصومة، وليس فعلاً ماضياً، فإن فعله على بناء المجرد، والإضافة في (كلامي) إما من قبيل الإضافة إلى المخاطب أو إلى المتكلم، وفي للظرفية أو السببية. وفي رواية السيد: (هذا بني أبي قحافة) إلى قوله (لقد أجهد في ظلامي وألدّ في خصامتي). قال الجزري: ويقال: جهد الرجل في الأمر، إذا جدّ وبالغ فيه، وأجهد دابته، إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها.
- 7- قبيلة، بالفتح: اسم أم قديمة لقبيلتي الأنصار، والمراد بنو قبيلة. وفي رواية السيد: (حين منعتني الأنصار نصرها).
- 8- وموصوف المهاجرة الطائفة أو نحوها.
- 9- والمراد بوصلها: عونها.
- 10- غضه: حفظه، وفي النهاية: ج3 ص371: غَضَّ طرفه أي كسره وأطرق ولم يفتح عينه.
- 11- وفي بعض النسخ: (الطرف) بالفتح: العين.
- 12- في رواية السيد بعد قولها (ولا مانع): (ولا ناصر ولا شافع خرجت كاظمة وعدت راغمة).
- 13- كظم الغيظ: تجرعه والصبر عليه.
- 14- رغم فلان، بالفتح: إذا ذلّ وعجز عن الانتصاف ممن ظلمه، والظاهر من الخروج، الخروج من البيت وهو لا يناسب كاظمة، إلا أن يراد بها الامتلاء من الغيظ، فإنه من لوازم الكظم، ويحتمل أن يكون المراد الخروج من المسجد المعبر عنه ثانياً بالعود كما قيل. وفي رواية السيد مكان (عدت): (رجعت).

أضرت (1) خدك يوم أضعت (2) حدك (3)..

افترت (4) الذئب.. وافترشت التراب.. ما كفت (5) قائلاً.. ولا أغنيت (6)..

ص: 59

1- ضرع الرجل، مثلثة: خضع وذلل، وأضرعه غيره، وإسناد الضراعة إلى الخد لأن أظهر أفرادها وضع الخد على التراب، أو لأن الذل يظهر في الوجه.

2- إضاعة الشيء وتضييعه: إهماله وإهلاكه.

3- حدّ الرجل، بالحاء المهملة: بأسه وبطشه. وفي بعض النسخ بالجيم، أي تركت اهتمامك وسعيك، وفي رواية السيد: (فقد أضعت حدك يوم أضرت حدك).

4- وفرس الأسد فريسته كضرب وافترسها: دقّ عنقها، ويستعمل في كل قتل، ويمكن أن يقرأ بصيغة الغائب، فالذئب مرفوع. والمعنى قعدت عن طلب الخلافة، ولزمت الأرض مع أنك أسد الله والخلافة كانت فريستك، حتى افترسها وأخذها الذئب الغاصب لها، ويحتمل أن يكون بصيغة الخطاب، أي كنت تفترس الذئب واليوم افترشت التراب. وفي بعض النسخ: (الذباب) بالباين الموحدين: جمع ذبابة، فيتعين الأول. وفي بعضها: (افترست الذئب وافترستك الذئب). وفي رواية السيد مكانهما: (وتوسدت الورا كالوزغ، ومستك الهناة والنزغ) والوراء: بمعنى الخلف، والهناة: الشدة والفتنة، والنزغ: الطعن والفساد.

5- الكف: المنع.

6- الإغناء: الصرف والكف، يقال: أغن عني شرك، أي اصرفه وكفه، به فسّر قوله سبحانه «إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً» سورة الجاثية: 19. وفي رواية السيد: (ولا أغنيت طائلاً) وهو أظهر. قال الجوهري: يقال هذا أمر لا طائل فيه، إذا لم يكن فيه غناء ومزية، انتهى. فالمراد بالغناء: النفع، ويقال: ما يغني عنك هذا، أي ما يجديك وما ينفعك.

ولا خيار لي، ليتني متّ قبل هنيئتي (2) ودون ذلتي (3)..

عذيري (4) الله منه (5) عادياً (6)، ومنكحامياً (7)، ويلاي (8) في كل

ص: 60

1- في بعض النسخ: (باطلاً).

2- في بعض النسخ: (الهيئنة) بالفتح: العادة في الرفق والسكون، ويقال: امش على هنيئك، أي على رسلك، أي ليتني متّ قبل هذا اليوم الذي لا بد لي من الصبر على ظلمهم، ولا محيص لي عن الرفق.

3- في بعض النسخ: (زلتي) والزلة بفتح الزاي: الإسم من قولك زللت في طين، أو منطلق، إذا زلقت ويكون بمعنى السقطة، والمراد بها عدم القدرة على دفع الظلم، ولو كانت الكلمة بالذال المعجمة كان أظهر وأوضح كما في رواية السيد فإن فيها (وا لهفتاه ليتني متّ قبل ذلتي ودون هنيئتي عذيري الله منك عادياً ومنك حامياً).

4- العذير: بمعنى العاذر، كالسميع، أو بمعنى العذر كالأليم.

5- في بعض النسخ: (منك) أي من أجل الإساءة إليك وإيذائك، و(عذيري الله) مرفوعان بالابتدائية والخبرية.

6- عادياً: إما من قولهم: عدوت فلاناً عن الأمر، أي صرفته عنه، أو من العدوان، بمعنى تجاوز الحدّ، وهو حال عن ضمير المخاطب، أي الله يقيم العذر من قبلي في إساءتي إليك حال صرفك المكاره ودفعتك الظلم عني، أو حال تجاوزك الحدّ في القعود عن نصري، أي عذيري في هكذا خطاب: أنك قصرت في إعانتني والذب عني. أي بحسب الظاهر.

7- الحماية عن الرجل: الدفع عنه، ويحتمل أن يكون (عذيري) منصوباً كما هو الشائع في هذه الكلمة، والله مجروراً بالقسم، يقال: عذيرك من فلان، أي هات من يعذرك فيه. ومنه قول أمير المؤمنين (عليه السلام) حين نظر إلى ابن ملجم لعنه الله: عذيرك من خليلك من مراد. والأول أظهر.

8- قال الجوهري: ويل كلمة مثل ويح، إلا أنها كلمة عذاب، يقال: ويله وويلك وويلي، وفي الندبة: ويلاه، ولعله جمع فيها بين ألف الندبة وياء المتكلم. ويحتمل أن يكون بصيغة التثنية، فيكون مبتدأ والظرف خبره، والمراد به تكرر الويل. وفي رواية السيد: (ويلاه في كل شارق، ويلاه في كل غارب، ويلاه مات العمدة، وذللّ العصد) إلى قولها (عليها السلام): (اللهم أنت أشد قوة وبطشاً).

شارق(1)، ويلاي في كل غارب، مات العمدة(2)، ووهن العضد..

شكواي (3) إلى أبي، وعدواي (4) إلى ربي..

اللهم إنك أشد منهم قوة وحولاً (5)..

وأشد بأساً (6) وتنكيلاً (7). فقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«لا ويل لك، بل الويل لشانتك (8)..»

ثم نهني (9) عن وجدك (10) يا ابنة الصفة (11) وبقية النبوة..

فما ونيت (12) عن ديني.. ولا أخطأت مقدوري..

ص: 61

-
- 1- الشارق: الشمس، أي عند كل شروق شارق وطلوع صباح كل يوم. قال الجوهري: الشرق المشرق والشرق: الشمس، يقال: طلع الشرق ولا آتيك، ما ذرّ شارق وشرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً أيضاً، أي طلعت، وأشرقت أي أضاءت.
 - 2- العمدة، بالتحريك وبضمّتين: جمع العمود، ولعل المراد هنا ما يعتمد عليه في الأمور.
 - 3- الشكوى: الاسم من قولك: شكوت فلاناً شكاية.
 - 4- العدو: طلبك إلى وال لينتقم لك ممن ظلمك.
 - 5- الحول: القوة والحيلة والدفع والمنع، الكل هنا محتمل.
 - 6- البأس: العذاب.
 - 7- التنكيل: العقوبة، وجعل الرجل نكالاّ وعبرة لغيره.
 - 8- أي العذاب والشر لمبغضك، والشنأة: البغض، وفي رواية السيد: (لمن أحزنك).
 - 9- ونهنت الرجل عن الشيء فتنهته: أي كففته وزجرته فكفّ.
 - 10- الوجد: الغضب، أي امنعي نفسك عن غضبك. وفي بعض النسخ: (تنهني) وهو أظهر.
 - 11- الصفة، مثلثة: خلاصة الشيء وخياره.
 - 12- الوني، كفتي: الضعف والفتور والكلال. والفعل كوفى يقي، أي ما عجزت عن القيام بما أمرني به ربي، وما تركت ما دخل تحت قدرتي.

فإن كنتَ تريدُين البلغة (1)، فرزقك مضمون (2)، وكفيلك مأمون..

وما أعد لك (3) أفضل مما قطع عنك..

فاحتسبي (4) الله، فقالت: «حسبي الله»..

وأمسكت (5).

ص: 62

1- البلغة، بالضم: ما يكفي من العيش ولا يفضل.

2- والضامن والكفيل للرزق هو الله تعالى.

3- وما أعد لها: هو ثواب الآخرة.

4- الاحتساب: الاعتداد، ويقال لمن ينوي بعمله وجه الله تعالى: احتسبه. أي اصبري وادخري ثوابه عند الله تعالى. وفي رواية السيد: (فقال لها أمير المؤمنين (عليه السلام): لا ويل لك، بل الويل لمن أحزنك، نهني عن وجدك يا بنية الصفة، وبقية النبوة، فما ونيت عن حظك، ولا أخطأت مقدرتي، فقد ترى فإن ترزني حقا فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما عند الله خير لك مما قطع عنك، فرفعت يدها الكريمة، وقالت: رضيت وسلّمت. قال في القاموس: رزأه ماله كجعله وعمله، رزءً بالضم: أصاب منه شيئاً.

5- انتهى ما نقلناه من كتاب (عوامل العلوم ومستدركاتهما) نصاً وتعليقاً.

روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه (عليهم السلام):

إشارة

استحباب الرواية ووجوبها

مسألة: يستحب مطلق الرواية: العقائدية، أو الفقهية، أو الأخلاقية، أو الأدبية، أو التاريخية، أو غيرها. وقد تجب لوجوب حفظ آثار النبوة والإمامة، وإن كانت في المستحبات أو المكروهات أو المباحات في الجملة.

فإن المعصومين (عليهم السلام) كانوا يحرضون أصحابهم على الرواية ونشر العلم والثقافة⁽¹⁾، كما كانوا يتصدون بنحو واسع لذلك، وهذه الرواية من أهم مصاديقه.

وقد أشرنا إلى قسم من هذا المبحث في المجلد الأول من هذا الكتاب.

رواية هذه الخطبة

مسألة: تستحب رواية هذه الخطبة بصورة خاصة، حيث رواها العديد من المعصومين (عليهم الصلاة والسلام)⁽²⁾.

ص: 63

1- راجع الكافي: ج 1 ص 52 باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسك بالكتب ح 11، وفيه: عن المفضل بن عمر، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «اكتب وبتّ علمك في إخوانك، فإن مت فأورث كتبك بنيك؛ فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم».

2- فقد رواها العديد من الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، راجع دلائل الإمامة: ص 30 حديث فدك.

ومن الممكن أن تكون الرواية لهذه الخطبة - أحياناً - واجبة لما ذكرناه، سابقاً (1) ولدخولها تحت عناوين أخرى عديدة (2) تقتضي الوجوب أو الاستحباب.

وهذه الخطبة متلقاة بالقبول، وقد كان الأئمة الأطهار (عليهم السلام) والأعلام من الأخيار يتعاهدون هذه الخطبة ويتواصون بها ويعلمونها أولادهم جيلاً بعد جيل (3). فهي مقبولة سنداً لتلقي الأصحاب والعلماء عصرها بعد عصر لها بالقبول، وهو دليل الاعتبار عقلاً، وشهرتها الروائية كبيرة جداً (4).

ص: 64

1- في المقدمة يياجز وفي المجلد الأول بتفصيل.

2- كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وشمول أمثال: «وَلْيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ...» - سورة التوبة: 122 - لها وهكذا.

3- فمثلاً ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ج 16 ص 252 ف 2: (فقال لي - أي زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) -: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه - أي كلام فاطمة (عليها السلام) عند منع أبي بكر إياها فدك - عن آبائهم، ويعلمونه أولادهم... وقد حدثني به أبي، عن جدي يبلغ به فاطمة (عليها السلام) على هذه الحكاية، وقد رواه مشايخ الشيعة وتدارسوه...، انتهى.

4- قال العلامة المجلسي (قدس سره) في (بحار الأنوار): اعلم أن هذه الخطبة من الخطب المشهورة التي روتها الخاصة والعامة بأسانيد متظافرة... - بحار الأنوار: ج 29 ص 215 ب 11 فصل نورد فيه خطبة خطبتها سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام) -. وقال العلامة الإربلي: وقد أوردها المؤلف والمخالف... - كشف الغمة: ج 1 ص 480 فاطمة (عليها السلام) -. ومن الواضح أن عبارته (قدس سره) وعبارة العلامة المجلسي (قدس سره) وعبارة المرتضى (قدس سره) اللاحقة لاتقل إطلاقاً في الحجية العقلانية عن نقل ثقة عن ثقة.

وقد سبق بعض كلام ابن أبي الحديد عن زيد بن علي بن الحسين (عليهم السلام)، كما قد نقل عن السيد المرتضى (قدس سره) قوله: وقد روي هذا الكلام على هذا الوجه من طرق مختلفة ووجوه كثيرة، فمن أرادها أخذها من مواضعها. وقال العلامة شرف الدين (قدس سره): السلف من بني علي وفاطمة (عليهما السلام) يروي خطبتها في ذلك اليوم لمن بعده، ومن بعده رواها لمن بعده حتى انتهت إلينا يداً عن يد، فحن الفاطميون نروها عن آبائنا، وأباؤنا يروونها عن آبائهم، وهكذا كان الحال في جميع الأجيال إلى زمن الأئمة (عليهم السلام) من أبناء علي وفاطمة (عليهما السلام)... - النص والاجتهاد، المورد 7 هامش ص 106107-. وقد رواها المسعودي، وابن طيفور في (بلاغات النساء)، وغيرهم في غيرها. وفي (عوامل العلوم ومستدركاته) مجلد فاطمة الزهراء (عليها السلام) ج 2 ص 698-700: قال المجلسي (رحمة الله): ثم اعلم أن هذه الخطبة من الخطب المشهورة التي روتها الخاصة والعامة بأسانيد متظافرة: قال عبد الحميد ابن أبي الحديد في شرح كتابه (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف عند ذكر الأخبار الواردة في فدك حيث قال: الفصل الأول فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم، وجميع ما نورد في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في (السقيفة وفدك)، وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الأدب، ثقة ورع، أثنى عليه المحدثون، ورووا عنه مصنفاته وغير مصنفاته - ثم قال: - قال أبو بكر: حدثني محمد بن زكريا، عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن الحسن بن صالح، قال: حدثني ابن خالات من بني هاشم، عن زينب بنت علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، قال: وقال جعفر بن محمد بن عمارة: حدثني أبي، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه (عليه السلام). قال أبو بكر: وحدثني عثمان بن عمران العجيفي، عن

نائل بن نجیح، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام). قال أبو بكر: وحدثني أحمد بن محمد بن زيد، عن عبد الله ابن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن الحسن، قالوا جميعاً: لما بلغ فاطمة (عليها السلام) إجماع أبي بكر على منعها فداكاً لاثت خمارها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذبولها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار، فضربت بينهم وبينها ربطة بيضاء، وقال بعضهم: قبطية، وقالوا: قبطية - بالكسر والضم - ثم أنت أنة أجهد لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت طويلاً حتى سكنوا من فورتهم، ثم قالت: «ابتدأ بحمد من هو أولى بالحمد، والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم». وذكر خطبة طويلة جداً، قالت في آخرها: «فاتقوا الله حق تقاته وأطيعوه فيما أمركم به» - إلى آخر الخطبة - انتهى كلام ابن أبي الحديد. وقد أورد الخطبة علي بن عيسى الإبلي في كتابه (كشف الغمة)، قال: نقلتها من كتاب (السقيفة) تأليف أحمد بن عبد العزيز الجوهري من نسخة قديمة مقروءة على مؤلفها المذكور قرأت عليه في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، روى عن رجاله من عدة طرق: أن فاطمة (عليها السلام) لما بلغها إجماع أبي بكر... إلى آخر الخطبة. وقد أشار إليها المسعودي في (مروج الذهب). وقال السيد المرتضى (رحمة الله) في (الشافعي): أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، عن محمد ابن محمد الكاتب، عن أحمد بن عبيد الله النحوي، عن الزيايدي، عن شرفي بن قطامي، عن محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن عروة، عن عائشة. قال المرزباني: وحدثني أحمد بن محمد المكي، عن محمد بن القاسم اليماني، عن قال: حدثنا ابن عائشة، قالوا: لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقبلت فاطمة (عليها السلام) في لمة من حفدتها إلى أبي بكر... وفي الرواية الأولى قالت عائشة: لما سمعت فاطمة (عليها السلام) إجماع أبي بكر على منعها فداكاً لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها... ثم اتفقت الروايتان من ها هنا: ونساء قومها، وساق الحديث نحو ما مر إلى قوله: افتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء عليه، والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم قالت: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم»، إلى آخرها. قال: وسيأتي أسانيد أخرى سنوردها من كتاب أحمد بن أبي طاهر. وروى الصدوق (رحمة الله) بعض فقراتها المتعلقة بالعلل في الشرائع: عن ابن المتوكل، عن السعد آبادي، عن البرقي، عن إسماعيل بن مهران، عن أحمد بن محمد بن جابر، عن زينب بنت علي (عليها السلام)... قال: وأخبرنا علي بن حاتم، عن محمد بن أسلم، عن عبد الجليل البقاطاني، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن عبد الله بن محمد المعاوي، عن رجال من أهل بيته، عن زينب بنت علي (عليها السلام)، عن فاطمة (عليها السلام) (بمثله)... وأخبرني علي بن حاتم، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن عمارة، عن محمد بن إبراهيم المصري، عن هارون بن يحيى، عن عبيد الله بن موسى العبسي، عن حفص الأحمر، عن زيد بن علي، عن عمته زينب بنت علي، عن فاطمة (عليها السلام).. وزاد بعضهم على بعض في اللفظ. قال: قد أوردت ما رواه في المجلد الثالث، وإنما أوردت الأسانيد هنا ليعلم أنه روى هذه الخطبة بأسانيد جملة. روى الشيخ المفيد (رحمة الله) الأبيات المذكورة فيها بالسند المذكور في أوائل الباب. وروى السيد ابن طاووس (رحمة الله) في كتاب (الطرائف) موضع الشكوى والاحتجاج من هذه الخطبة عن الشيخ أسعد بن شفروة في كتاب (الفائق)، عن الشيخ المعظم عندهم الحافظ الثقة بينهم أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني في كتاب (المناقب)، قال: أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم، عن شرفي بن قطامي، عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة. ورواها الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب (الاحتجاج): مراسلاً. كما ذكرنا عنه وذكر بعض فقراتها في (مكارم الأخلاق)، انتهى.

إضافةً إلى القرائن المقالية والمقامية الكثيرة الشاهدة لها: كنقل المخالفين لها مع توفر الدواعي على عدم النقل، وكقوة المضمون في الكثير من مقاطعها، بل في كلها، وكتطابق مضمونها مع الأصول والقواعد(1).

ص: 67

1- قد سبق في المجلد الأول الحديث عن الجهة السننية للكثير من كلماتها (عليها الصلاة والسلام) فليراجع. ومن الواضح أن مجموع ما سبق يوجب اعتباراً عقلائياً أقوى بكثير من الوثيقة الحاصلة من (خبر الواحد).

رواية النساء

مسألة: يستحب الرواية للنساء، كما يستحب الرواية للرجال، للإطلاقات، ولأن هذه الخطبة روتها - في جملة روايتها - السيدة زينب (صلوات الله عليها) وقد نقلها عنها المعصوم (عليه السلام) (1).. إضافة إلى كون أقوالها (2) وأفعالها (عليها السلام) حجةً على ما بيناه في الجملة (3).

وهذا المورد من باب المصدق، وإن كانت له مزية، إلا أنها غير حاضرة؛ لكونه صغرى لكبرى كلية، وقد سبق البحث عن ذلك في الفصل الأول من الكتاب (4).

تحمل المميز

مسألة: يستفاد من هذه الرواية أيضاً: صحة تحمل المميز للرواية (5)، وجواز الاعتماد عليه إذا رواها بعد البلوغ؛ لأن السيدة زينب (عليها الصلاة

ص: 68

- 1- وقد روى هذه الخطبة أيضاً الإمام الحسن والإمام الحسين والإمام الباقر والإمام الصادق وغيرهم (عليهم السلام)، وكذلك روتها عائشة أيضاً - شرح نهج البلاغة: ج 16 ص 249 ف 2، والعوالم: ج 11 ص 478 -.
- 2- أي السيدة زينب (عليها السلام).
- 3- راجع كتاب (السيدة زينب (عليها السلام) عالمة غير معلمة) للإمام الشيرازي (رحمة الله).
- 4- المجلد الأول من كتاب (من فقه الزهراء (عليها السلام)).
- 5- (وقت التحمل) - حسب اصطلاح علماء الدراية -: هو وقت سماع الإنسان للرواية أو مشاهدته للحدث، و(وقت الرواية): هو وقت نقله لما سمعه أو رآه سابقاً.

والسلام) كان عمرها - حين الخطبة - دون البلوغ، إذ أن بعض أسناد الخطبة ينتهي إليها (صلوات الله عليها) (1)، وإن كان لا يُقاس بهم (عليهم السلام) أحد.. فإنهم (عليهم السلام) قد زُقوا العلم زُقاً (2)، وقال الإمام السجاد (عليه السلام) لها (عليها السلام): «وأنت - بحمد الله - عالمة غير مُعلِّمة، وفهّمة غير مُفهِمة» (3)، لكنهم (عليهم السلام) أسوة، وذلك هو الأصل.

فكونهم (عليهم السلام) لا يُقاس بهم أحد، يُراد به جانب الفضائل، لا في جانب الاشتراك في التكاليف والأحكام - بنحو الأصل - فتأمل. ومنه يعلم حجّية قول البالغ إذا حكى عما قبل البلوغ، أما لو روى وهو مميز فلا يبعد القول بالحجّية أيضاً (4) لبناء العقلاء على ذلك، وللسيرة، ولغير ذلك.

أما في أمثال عكسه فلا، كما إذا سمع أو رأى في حال العقل ثم جُنَّ أو ما أشبه ذلك.

ص: 69

-
- 1- راجع عوالم العلوم ومستدركاتهما، مجلد فاطمة الزهراء (عليها السلام): ج 2 ص 700.
 - 2- بحار الأنوار: ج 45 ص 138 ب 39 ضمن ح 1.
 - 3- بحار الأنوار: ج 45 ص 164 ب 39 ح 7.
 - 4- في الجملة.

أنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً

إشارة

أنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً (1)

الدفاع عن الولاية

مسألة: يستحب، بل يجب - حسب اختلاف الموارد - الاهتمام بما يرتبط بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، والذبّ عن حريمهم، فقد ورد أنه: «بني الإسلام على خمس دعائم: على الصلاة والزكاة والصوم والحج وولاية أمير المؤمنين والأئمة من ولده (عليهم السلام)» (2).

ولذلك قامت السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) بتلك الأعمال الجليلة، واتخذت تلك المواقف العسيرة والمصيرية في الدفاع عن الإمام (عليه السلام) حتى استشهدت في سبيل ذلك.

وهذا الأمر مما يلاحظ في مراتبه الأهم والمهم، فإن كان الأمر أهم جاز حتى الاستشهاد، وقد يجب أحياناً، كما لو توقف عليه حفظ بيضة الإسلام، وكما في التصدي للبدع وما أشبه ذلك (3).

وإن كان بقاء الإنسان أهم بما هو هو، أو من حيث الآثار الأخرى التي ستترتب على وجوده لم يجز إلى هذا الحد.

وكذلك حال ما دون الاستشهاد كالجرح والضرب وما أشبه حسب ما تقتضيه القواعد العامة، وعلى ما يقتضيه باب التزاحم (4).

ص: 70

1- لفظ (فدك) مما يجوز فيه الصرف وعدم الصرف. وربما أخذ التنوين والكسر، وربما لم يقبلهما.

2- وسائل الشيعة: ج 1 ص 25 ب 1 ح 29.

3- راجع موسوعة الفقه: ج 47-48 كتاب الجهاد.

4- راجع موسوعة الفقه: ج 48 كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتشخيص ذلك عائد إلى الفقيه، أو مرجع التقليد، أو شورى المراجع، أو إلى الفرد نفسه أحياناً، حسب اختلاف الموارد(1) على ما فصلناه في بعض الكتب(2).

الجهر بالحق

مسألة: يلزم بيان أن فدك كانت ملكاً للزهراء (صلوات الله عليها)، كما يجب الاعتقاد بذلك، على ما يستفاد من مطاوي الخطبة، ومن شدة اهتمام الزهراء (عليها السلام) بذلك، ولغير ذلك من الأدلة الكثيرة المذكورة في محالها، حيث أعطها الرسول (صلى الله عليه وآله) في حياته بأمر من الله سبحانه كما ورد في متواتر الروايات(3)، وفي تفسير قوله تبارك وتعالى: «وَأَتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ»(4).

فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «لما نزلت هذه الآية «وَأَتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ»(5) أعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة (عليها السلام) فدك». فقال أبان بن تغلب: رسول الله أعطها؟ فغضب جعفر (عليه السلام) ثم قال: «الله أعطها»(6).

ص: 71

- 1- مثلاً كونه موضوعاً صرفاً دون مضاعفات خارجية، أو مستنبطاً، أو في الشؤون العامة، وهكذا.
- 2- وقد تطرق الإمام المؤلف (قدس سره) لجوانب من هذا البحث في كتابه (الشورى في الإسلام)، وإلى جوانب منه في (الفقه: السياسة)، و(الفقه: الدولة الإسلامية)، وكتاب (البيع)، وغيرها.
- 3- راجع الكافي: ج 1 ص 543 باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه ح 5، وراجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج 2 ص 39-40 حوائط فدك.
- 4- سورة الإسراء: 26. وفي سورة الروم الآية 38: «فَأَتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ».
- 5- سورة الإسراء: 26.
- 6- تفسير فرات الكوفي: ص 239 ومن سورة بني إسرائيل الإسراء ح 322.

.....
وعن أبي سعيد الخدري قال: (لما نزلت «وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ»⁽¹⁾) - قال - دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة (عليها السلام) فأعطهاها فدك⁽²⁾.

الاجتماع على الباطل

مسألة: يحرم الاجتماع على الباطل بصورة عامة، ويحرم - من باب المقدمية - كل ما يعد لذلك، ويحرم حتى تكثير السواد لجبهة الباطل⁽³⁾.

إيذاء أهل البيت (عليهم السلام)

مسألة: يحرم إيذاء أهل البيت (عليهم السلام) ومنعهم من حقوقهم، ويحرم التمهيد لذلك، ومن الواضح أن درجة الحرمة تختلف شدة وضعفاً باختلاف المتعلق، فإيذاء حجة الله على الأرض أشد حرمة وعقوبة من إيذاء غيره دون إشكال، ولذلك ورد عنه (صلى الله عليه وآله): «فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»⁽⁴⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحماتي، لحمهم لحمي ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم...»⁽⁵⁾.

وقال تعالى: «الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

ص: 72

1- سورة الإسراء: 26.

2- نهج الحق: ص 358 مناواة فاطمة (عليها السلام) وغصب فدك.

3- راجع (الفقه: المكاسب المحرمة)، و(الفقه: الواجبات والمحرمات).

4- علل الشرائع: ج 1 ص 186 ب 149 ح 2.

5- راجع المجلد الأول من كتاب (من فقه الزهراء (عليها السلام)).

.....
وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا»(1).

حرمة الغصب ومصادرة الأموال

حرمة الغصب ومصادرة الأموال(2)

مسألة: يحرم الغصب ومصادرة الأموال والأراضي والعقارات والمزارع وغيرها، قال تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ»(3).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أخذ أرضاً بغير حق، كُلف أن يحمل ترابها إلى المحشر»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من خان جاره شبراً من الأرض، جعله الله في عنقه من تخوم الأرضين السابعة حتى يلقى الله يوم القيامة مطوّقاً، إلا أن يتوب ويرجع»(5).

ولا فرق في الغاصب بين الدولة والأفراد، سواء كانت لهم هيئة اجتماعية بأن كانوا بصورة تجمع، كالحزب والمنظمة والهيئة والجماعة، أم لا، ككل فرد فرد.

ومن غير فرق بين أن يكون الغاصب أو المغصوب منه رجلاً أو امرأة، كبيراً أو صغيراً.

وإن كانت الحرمة في الدولة والجماعة أشد؛ لتأزريهم وتعاونهم على

ص: 73

1- سورة الأحزاب: 57.

2- حول هذا المبحث راجع: (الفقه: الغصب)، و(الفقه: الاقتصاد)، و(الفقه: الحقوق)، و(الفقه: الدولة الإسلامية) للإمام المؤلف (قدس سره).

3- سورة البقرة: 188.

4- تهذيب الأحكام: ج 6 ص 294 ب 92 ح 26.

5- الأمالي للصدوق: ص 427 المجلس 66 ح 1.

.....
الباطل، قال تعالى: «وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ»(1)، ولعدم القدرة على استردادها - عادةً - إلا بصعوبة، حيث إن التجمع يوجب قوة في جانب الغاصب؛ ولأن الدولة والجماعة يُتعدى بها بما لا يُتعدى بالفرد، فهي - عادة - من أظهر مصاديق «من سنّ سنّة سيئة...»(2). وكذلك حال اغتصاب الحق.

الاهتمام بقضية فدك

مسألة: يستحب وقد يجب - كلٌ في مورده - الاهتمام بقضية فدك؛ لإرجاعها إلى أيدي أصحابها وإعمارها ومزيد الاهتمام بها، فإنها معلم من معالم الدين وشعيرة من الشعائر، قال تعالى: «وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ»(3).

ولما يترتب عليه من الآثار والنتائج العظيمة المادية والمعنوية، ومن المعلوم أن الفوائد المعنوية منها أهم من الفوائد المادية، كما احتج أمير المؤمنين (عليه السلام) لإثبات أن فدك ملك الزهراء (عليها السلام)(4)، وكما طالب الإمام الكاظم (عليه السلام) بفدك(5). هذا ويستفاد من بعض الروايات أن الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) تشكو لأبيها (صلى الله عليه وآله) في يوم القيامة أمر فدك(6).

ص: 74

-
- 1- سورة المائدة: 2.
 - 2- الفصول المختارة: ص 136.
 - 3- سورة الحج: 32.
 - 4- راجع وسائل الشيعة: ج 27 ص 293 ب 25 ح 33781.
 - 5- راجع الكافي: ج 1 ص 543 باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه ح 5.
 - 6- راجع عوالم العلوم ومستدركاتهما، مجلد فاطمة الزهراء (عليها السلام): ج 2 ص 749.

المطالبة بالحق وفضح الطغاة

المطالبة بالحق وفضح الطغاة (1)

مسألتان:

1: من الضروري فضح سياسة السلطات الجائرة ورجالاتها، وتربية الناس على ذلك، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (2).

2: يجوز - بالمعنى الأعم - المطالبة بالحق، فيشمل المستحب والواجب أيضاً كل في مورده ولو كان الحق مادياً ودنياً.

ولا يخفى أن فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) كانت تهدف من موقفها وخطبتها - بالدرجة الأولى - هدفين هما أهم من الجانب المادي: أحدهما: كشف القناع عن الحقيقة، وإثبات أن الحق في أمر الخلافة مع علي (عليه الصلاة والسلام) عبر الاستدلال والمطالبة بحقه (عليه السلام).

ثانيهما: نتائج معنوية وتاريخية عبر فضح الغاصبين إلى يوم القيامة، ورسم المقياس لمعرفة الحق عن الباطل، وتربية الأمة على التصدي للجور، وعدم السكوت عن الحق، والتضحية بكل غال ونفيس في سبيل ذلك.

ص: 75

1- حول جوانب هذا المبحث والبحوث اللاحقة راجع كتاب: (ممارسة التغيير لإنهاض المسلمين) و(الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام) و(السيبل إلى إنهاض المسلمين) و(الفقه: طريق النجاة) و(الفقه: الاجتماع) و(الفقه: الواجبات والمحرمات) للإمام المؤلف (قدس سره).

2- غوالي اللاكي: ج 1 ص 432 المسلك الثالث ح 131.

وقد حققت (عليها السلام) كلا الهدفين، بالإضافة إلى تحقق الجانب المادي بعد حين، كما يدل على ذلك ردّ جماعة من الحكام فدك وإن اغتصبها جماعة آخرون(1).

وقد كشفت (عليها السلام) القناع عن وجه الحقيقة، وأثبتت أن الحق لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفضحت الغاصبين، ورسمت ميزان الحقيقة للأجيال، وأعطت خير نموذج للتصدي للجور والظلم.

وإضافة إلى ذلك، فقد كان لدفاعها(عليها السلام) عن حق الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أثر في عمق التاريخ، حيث إن جماعة من ذرية علي (عليه الصلاة والسلام) وشيعته وصلوا إلى الحكم طول التاريخ الإسلامي، وإلى يومنا هذا، في قضايا مفصلة مذكورة في التواريخ(2).

الانتصار للحق

مسألة: يستحب نصره الحق والانتصار له إذا أمكن.

وإنما يستحب الانتصار له إذا كان الأمر مستحباً، وإلاً وجب، وفي الدعاء: «ووفقنا ل... نصره الحق وإعزازه»(3)، وقال علي (عليه السلام): «لو لم تتخاذلوا عن نصره الحق لم تهنوا عن توهين الباطل»(4).

ص: 76

- 1- راجع المناقب: ج4 ص207 فصل في معالي أموره (عليه السلام)، بحار الأنوار: ج22 ص295 ب7 ح1.
- 2- راجع: (جهاد الشيعة)، (العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل)، (الدول الشيعية في التاريخ) وغيرها.
- 3- الصحيفة السجادية: الدعاء رقم6 وكان من دعائه (عليه السلام) عند الصباح والمساء.
- 4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص70 ق1 ب1 ف14 في نصره الحق ح983.

والظاهر أن فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) كان عليها جانب الوجوب؛ لأن نصرة علي أمير المؤمنين (عليه السلام) خاصة في المواطن الخطيرة من الواجبات المؤكدة، وقد قال الرسول (صلى الله عليه وآله): «وانصر من نصره واخذل من خذله»⁽¹⁾.

هذا بالإضافة إلى أن استرجاع فدك وفضح الذين غصبوها كان من أهم الواجبات، وكانت هي (عليها السلام) - لمكانتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين المسلمين - أقدر من غيرها على ذلك.

مطالبة المرأة بحقها

مسألة: يجوز للمرأة المطالبة بحقها، جوازاً بالمعنى الأعم، الشامل للوجوب والاستحباب والإباحة، ولا فرق بين الرجل والمرأة في هذا الباب.

قال علي (عليه السلام): «طلب التعاون على إقامة الحق ديانة وأمانة»⁽²⁾.

وفي الحديث: «ثلاث لا يستحيمنهن... وطلب الحق وإن قل»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «أخسر الناس من قدر على أن يقول الحق ولم يقل»⁽⁴⁾.

ولها أن تحضر مجلس القضاء وترفع الشكوى، إلى غير ذلك مما هو مذكور في أبواب الفقه، وإن لم ينفع ذلك فلها أن ترفع ظلامتها على رؤوس الأشهاد، كما قامت السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) بذلك.

ص: 77

1- الإرشاد: ج 1 ص 176.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 69 ق 1 ب 1 ف 14 في نصرة الحق ح 977.

3- مستدرک الوسائل: ج 16 ص 260 ب 34 ضمن ح 19800.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 70 ق 1 ب 1 ف 14 قولوا بالحق ولا تمسكوا عن إظهاره ح 985.

التصدي للطغاة مطلقاً

مسألة: يستحب - وقد يجب - المطالبة بالحق وإن كان يعلم بعدم نجاحه في التوصل للحق وإحقاقه، وذلك لما فيه من فضح الظالم وأداء الواجب وإتمام الحجة، كما طالبت (صلوات الله عليها) بحقها وهي تعلم بأن القوم لا يعطونها حقها.

إضافة إلى أن إزعاج الظالم ومضايقته بالمطالبة بالحق والإلحاح عليه ولو ممن يعلم أنه لا يعطيه حقه - وما أكثرهم - سوف يردعه عن كثير من ظلمه؛ فإن الظالم لو رأى أنه غصب حق زيد ثم عمرو ثم بكر... ولم يقم أحد بشيء تجرأ على الغصب أكثر فأكثر، أما لو ضايقه بالمطالبة زيدً وعمروً وبكر... فإنه سوف لا يقدم - عادة - على مراتب جديدة من الظلم، أو سيكون إقدامه أضعف كفيفاً وأقل كميّاً مما لو ترك على هواه.

فورية المطالبة بالحق

مسألة: يستحب المطالبة بالحق فوراً - وقد يجب - كما يستفاد ذلك من (وبلغها) و(لائت خمارها)، وإنما يلزم التعجيل؛ لأن ترك الظالم وظلمه بحاله لحظة واحدة حرام، فإذا تمكن الإنسان من مطالبة الحق والانتصار له وجب فوراً ففوراً، فإن خير البر عاجله، قال تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» (1).

ص: 78

وجوب الستر على المرأة

وجوب الستر على المرأة(1)

مسألة: يجب على المرأة أن تستر رأسها وجسمها، ولذلك (لائت)(2) (عليها السلام) خمارها(3) واشتملت بجلبابها؛ فإن أعمالها ومواقفها (صلوات الله عليها) كلها معلولة لأوامر الله سبحانه ونواهيه - بالمعنى الأعم - كما ثبت ذلك بقائم البرهان.

والفعل - في أشباه المقام - دليل الرجحان، وخصوص المنع من التقيض يستفاد من القران والأدلة العامة.

حرمة إظهار الزينة

مسألة: يحرم على المرأة أن تظهر زينتها للأجانب من الرجال، وإنما أفردنا هذه المسألة باعتبار إمكان الحجاب وإظهار الزينة(4) لعدم التلازم بين الأمرين،

ص: 79

1- حول هذا المبحث والبحوث اللاحقة عن الحجاب والمرأة راجع: (الفقه: النكاح)، و(الفقه: الصلاة ج 18 ص 63)، و(الحجاب الدرع الواقفي) للإمام المؤلف (قدس سره).

2- اللوث: الطي، ولائ الشيء لوثاً: أداره مرتين، كما تدار العمامة والإزار - لسان العرب: ج 2 ص 185 مادة لوث -.

3- الخمار: ما تغطي به المرأة رأسها - لسان العرب: ج 4 ص 257 مادة خمر - «وَلَيْصَ رَبِّنَ بِخُمْرِهِنَّ» - سورة النور: 31 - أي مقانعهن، جمع خمار وهي المقنعة - مجمع البحرين: ج 3 ص 292 مادة خمر -.

4- كما لو كانت ملابسها - التي بها تتحجب - جذابة زاهية، وكما لو زوقت وجهها بالاكتمال وغيره من المكياج - بناء على عدم وجوب ستر الوجه - فهي حينئذ محجبة قد أظهرت الزينة.

وقد قال سبحانه: «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ»⁽¹⁾.

والمراد ب: «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ»⁽²⁾ إما مواضع الزينة كالمعصم والساق وغيرها، أو الزينة وهي على تلك المواضع، والمآل واحد، وربما يُعمّم للملابس الزاهية التي تعدّ زينة عرفاً وشبهها⁽³⁾. والظاهر أن المنصرف من الزينة في قوله سبحانه: «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ»⁽⁴⁾ غير الشعر، فإن الشعر وإن كان زينة ويحرم إظهاره على المرأة، لكن المنصرف من الآية المباركة الزينة المتعارفة كالذهب ونحوه، فتأمل.

نعم، لا بأس بالقول بأن ملاك الآية المباركة موجود في الشعر أيضاً، ومن الواضح أن لوث الخمار يوجب التحفظ الأكثر.

ص: 80

1- سورة النور: 31.

2- سورة النور: 31.

3- وفي تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان) للإمام المؤلف (قدس سره): ج 18 ص 96: «وَلَا يُبْدِينَ» أي لا يظهرن عن عمد «زِينَتَهُنَّ» المراد أما مواضع الزينة كالمعصم والأذن والرقبة والرجل، أو الزينة نفسها، وإذا صار اللفظ محتملاً وجب الاجتناب عن الأمرين تحصيلاً للبراءة عما علم إجمالاً تحريمه «إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» أي من الزينة، والذي أراه ظاهراً من الآية أنه استثناء من الإبداء، يعني أن ما ظهر بغير اختيارهن ليس عليه بأس كما إذا هبت الريح فرفع العباءة وأبدت الزينة.

4- سورة النور: 31.

استحباب التخمر للمرأة

مسألة: ينبغي التخمر وشبهه للمرأة (1) إذا أرادت الخروج من المنزل وإن لبست عباءتها، تأسياً (2)، ولأنه أستر كما لا يخفى، وربما هبت الريح فانكشف الستر، بينما الخمار يكون أوثق في الستر وعدم الكشف.

قال سبحانه: «وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ» (3).

وهذه الآية المباركة وإن لم تدل على مثل هذا الاستحباب (4) لكنها تدل على تعارف الخمار للنساء في زمن رسول الله (صلى الله عليه و آله) بل وقبله أيضاً، وعن أبي جعفر (عليه السلام): «استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن ...» (5).

ص: 81

- 1- إضافة إلى أصل الحجاب الواجب، بل قد ورد استحباب التخمر بالنسبة إلى المرأة الميتة عند تكفينها، ففي دعائم الإسلام: ج 1 ص 232 ذكر الحنوط والكفن، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، أنه قال: «... وتخمر المرأة بخمار على رأسها».
- 2- أي بالصديقة الطاهرة (عليها السلام).
- 3- سورة النور: 31.
- 4- لأن المصعب ستر الجيب.
- 5- وسائل الشيعة: ج 20 ص 192 ب 104 ح 25398. وفي تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان): ج 18 ص 96، عنه (عليه السلام): «استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة، وكانت النساء يتقنعن خلف آذانهن، فنظر إليها وهي مقبلة، فلما جازت نظر إليها ودخل في زقاق قد سماه لبني فلان، فجعل ينظر خلفها واعترض فشق وجهه عظم في الحائط أو زجاجة، فشق وجهه، فلما مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره، فقال: والله لآتين رسول الله (صلى الله عليه و آله) ولأخبرنه - قال - فأتاه، فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال له: ما هذا؟ فأخبره، فهبط جبرائيل بهذه الآية: «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ».

شد الخمار على الرأس

مسألة: يَرَجَّحُ شَدُّ الْمَرْأَةِ الْخِمَارَ عَلَى رَأْسِهَا دُونَ إِطْلَاقِهِ مُسْتَرَسلاً، اسْتَظْهَاراً مِنْ كَلِمَةِ: (لَا تُبْدِيْنَ) وَذَلِكَ فِيمَا لَوْ كَانَتْ الثِّيَابُ - مِثْلًا - سَاتِرَةً لِلصَّدْرِ وَالْعُنُقِ..

وهو من مصاديق الإتيان، قال (عليه السلام): «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً عَمِلَ عَمَلًا فَأَتَقَنَهُ» (1) وغيره. ويجب فيما إذا كان إطلاقه مسترسلاً سبباً لكشف العنق أو جانباً من الصدر، قال تعالى: «وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ» (2).

امتلاك الخمار

مسألة: ينبغي أن يكون للمرأة خمار أو شبهه في منزلها، وهذا ما قد يستظهر من الضمير في (خمارها) بضميمة أدلة التأسّي، إضافة إلى أنه أَدْعَى لِلتَّقِيدِ بِالسُّتْرِ.

ص: 82

1- راجع الكافي: ج 3 ص 263 باب النوادر ح 45، وفيه: «إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا فَلْيَتَّقِنَ».

2- سورة النور: 31.

التخمر في المنزل

مسألة: ينبغي لبس الخمار في المنزل ثم الخروج منه فإنه أكثر سترًا للرأس، وإن أمكن لها أن تلوث خمارها في خارج المنزل في مكان لا رجال فيه أو بحيث لا يرونها.

والظاهر أنه لا فرق بين أن تلوث المرأة خمارها بنفسها، أو أن يفعل ذلك بعض محارمها أو بعض نساءها.

لكن استحباب أن يقوم الإنسان بنفسه بكافة أعماله دون إرجاعها للغير في صورة الإمكان، حسب المستفاد من الروايات (1) يفيد الأول.

ص: 83

1- مثلاً: قوله (صلى الله عليه وآله): «ملعون من ألقى كله على الناس» - الكافي: ج 5 ص 72 باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة ح 7 - .
والروايات التي تفيد أن من أسباب الدخول للجنة عدم الاتكال في الحاجات على الناس، وهناك روايات عديدة تدل على أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقوم بأعماله بنفسه، وكذلك الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) كخصف النعل وقم البيت والكنس وحلب العنز وغير ذلك. ففي الحديث: «إنه (صلى الله عليه وآله) كان يعلف الناضح، ويعقل البعير، ويقم البيت، ويحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع خادمه، ويطحن عنه إذا أعبى، ويشترى من السوق، ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده، أو يجعله في طرف ثوبه فينقلب إلى أهله...» - المناقب: ج 1 ص 145-146 فصل في آدابه ومزاحه (صلى الله عليه وآله) - . كما ورد عنه (صلى الله عليه وآله): «خمس لا أدعهن حتى الممات: ... وحلب العنز بيدي ...» - الخصال: ج 1 ص 271 قول النبي (صلى الله عليه وآله) خمس لا أدعهن حتى الممات ح 12 - .

لوث الخمار تحت الجلباب

مسألة: ربما يستفاد من التعبير عن فعلها (عليها السلام) بـ «لائت خمارها واشتملت بجلبابها»، أفضلية لوث الخمار تحت الجلباب كما هو المتعارف، لا فوقه وإن أمكن؛ إذ ذلك هو الأوثق في الستر.

وذلك نظراً لتعقب (لائت) بـ (اشتملت) والواو يدل على الترتيب في كثير من المواضع، وقد ذكر الفقيه الهمداني (قدس سره) (1) في قولهبسبحانه وتعالى:

«فَأَغْسِدُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ» (2): إن (الواو) دال عرفاً على الترتيب، وهذا غير بعيد، وإن قال الأدباء: بأن الواو

ص: 84

1- الشيخ آقا رضا بن الشيخ محمد الهادي الهمداني النجفي، ولد في همدان سنة 1250هـ وقرأ مقدماته فيها ثم هاجر إلى النجف الأشرف وهو شاب وأقام فيها حتى نال مرتبة عالية من العلم وأصبح من المدرسين في عصره. درس أول أمره على الشيخ الأعظم الأنصاري (رحمة الله) في النجف، وعلى الميرزا المجدد السيد محمد حسن الشيرازي (رحمة الله) في النجف وسامراء وكان من خيرة تلاميذه. ترك كتباً عدة أهمها: كتاب (مصباح الفقيه) وهو شرح لكتاب شرائع الإسلام في عدة أجزاء، حاشية على رسائل الشيخ الأنصاري (رحمة الله)، حاشية على المكاسب لم تتم، رسالة في اللباس المشكوك، حاشية على (الرياض) غير كاملة، كتاب البيع مما حضره على الميرزا الشيرازي (رحمة الله)، كتابة دروسه على الميرزا أيضاً، أجوبة مسائل مختلفة، الرسالة العملية. مرض (رحمة الله) آخر أيامه بمرض الصدر وأقام في سامراء لطيب هوائها، ثم توفي فيها يوم الأحد 28 صفر سنة 1322هـ، ودفن في رواق الإمامين العسكريين (عليهما السلام) وقبره مقابل قبر الطاهرة النقية التقية حكيمة خاتون (عليها السلام).

2- سورة المائدة: 6.

.....
للجمع مطلقاً، حتى قال ابن مالك (1):

واعطف بواو سابقاً أو لاحقاً*** في الحكم أو مصاحباً موافقاً

فإنه وإن صح ذلك وضعاً إلا أن الانصراف (2) يفيد الترتيب.

وربما يقال: بأن استفادة الترتيب في تلك الأماكن نتيجة القرائن المقامية، ولكن لا يبعد أن تكون الواو لو خليت وطبعها أفادته، فتأمل.

تغطية كل الجسد

تغطية كل الجسد (3)

مسألة: يستحب أن يكون الحجاب الظاهري للمرأة مغطياً جميع بدنها، كما قد يدل عليه: (اشتملت) بل و(الجلباب) أيضاً، فلا تكتفي المرأة بالخمار عن تغطية الرأس ثانية بالعباءة ونحوها. والجلباب: هو الثوب الطويل الواسع الساتر لحجم البدن، ومن مصاديقه العباءة المتداولة في الحال الحاضر.

ص: 85

1- أبو عبد الله محمد بن عبد الله المشهور بابن مالك، نحوي ولد في جَبَان من بلاد الأندلس عام 599هـ. سمع من الشلويني، ثم ورد المشرق حاجاً ثم استوطن الشام، فسمع من السخاوي، وبحلب من ابن يعيش الحلبي، ثم تصدر لإقراء العربية في حلب مدة، فدمشق التي توطنها، كان يستشهد بالقرآن فإن لم يجد فأشعار العرب التي كان في استذكارها نسيج وحده. وضع أرجوزة في النحو في ثلاثة آلاف بيت تقريباً دعاها (الكافية الشافية) ولكن شهرته تقوم على مختصر هذه الأرجوزة المعروفة ب (ألفية ابن مالك) لاشتماله على ألف بيت، وله أيضاً (لامية الأفعال) و(شواهد التوضيح)، تعلم عليه ولده بدر الدين محمد المتوفى عام 686هـ، وقام بتصنيف (شرح الألفية) و(شرح لامية الأفعال)، كما أن ابن عقيل أيضاً قام بشرح الألفية وكذلك السيوطي وغيرهم، توفي ابن مالك في دمشق في الثاني عشر من شعبان عام 672هـ.

2- أي الانصراف العرفي.

3- راجع كتاب (الحجاب الدرع الواقعي) للإمام المؤلف (قدس سره).

ويستظهر من الاقتصار على «... واشتملت بجلبابها» أن معنى الجلباب هو ما ذكر من الثوب الواسع المغطي لكل البدن، فلا يظهر من المرأة شيء من جسدها أو من حجمها.

لا- ما قاله البعض: من أنه الخمار(1)، أو البعض: من أنه ثوب أوسع من الخمار دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها أو شبه ذلك(2). وقد يكون ذلك واجباً، فإن الثوب الملاصق الضيق بحيث يظهر تقاطيع الجسد محرم، خاصة ما أظهر بعض الأعضاء.

وإنما نقول بحرمته؛ لأنه من المنكر عند المشرعة، فالارتكاز والذهنية الدينية التي تلقوها خلفاً عن سلف تدل على تلقيهم ذلك من الشارع ومنعه عن مثله(3).

ص: 86

1- ويرد على هذا القول إضافة للاقتصار كونه مستلزماً للتكرار.

2- راجع لمعرفة الأقوال (لسان العرب): ج 1 ص 272 مادة (جلب)، ومنها: وقيل: هو الملحفة.

3- فتأمل.

خروج المرأة من البيت

مسألة: يجوز - بالمعنى الأعم - خروج المرأة من البيت، سواء كانت متزوجة أم غير متزوجة في الجملة.

نعم، الفرق بين المتزوجة وغير المتزوجة أن المتزوجة تستأذن زوجها في الخروج في غير الواجب منه، وغير المتزوجة تملك نفسها، فإنه (صلى الله عليه وآله): «نهى أن تخرج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها»⁽¹⁾.

وخروجها (عليها السلام) حيث (أقبلت) كان من مصاديق الخروج الواجب لكونه مقدمة الواجب كما أشرنا إليه.

ص: 87

1- من لا يحضره الفقيه: ج4 ص6 باب ذكر جمل من مناهي النبي (صلى الله عليه وآله) ح4968.

خروج المرأة مع غيرها

مسألة: ينبغي أن تخرج المرأة مع غيرها لا بمفردها - في الجملة - فإنه أكثر سترًا وحفظًا وصونًا لها من المخاطر. وكذلك إذا كان الخروج لأمر خطير، أو كانت هي من الشخصيات الاجتماعية، حيث ورد في الرواية: «في لمة».

وقد يستظهر أنها (عليها الصلاة والسلام) كانت تتوسط جمع النساء لمكان (في).

ثم إن هذا أقرب إلى الوقار المطلوب في مثل هذا المقام؛ لأن الوقار في مثله يملأ عيون الخصوم وأذهانهم بهالة من القوة، ولأن الجماعة توجب الهيبة أو زيادتها، وسرعة قضاء الحاجة وتحقيق الهدف إن أمكن ذلك، وستكون أتم للحجة وأقطع للعدر وأوقع في النفس وأقوى في تسجيل الموقف.

الخروج منفرداً أو مع جماعة

مسألة: ينقسم خروج كبير القوم - كالحاكم والأمير والعالم والقاضي - منفرداً أو مع مجموعة من الناس، إلى الأحكام الخمسة:

1. فقد يجب، إذا توقف إحقاق الحق عليه في كلا الفرضين (1)، وقد

ص: 88

1- إذ قد يتوقف قبول الخصم للحق على ذهاب القاضي أو العالم إليه منفرداً ونصحته، حيث إن الغرور أو الخوف من الشماتة وشبه ذلك كثيراً ما يدفع المرء لرفض الحق فيما إذا جوبه به أمام الناس، وقد يتوقف إحقاق الحق على ذهابه مع جمع فيما لو كان ممن لا تنفع معه إلا الرهبة والهيبة والضغط الاجتماعي مثلاً.

خرجت (عليها السلام) في «لمة من حفدتها ونساء قومها» إذ كان ذلك أدعى للهيبة وأقوى في التأثير.

2. وقد يستحب، إذا لم يكن الرجحان بحيث يمنع من النقيض، وبذلك وشبهه يعلل خروج الرسول (صلى الله عليه وآله) والإمام علي (عليه السلام) وسائر المعصومين (عليهم السلام) أحياناً منفردين، وأحياناً مع جمع من الأصحاب أو الناس.

3. وقد يكره، إذا كان الخروج مع جمع سبباً لإثارة الكبر والعجب والخيلاء في النفس بما لا يصل إلى حد الحرام، أو إذا كان الخروج منفرداً سبباً لاستصغار شأن العالم الديني مثلاً في بعض المناطق كذلك.

4. وقد يحرم، كما في عكس الصورة الأولى، وكما في خروج الحكام والطغاة مع جمع مما يسبب إرهاب الناس وأرباب الحوائج وذوي الحقوق فلا يعود بمقدورهم المطالبة والأخذ بحقوقهم.

5. والمباح: ما عدا ذلك.

الخروج مع المعارف

مسألة: ينبغي أن يخرج الإنسان بصورة عامة - والمرأة بصورة خاصة - في أسفاره وكذلك في مهامه الخطيرة وشبه ذلك مع من يعرفه دون من لا يعرفه، كما يستفاد من خروجها (عليها السلام) مع «حفدتها ونساء قومها».

والفعل وإن لم يكن له جهة إلا أن دلالة على جامع الرجحان في أمثال المقام غير بعيد، أسوةً وملاكاً ولما سبق.

إضافة إلى إطلاقات الروايات الشريفة التي تقيّد ذلك، مثل قوله (صلى الله عليه وآله): «الرفيق ثم الطريق»⁽¹⁾.

وما يقاربه، كقوله (صلى الله عليه وآله):

«ألا أنبئكم بشر الناس؟»

قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من سافر وحده...»⁽²⁾ الحديث.

ص: 90

1- مستدرک الوسائل: ج 8 ص 209 ب 24 ح 9272.

2- وسائل الشيعة: ج 11 ص 409-410 ب 30 ح 15126.

الحجاب والساتر

مسألة: يحرم أن تخرج المرأة مكشوفة الساقين، ويكره أو يحرم أن تكون مكشوفة القدمين، وقد خرجت (صلوات الله وسلامه عليها) وهي «تطأ ذبولها» وهذه كناية عن أن الستر كان طويلاً جداً، وهو المطابق للاحتياط.

عباءة المرأة

مسألة: يستحب أن تكون عباة المرأة بحيث تجر على الأرض فإنه أستر لها، وهذا مما يستثنى مما ورد في كون الثوب قصيراً ليكون أنقى وأبقى، حيث يستحب ذلك في الرجل حيث قال (عليه السلام) عندما رأى رجلاً يجرد ثوبه: «يا هذا، قصّر منه فإنه أنقى وأبقى وأبقى»⁽¹⁾.

الستر الفضفاض

مسألة: يستحب أن يكون الستر فضفاضاً؛ لأنه أبعد عن الإثارة وأدعى للستر.

شدة التستر

مسألة: يستحب شدة التستر كما يستفاد من «تطأ ذبولها»؛ فإنه كناية عن شدة التستر.

ص: 91

التأسي بالرسول (صلى الله عليه وآله) في كل شيء

مسألة: يستحب التأسي برسول الله (صلى الله عليه وآله) في كل الأمور حتى في كيفية المشي، وقد يجب التأسي - في موارد الوجوب -.

ولذا قال علي (عليه السلام): «فتأسي متأس بنبيه، واقتص أثره، وولج مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة» (1).

أما قوله (عليه السلام): «فلا يأمن الهلكة» - حيث يستظهر منه أن ذلك بالنسبة إلى الواجبات وترك المحرمات - فلا يتنافى مع الاستحباب المطلق حيث يفهم في سائر أعماله بالملاك، بالإضافة إلى الإطلاقات مثل قوله سبحانه: «فَبَهْدَاهُمُ

أَقْتَدِ» (2).

وقال علي (عليه السلام): «أحبّ العباد إلى الله تعالى المتأسي بنبيه (صلى الله عليه وآله)» (3).

والصديقة الطاهرة (عليها السلام) كانت تمشي كمشي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإن الولد سرّ أبيه (4).

وهل يدل ذلك على استحباب التكلف في الإقتداء بحركات العظماء من الصالحين؟.

ص: 92

1- نهج البلاغة، الخطب: 160 ومن خطبة له (عليه السلام).

2- سورة الأنعام: 90.

3- نهج البلاغة، الخطب: 160 ومن خطبة له (عليه السلام).

4- انظر كشف الغمة: ج2 ص65.

.....
احتمالان:

الأول: نعم؛ لأنه من التشبه ولو جزئياً، وهو من أسباب تقوية مكانة العظيم في الناس، مما يسبب تجذر الخير فيهم وسوقهم نحوه أكثر فأكثر، وما إلى ذلك.

الثاني: العدم، بل الراوي يحكي أمراً طبيعياً من حركتها (عليها السلام). ولا- ينافي عدم دلالة هذه الجملة ها هنا على ذلك، القول بالاستحباب استناداً إلى الأدلة الأخرى، كما سبق من إطلاقات أدلة التأسى، وكونه مقدمة لسوق الناس للخير، وغير ذلك.

المشي بسكينة ووقار

مسألة: يستحب المشي على وقار وسكينة، كما يدل على ذلك بعض الروايات(1) مثل ما ورد من قوله (عليه السلام): «سرعة المشي تذهب ببهاء المؤمن»(2)، وقال (عليه السلام): «المشي المستعجل يذهب ببهاء المؤمن ويطفئ نوره»(3)، إلا إذا كان في أمر يستحب الإسراع إليه، وهذا يكون من باب قانون الأهم والمهم.

ووطاً الذيل ينتج عن طوله مع سرعة المشي، أو في صورة انشغال الذهن، ولعل الثاني ها هنا أقرب وأظهر.

ص: 93

-
- 1- قد ورد في الروايات: «وتخرج بسكينة ووقار»، «ثم امض إليهم بسكينة ووقار»، «والخروج بسكينة ووقار»، «الخروج بسكينة خاشعاً»، «ومن دخل بسكينة» وما أشبهه، راجع ألامان من أخطار الأسفار: ص 104 ب 7 ف 4.
 - 2- وسائل الشيعة: ج 11 ص 456 ب 63 ح 15251.
 - 3- تحف العقول: ص 371 وروى عنه (عليه السلام) في قصار هذه المعاني.

دخول المرأة للمسجد

مسألة: يجوز للمرأة دخول المسجد(1): لقول الراوي: «حتى دخلت (عليها السلام)»، ولغيره.

ولا يخفى أنه ربما ينتظر في القول بأفضلية صلاة المرأة في بيتها(2) لأننا نجد أن رسول الله وعلياً (عليهما الصلاة والسلام) ما كانا يأمران النساء بالبقاء في البيوت للصلاة، وإنما كانت النساء يحضرن المسجد للصلاة خلف الرسول (صلى الله عليه وآله) وللاستماع إلى الخطبة..

وقد عين (صلى الله عليه وآله) امرأة للصلاة جماعة بالنساء(3).. وكذلك بالنسبة إلى علي (عليه الصلاة والسلام) كما يفهم من جملة من الروايات الواردة في حالاتهما (صلوات الله عليهما).

ص: 94

1- الجواز هنا بالمعنى الأعم.

2- راجع (العروة الوثقى) لليزدي: ج 2 ص 409 بعض أحكام المسجد، وفيه: (مسألة 2: صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد). ولكن في موسوعة الفقه: ج 19 ص 297 فصل في بعض أحكام المسجد، وفيه: (المسألة الثانية: قد تقدم أن صلاة المرأة في بيتها ليست أفضل من صلاتها في المسجد وإن ذكر جماعة ذلك، بل صلاتها في المسجد مثل صلاة الرجل في الفضل).

3- راجع تذكرة الفقهاء: ج 4 ص 236-237 استحباب الجماعة للنساء، وفيه: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أمر أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث بن نوفل أن تؤم أهل دارها وجعل لها مؤذناً».

وما ورد من أن «خير مساجد نساءكم البيوت»⁽¹⁾ مع قطع النظر عن كونها مرسلّة، قد يحمل - جمعاً بينها وبين عمل الرسول (صلى الله عليه وآله) والإمام علي (عليه السلام) وما أشبه ذلك - على كونه قضية خاصة في زمن خاص أو ظرف خاص، أو فيمن يخاف عليهن الافتتان أو شبه ذلك مما يدخل في باب التزاحم.

طرح القضايا في المسجد

مسألة: يستحب طرح القضايا الهامة في المسجد، لما فيه من إعطاء المحورية للمسجد في حياة الناس؛ ولأنه أقرب إلى عناية الله تعالى ولطفه، ولأنه بما يحمل من روحانية وتذكير بالخالق المتعال أدعى لقبول الحق والبعد عنالباطل.

وقد كان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يصلي في المسجد، ويخطب فيه، ويوجه الناس في شؤون السلم والحرب والأخلاق والسياسة وغيرها⁽²⁾..

كما كان المسجد مركزاً لحل مشاكل الناس في عهده (صلى الله عليه وآله) وعهد أمير المؤمنين (عليه السلام) .. وهكذا.

طرح القضايا أمام الناس

مسألة: يستحب طرح القضايا المهمة أمام الناس، وقد يجب في الجملة؛ فإنه إرشاد للجاهل أو تنبيه للغافل، وأمر بالمعروف أو نهي عن المنكر، وتعليم أو تزكية، على اختلاف الموارد.

ص: 95

1- تهذيب الأحكام: ج 3 ص 252-253 ب 25 ح 14.

2- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج 1-2 للإمام المؤلف (قدس سره).

وعموماً فإن الناس إذا وُضعوا في مجرى الأحداث التي تواجه الأمة، فكرياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو ما أشبه ذلك، فإن حصانتهم أمام الباطل واستعدادهم للإيثار والتضحية في سبيل الله سبحانه يكون أكثر فأكثر، كما هو مفصل في علم الاجتماع والنفوس والأخلاق(1).

وقد قامت (عليها السلام) بكلا الأمرين، حيث طرحت ظلامتها في المسجد، وأمام الناس.

ويحتمل أن يكون خصوص الطرح في المسجد بما هو مسجد على سبيل الاستحباب، كما يحتمل أن يكون على سبيل الجواز.

والحاصل أن الجواز بالمعنى الأعم يستفاد من هذا الحديث، وإن كان الجواز بالمعنى الأخص إباحةً أو استحباباً أو وجوباً حسب الموازين العامة.

القضاء في المسجد

مسألة: يجوز الترافع والقضاء في المسجد، كما يفهم ذلك أيضاً من فعل الرسول (صلى الله عليه وآله) وفعل علي (عليه الصلاة والسلام)(2)، وللفقهاء في هذا مبحث مذكور في كتاب القضاء في الفقه(3).

ص: 96

- 1- راجع (الفقه: الاجتماع)، و(الفقه: الدولة الإسلامية)، و(الفقه: علم النفس)، و(الفضيلة الإسلامية) للإمام المؤلف (قدس سره).
- 2- راجع بحار الأنوار: ج 14 ص 11 ب 1 ح 20، والبحار: ج 59 ص 167 ب 61 ح 2.
- 3- راجع موسوعة الفقه: ج 84 ص 120-122 (كتاب القضاء) للإمام المؤلف (قدس سره)، وفيه: (الظاهر عدم كراهة القضاء في المسجد، بل ما أجمل أن ينفذ حكم الله في بيت الله، وقد كان الرسول (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) يقضيان في المسجد - بحار الأنوار: ج 14 ص 11 ب 1 ح 20، والبحار: ج 59 ص 167 ب 61 ح 2 - وبيت الطشت ودكة القضاء في مسجد الكوفة مشهوران إلى اليوم، وتقدم قول علي (عليه السلام) لشريح أن يجلس في المسجد. وعن (الدعائم)، عن علي (عليه السلام)، قال: «دخلت المسجد فإذا برجلين من الأنصار يريدان أن يختصما إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقال أحدهما لصاحبه: هلم نختصم إلى علي (عليه السلام) فجزعت من قوله. فنظر إليَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: انطلق واقض بينهما. قلت: وكيف اقضي بحضرتك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: نعم فافعل. فانطلقت فقضيت بينهما، فما رفع إليَّ قضاء بعد ذلك اليوم إلا وضح لي» - مستدرک الوسائل: ج 3 ص 197 الباب 11 آداب القاضي ح 4 - وكيف كان ففي المسألة أقوال: الأول: إنه مكروه مطلقاً، ذكره غير واحد، بل في (المستند) نقل عن (المعتمد) أن الأكثر قالوا بالكراهة، واختاره هو لمرسلة ابن أسباط: «جنبوا مساجدكم الشراء والبيع والمجانين والصبيان والأحكام والضالة والحدود ورفع الصوت» - وسائل الشيعة: ج 3 ص 507 ب 27 من أحكام المساجد ح 11 - ومرسلة (الفقيه): «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع أصواتكم وشرائكم وبيعكم والضالة والحدود والأحكام» - وسائل الشيعة: ج 3 ص 508 أبواب أحكام المساجد ب 27 ح 4 - وفي (الجواهر): استدلل لذلك بالنبوي: «جنبوا المساجد صبيانكم ومجانينكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم»، قال: والحكومة تستلزم غالباً ذلك بل قد تحتاج إلى إحضار الصبيان والمجانين، بل قد تستلزم إدخال الحيض والمشركين ومن لا يتوقى النجاسة. الثاني: الاستحباب كما عن ظاهر (المقنعة) و(النهاية) و(المراسم) و(السرائر) للأسوة وبعض الروايات المتقدمة. الثالث: الجواز نظراً إلى تصادم الدليلين من غير مرجح فلا كراهة ولا استحباب، ونقل عن الشيخ (رحمة الله) في ظاهر خلافه ومبسوطه، وقال

(المستند) في نقل هذا القول قيل بالإباحة. الرابع: التفصيل بين جعله محلاً للقضاء دائماً فالكراهة، دون غيره فلا كراهة فيه، اختاره (الشرايع) والعلامة، وذلك للجمع بين دليلي المنع والاستحباب.. لكن يرد على الكراهة أن النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) لا يفعلان مستمراً المكروه، خصوصاً وهما أسوة والناس مأمورون باتباعهما، والتفصيل ينافي ظهور استمرارية فعل علي (عليه السلام)، فالأمر إما جائز للتصادم وإن كان بعيداً إذ كلا الدليلين آب عن ذلك، وإما مستحب والثاني أقرب صناعة، والأول شهرة. أما دخول الصبيان والمجانين والحيض والمشركين فاللزام التجنب استحباباً أو لزوماً، فليس هذا إشكالاً على أحد القولين وإلا يستشكل بالحيض والمشركين على القول بالكراهة أيضاً. أما من استدل على عدم الكراهة بفقورية القضاء المستلزمة للقضاء في المسجد، ففيه أن الفورية عرفية هذا، كما أن من استدل للكراهة برواية جعفر بن إبراهيم: «إنما نصبت المساجد للقرآن» يرد عليه أن الحصر إضافي كما لا يخفى، وإشكال (المستند) على دكة القضاء بمنع ثبوتها أولاً وكونها دكة قضاء علي (عليه السلام) ثانياً، وكونها من المسجد في الصدر الأول ثالثاً، لا يخفى ما فيه لمن راجع التاريخ ولما ذكرناه، قال في (الجواهر): قد يقال إن القضاء من حيث كونه قضاءً لا كراهة فيه بل لا يبعد رجحانه. نعم، قد يقترن بما يرجح تركه في المسجد، أو يرجح فعله، وهو خارج عن محل البحث، وربما كان ذلك أولى بالجمع من غيره. انتهى.

.....
ومن الواضح أن الترافع في المسجد ليس مخالفاً لمقتضى الوقف شرعاً، كما أن من البين أنه يجب أن لا يكون بحيث يعد هتكاً للمسجد عرفاً(1).

الاستفادة من مراكز الإعلام

مسألة: يجوز - بالمعنى الأعم الشامل للوجوب - الاستفادة من وسائل الإعلام ومراكز التجمع، للمطالبة بالحق وفضح الظالم وإرشاد الناس وبيان

.....
ومن الواضح أن الترافع في المسجد ليس مخالفاً لمقتضى الوقف شرعاً، كما أن من البين أنه يجب أن لا يكون بحيث يعد هتكاً للمسجد عرفاً(2).

الاستفادة من مراكز الإعلام

مسألة: يجوز - بالمعنى الأعم الشامل للوجوب - الاستفادة من وسائل الإعلام ومراكز التجمع، للمطالبة بالحق وفضح الظالم وإرشاد الناس وبيان

.....
ومن الواضح أن الترافع في المسجد ليس مخالفاً لمقتضى الوقف شرعاً، كما أن من البين أنه يجب أن لا يكون بحيث يعد هتكاً للمسجد عرفاً(3).

الاستفادة من مراكز الإعلام

مسألة: يجوز - بالمعنى الأعم الشامل للوجوب - الاستفادة من وسائل الإعلام ومراكز التجمع، للمطالبة بالحق وفضح الظالم وإرشاد الناس وبيان الحقيقة، كما استفادت فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) من المسجد، حيث كان المسجد أهم مركز للإعلام آنذاك، باعتباره مركزاً لتجمع مختلف الشخصيات

ص: 98

-
- 1- كأن يسبب ضوضاء غير متعارفة وشبه ذلك.
 - 2- كأن يسبب ضوضاء غير متعارفة وشبه ذلك.
 - 3- كأن يسبب ضوضاء غير متعارفة وشبه ذلك.

.....
والتيارات الاجتماعية والمركز الرئيسي للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ولقيادة الأمة وغير ذلك.

دخول المرأة في مجمع الرجال

مسألة: يجوز للمرأة أن تدخل في مكان قد اجتمع فيه الرجال أو مع النساء، مع الحفاظ على الحجاب وسائر الشرائط.

إذ الأصل الإباحة، ولا دليل على الحرمة، بل كان هذا في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مسجده وفي أسفاره وفي الحج..

كما أنه كان في أيام الفقهاء الكبار في مشاهد المعصومين (عليهم الصلاة والسلام)..

وكذلك في القدس الشريف.. وغير ذلك.

أما المحرّم منه فهو الاختلاط بلا حجاب أو ما أشبه ذلك مما أتى به الغرب إلى بلاد الإسلام واستقبله بعض من لا حريجة له في الدين.

ص: 99

الضغط مباشرة

مسألة: يرجح توجيه الضغط على الغاصب أو الظالم نفسه، أو الرجوع إليه رأساً لدى المطالبة بالحقوق وبالحق، إلا إذا كانت الفائدة في غير ذلك.

قال تعالى: «أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ» (1).

ولذا بادرت فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) للذهاب إلى المسجد ومواجهة أبي بكر بنفسه.

ومن ذلك أيضاً كانت كتابات المعصومين (عليهم السلام) إلى الطغاة مباشرة، وقد كتب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى معاوية:

«غرك عرك، فصار قصار، ذلك ذلك، فاحش فاحش فعلك، فعلك تهدي بهذا» (2).

وذلك إتماماً للحجة وفضحاً للظالم، كي لا يدعي عدم العلم ويلقي اللوم علياً آخرين - كما هي سيرة الظالمين خاصة في فترات الضعف والسقوط - وتحطيماً لشوكته وهيبته المصطنعة أمام الناس، ولغير ذلك (3).

ص: 100

1- سورة طه: 43.

2- المناقب: ج 2 ص 48 فصل في المسابقة بالعلم.

3- راجع حول هذه المباحث: (الفقه: طريق النجاة)، و(الفقه: الاجتماع)، و(الفقه: السياسة)، و(ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين)، و(الصياغة الجديدة) للإمام المؤلف (قدس سره).

الفضح على رؤوس الأشهاد

مسألة: يستحب وقد يجب - إذا توقف الردع وشبهه عليه - فضح الظالمين على رؤوس الأشهاد، فإنه نوع من الضغط والتنفير الاجتماعي. وملاكه يشمل الرجال أيضاً.

ولا فرق في ذلك بين المنبر والمحراب والكتاب والإذاعة والتلفزيون وغيرها من وسائل الإعلام.

ولو تحول هذا إلى منهج عام عند الناس، بأن التزم الكل بل حتى الأكثر، بل حتى جمع كثير من الناس، بفضح الظالم والتصدي لظلمه على رؤوس الأشهاد لما قامت للظالمين قائمة.

إتمام الحجّة على الناس

مسألة: يستحب إتمام الحجّة على الناس وقد يجب؛ لأنه حينئذ يجعل من الحشد شهوداً على كلام الطرفين، وذلك أبلغ في إقامة الدليل والانتصار للحق، قال سبحانه: «لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ» (1).

ص: 101

المطالبة بالحق بمحضر الغير

مسألة: يجوز - بالمعنى الأعم - المطالبة بالحق وكشف القناع عن ظلم الظالم، حتى عند من لا يتأتى منه أي عمل أو لا يعمل. ويشمله إطلاق قوله تعالى: «لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ»⁽¹⁾.

ومما يوضح الشمول: ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في بيان أحد مصاديق الآية الشريفة: «من أضاف قوماً فأساء ضيافتهم فهو ممن ظلم فلا جناح عليهم فيما قالوا فيه»⁽²⁾.

وربما يعد من مصاديق ذلك مطالبتها (صلوات الله عليها) بحقها وحق الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في المسجد في حضور المهاجرين والأنصار وغيرهم، حيث لم يكن لكل الأفراد - لا بشرط الاجتماع - القيام بالمطلوب، والمراد نفي (الكلية) لا النفي الكلي، فتأمل.

الجهر بالحق لشتى الطبقات

مسألة: ينبغي بيان الحقيقة لمختلف طبقات الناس وأصنافهم، لا مجموعة خاصة منهم وإن كثرت أفرادها، نظراً لأن ذلك أكثر ضماناً لصدق الحديث عن التحريف والتواطى عليه أو النسيان أو التشكيك فيه.

وبذلك - وبجهات أخرى - تظهر الحكمة في إلقائها (عليها السلام) الخطبة في مجمع من المهاجرين والأنصار وغيرهم.

ص: 102

1- سورة النساء: 148.

2- وسائل الشيعة: ج 12 ص 289 ب 154 ح 16329.

الساتر بين الرجال والنساء

مسألة: قد يقال باستحباب وضع ساتر بين الرجال والنساء عند خطاب المرأة، إضافة لتحجب كل واحدة منهن.

وربما يستفاد ذلك من قوله تعالى: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» (1).

وإن كان الانصراف (2) يقتضي الحجاب أو الساتر بالمعنى الأخص لا الساتر إضافة للحجاب المتعارف.

ومنه يعلم استحباب ذلك في كل مكان اجتمع فيه النساء والرجال، كما في المسجد للصلاة، وفي قاعة الدرس، وفي الحسينيات، وغير ذلك، ولذا ورد في هذا الحديث: «فنيطت دونها ملاءة».

لكن ربما يقال:

بأنه لا يظهر أن ذلك كان على نحو الاستحباب إذ الفعل لا جهة له، بل ربما كان ذلك من الآداب، ولذا لم يكنفي مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ستر بين الرجال والنساء، وكذلك في المسجد الحرام لم يجعل ستر بين الرجال والنساء، بأن يقرر مثلاً على الرجال أن يطوفوا بجوار الكعبة وعلى النساء الطواف من بعيد

ص: 103

1- سورة الأحزاب: 53.

2- أي في الآية المباركة.

وبينهما ستر، أو بأن يقرر وقت للرجال وآخر للنساء، إلى غير ذلك مما هو واضح.

وربما يقال: بأنه يدل على الاستحباب بالنسبة إلى الشخصيات من النساء، ولذا ورد ذلك بالنسبة إلى عمل نساء النبي (صلى الله عليه وآله) بعد نزول آية الحجاب(1).

أما الاستحباب مطلقاً فالظاهر العدم، للسيرة المستمرة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عصره الشريف وغيره بالنسبة إلى النساء، وكذلك بالنسبة إلى المسجد الحرام، وغير ذلك كما سبق.

ص: 104

1- وفي بحار الأنوار: ج22 ص185 ب2 في تفسير قوله تعالى: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» يعني فإذا سألتهم أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) شيئاً تحتاجون إليه فاسألوهن من وراء ستر. قال مقاتل: أمر الله المؤمنين أن لا يكلموا نساء النبي (صلى الله عليه وآله) إلا من وراء حجاب. «ذَلِكُمْ» أي السؤال من وراء حجاب «أَطَهْرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ» من الريبة ومن خواطر الشيطان «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ» بمخالفة ما أمر به في نسائه ولا في شيء من الأشياء، انتهى.

الجلوس في المسجد

مسألة: قد يعدّ من الآداب عند التواجد في المسجد الجلوس فيه، فهو أقرب للوقار ولرعاية حرمة المسجد ولو في الجملة.

كما يجوز القيام أو الاستلقاء فيه فيما إذا لم يكن هتكاً أو مزاحماً لما هو من شؤون المسجد، وإلا كان مكروهاً أو محرماً - حسب اختلاف الموارد - كما أن النوم في المسجد مكروه على المشهور، وقد ورد في هذا الحديث: أنها (صلوات الله عليها) جلست (1).

إسماع الصوت للرجال

مسألة: يجوز للمرأة أن تُسمع الرجل صوتها إذا حفظت الموازين الشرعية، بأن لم يكن هناك خوف فتنة، أو من الخضوع في القول مثلاً، قال سبحانه: « فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ » (2).

وقد كانت النساء يتكلمن مع الرسول (صلى الله عليه وآله) ومع أمير المؤمنين (عليه السلام) ومع الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) ومع علماء الدين إلى عصرنا الحاضر، وعلى ذلك جرت سيرة المتشعبة عموماً، لكن يجب مراعاة الموازين الشرعية.

ص: 105

1- حول أحكام المسجد وآدابه راجع موسوعة الفقه: ج 19 ص 118-298 كتاب الصلاة، وموسوعة الفقه: كتاب الآداب والسنن.

2- سورة الأحزاب: 32.

وما ذكر يدل على جواز ذلك، فإن المحذور هو الخضوع بالقول وما أشبهه، فيجوز للنساء إلقاء الخطب وقراءة التعزية في المجالس النسوية وإن وصل صوتها إلى أسمع الرجال، كما يجوز تسجيل صوت قراءتها(1) مع مراعاة الجهات الشرعية(2).

سماع صوت المرأة

مسألة: يجوز للرجال أن يسمعوا صوت النساء مع مراعاة الموازين الشرعية، لأصالة الحل والإطلاقات والسيرة المتصلة.

والفرق بين المسألتين(3) واضح.

البكاء على الميت

مسألة: يستحب الأنين والبكاء على الميت، كما بكت (عليها السلام) على أبيها (صلى الله عليه وآله)، وقد يكون بكاءؤها (عليها السلام) وأنيها لفقد أبيها (صلى الله عليه وآله) ولغضب حق خليفته أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ولما جرى عليها من مختلف أنواع الظلم.

وفي العروة الوثقى: (يجوز البكاء على الميت ولو كان مع الصوت، بل قد يكون راجحاً كما إذا كان مسكناً للحزن وحرقة القلب، بشرط أن لا يكون منافياً للرضا بقضاء الله، ولا فرق بين الرحم وغيره، بل قد مر استحباب البكاء على

ص: 106

1- وبيع أو توزيع تلك الأشرطة مع ملاحظة الموازين الشرعية.

2- راجع موسوعة الفقه: كتاب النكاح، المسألة 39.

3- أي (إسماع الصوت للرجال) و(سماع صوت المرأة).

.....
المؤمن، بل يستفاد من بعض الأخبار جواز البكاء على الأليف الضال(1). وقد ذكرنا في (الفقه): استحباب البكاء على المؤمن لتواتر الروايات بذلك قولاً وعملاً..

وما يقال من أن النبي (صلى الله عليه وآله) نهى عن البكاء مكذوب عليه(2).

رفع المرأة صوتها بالبكاء

مسألة: لا بأس في سماع الرجال الأجانب بكاء المرأة، كما لا بأس في أن ترفع صوتها بالبكاء.

كما دل على ذلك بكاؤها (عليها السلام) في البيت، حيث كان صوتها مسموعاً في المسجد(3).

وقد أوصى الإمام الباقر (عليه السلام) بأن تندبه النوادب في منى عشر سنين(4)، وهناك مجتمع الرجال والنساء كما هو واضح.

ص: 107

1- العروة الوثقى: ج2 ص130 مكروهات الدفن مسألة 1.

2- راجع موسوعة الفقه: ج15 ص161-168 كتاب الطهارة، في مستحبات قبل الدفن وحينه وبعده، الواحد والثلاثون.

3- بل في المدينة كلها، ففي الحديث: «... وأما فاطمة فبكت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى تأذى بها أهل المدينة. فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك. فكانت تخرج إلى المقابر - مقابر الشهداء - فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف»، راجع وسائل الشيعة: ج3 ص281 ب87 ح3655.

4- تهذيب الأحكام: ج6 ص358 ب93 ح146، وفيه: عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «قال لي أبي: يا جعفر، أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب تندبني عشر سنين بمنى أيام منى».

البكاء لفقد المعصوم (عليه السلام)

البكاء لفقد المعصوم (عليه السلام) (1)

مسألة: يستحب البكاء لفقد المعصوم (عليه السلام) كما بكت الزهراء (عليها السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكذلك يستحب البكاء عالياً في مصيبتهم (عليهم السلام) (2). ويستحب تشكيل مجالس للبكاء عليهم (عليهم الصلاة والسلام) فهو نوع من المواساة، ومن الانتصار للمظلوم، ومن سبل تثبيت محبة آل البيت (عليهم السلام) في قلوب الناس، وقد دل على ذلك كثير من الروايات. فعن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال لفضيل: «تجلسون وتحدثون؟». قال: نعم جعلت فداك. قال: «إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيى أمرنا، يا فضيل من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زيد البحر» (3).

بكاء المظلوم تظلاً

مسألة: يستحب بكاء المظلوم للتظلم بصوت عال، فإنه من غير الصحيح

ص: 108

- 1- حول هذا المباحث راجع كتاب (الشعائر الحسينية) لآية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي (قدس سره).
- 2- فقد روي عن ابن عباس، قال: خرجت أنا وعلي والنبى (صلى الله عليه وآله) في جنان المدينة. فمررنا بحديقة فقال علي (عليه السلام): «ما أحسن هذه الحديقة يا رسول الله؟!». فقال (صلى الله عليه وآله): «حديقتك في الجنة أحسن منها». ثم مررنا بحديقة فقال: «ما أحسن هذه يا رسول الله؟!»، حتى مررنا بسبع حدائق فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «حدائقك في الجنة أحسن منها»، ثم ضرب بيده على رأسه ولحيته وبكى حتى علا بكأؤه. فقال: «ما يبكيك يا رسول الله؟!». قال: «ضغائن في صدور قوم لا يبذونها لك حتى يفقدوني». الطوائف: ج2 ص427-428 شكاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن تقدمه.
- 3- وسائل الشيعة: ج12 ص20 ب10 ح15532.

.....
أن يسكت الإنسان على الظلم.

ولذا قال سبحانه: «لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظَلَّمُونَ» (1).

والبكاء إحدى طرق الضغط على الظالم وفضحه وإثارة العواطف ضده، ولذا بكى الإمام السجاد (عليه السلام) تلك المدة الطويلة (2)، وبكت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) حتى استشهدت (3). كما روي أنها (عليها أفضل الصلاة والسلام): «ما زالت بعد أبيها (صلى الله عليه وآله) معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يُغشى عليها ساعة بعد ساعة»، الحديث (4).

ومثل البكاء: الأنين سواء على الميت - كما سبق - أم على المظلوم، أم من المظلوم، وقد ورد في قصة يوم (أُحد) أن صفية (عليها السلام) كانت تأن وتحن على حمزة (عليه السلام) وكان ذلك بمحض من الرجال، وكلما أتت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأينها، وكلما حنت حن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحنينها (5).

وقد ورد: إنه لما انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله) من وقعة (أُحد) إلى المدينة سمع من كل دار قتل من أهلها قتيل نوحاً وبكاءً ولم يسمع من دار حمزة (عليه السلام) عمه، فقال: «لكن حمزة لا يواكي له»، فألى أهل المدينة أن لا ينوحوا على ميت ولا يبكوه حتى يبدووا بحمزة (عليه السلام) فينوحوا عليه ويبكوه (6).

ص: 109

1- سورة البقرة: 279.

2- بكى (عليه السلام) بعد أبيه الحسين (عليه السلام) أربعين سنة، راجع وسائل الشيعة: ج 10 ص 526 ب 7 ح 14035.

3- كشف الغمة: ج 1 ص 498 ذكر حالها (عليها السلام) بعد أبيها (صلى الله عليه وآله).

4- روضة الواعظين: ج 1 ص 150 مجلس في ذكر وفاة فاطمة (عليها السلام).

5- شرح نهج البلاغة: ج 15 ص 17 القول في مقتل حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام).

6- وسائل الشيعة: ج 3 ص 284 ب 88 ح 3662.

البكاء لبكاء المظلوم

مسألة: يستحب أن يبكي الناس تفاعلاً مع بكاء المظلوم، فإنه مشاركة وجدانية وتآلم لألم المتألم (1)، بالإضافة إلى أنه يتضمن تأييداً للمظلوم ونصرة له.

قال علي (عليه السلام) في وصيته للحسن والحسين (عليهما السلام): «كونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصرًا» (2).

البكاء لبكاء المفجوع

مسألة: يستحب بكاء الناس لبكاء المفجوع بمصيبة، ولذا ورد استحباب البكاء على الميت وإن لم يعرفه الإنسان (3).

ص: 110

1- وقد ورد في فضل زيارة الحسين (عليه السلام): «... أن فاطمة (عليها السلام) إذا نظرت إليهم ومعها ألف نبي وألف صديق وألف شهيد ومن الكرويين ألف ألف يسعدونها على البكاء، وأنها لتشهق شهقة فلا تبقى في السماوات ملك إلا بكى رحمة لصوتها...» - كامل الزيارات: ص 86-87 ب 27 ح 16 -.

2- نهج البلاغة، الرسائل: 47 ومن وصية له (عليه السلام) للحسن والحسين (عليهما السلام) لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله).

3- راجع العروة الوثقى: ج 2 ص 130 مكروهات الدفن مسألة 1، وفيه: (يجوز البكاء على الميت... بل قد يكون راجحاً... ولا فرق بين الرحم وغيره، بل قد مر استحباب البكاء على المؤمن).

وقد بكى الرسول (صلى الله عليه وآله) وأن وحن لبكاء وأنين وحنين صفيية(1).

فإن البكاء رحمة ورقة وعطوفة(2)، وكلها مطلوبة شرعاً حسب الروايات الكثيرة الواردة في التوادد والتراحم والرحمة والعطف وشبهها الشاملة بإطلاقها للمقام.

ص: 111

-
- 1- شرح نهج البلاغة: ج 15 ص 17 القول في مقتل حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام).
 - 2- وفي الحديث عنه (عليه السلام)، قال: «بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند موت بعض ولده. فقيل له: يا رسول الله، تبكي وأنت تنهاننا عن البكاء؟! فقال: لم أنهكم عن البكاء، وإنما نهيتكم عن النوح والعويل، وإنما هي رقة ورحمة يجعلها الله في قلب من شاء من خلقه ويرحم من يشاء، وإنما يرحم من عباده الرحماء» - مستدرک الوسائل: ج 2 ص 460 ب 74 ح 2465 - . وعنه (عليه السلام) قال: «رخص رسول الله (صلى الله عليه وآله) في البكاء عند المصيبة، وقال: النفس مصابة، والعين دامعة، والعهد قريب» - دعائم الإسلام: ج 1 ص 225 ذكر التعازي والصبر وما رخص فيه من البكاء - .

افتتاح الحديث بما يهيئ النفوس

مسألة: يستحب أن يفتح المتكلم أو الخطيب حديثه بما يهيئ النفوس ويعدّ الأذهان لتقبّل الكلام، على حسب مقتضيات البلاغة، ولذا نجد أنها (صلوات الله عليها) «أنت أنة أجهد القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس».

فإنها (عليها السلام) فجرت في النفوس كوامن العواطف، وجعلت القوم في قصوى حالات الاستعداد النفسي والعاطفي للاستماع إلى حديثها وظلامتها.

فعلينا أن نتعلم من مدرستها (عليها السلام) حتى افتتاح الحديث، بل وتطعيمه بما يؤثر على الحضور والمستمعين أكبر الأثر، فإن ذلك كمال وفضيلة، ولا شك أن تربية الإنسان نفسه على الفضيلة والكمال من المستحبات، وقد قال سبحانه: «وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا حُذًوا بِأَحْسَنِهَا» (1)، وقالتعالى: «اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» (2).

هذا بالإضافة إلى أنه كلما كان كلام الإنسان مشتملاً على عوامل تحريك العواطف وإشارة دفائن العقول يكون أقوى وقعاً في نفوس المستمعين، فيكون أقرب إلى قبولهم للمعروف وانتهائهم عن المنكر وفعلهم الخيرات، كل في مورده.

ص: 112

1- سورة الأعراف: 145

2- سورة الزمر: 55.

الكلام في أفضل الأحوال

مسألة: ينبغي إيراد الكلام على مقتضى الحال، بل وفي أفضل الأحوال، ولذلك «أمهلت (عليها السلام) هنيئة»؛ فان البدء بالحديث والقوم في شدة البكاء وفورة الالتهياج مما يفقد كلمات المتكلم تأثيرها المطلوب، ويكون التفاعل معها حينئذ أقل.

فالإمهال عندئذ ضروري، ولكن بشرط أن لا يكون الفاصل طويلاً؛ لأن الكلام يفقد حرارته ومولاته بسبب الفصل الطويل، وهذا مما ينافي موازين البلاغة.

فبالإلزام أن لا يكون متتابعاً جداً، وأن لا يكون متباعداً بعضه عن بعض، بل يكون طبق الأسلوب البلاغي حسب اختلاف المقامات (1)، ولذلك كان إمهالها (عليها السلام) (هنيئة) فقط.

ص: 113

افتتاح الأعمال بذكر الله تعالى

مسألة: يستحب افتتاح كل أمر - ومنه الحديث والكلام، على المنبر كان أو تحته، لجمع أو لفرد، في أمر من أمور الدنيا أو الآخرة - بذكر الله وحمده عزوجل، قلباً ولساناً، بل عملاً، في كل مورد بحسبه.

ومعنى الافتتاح العملي أن يكون العمل من مصاديق ما يحبه الله تعالى ويريده شروعاً (وهو الافتتاح)، واستمراراً بأن يكون مورد رضا الله سبحانه وتعالى، وذلك مثل المشي إلى الحج(1).

أو يوضح بنظير المرور تحت القرآن الكريم عند إرادة السفر وما أشبه ذلك.

وقد ورد في الحديث: «كل أمر ذيبال لم يذكر فيه بسم الله فهو أتر»(2).

والمراد: أنه أتر عن الخير، فلا خير له في الدنيا ولا في الآخرة.

وسلب الخير عنه قد يكون مطلقاً في بعض الأعمال، وقد يكون في الجملة وبالنسبة في بعضها الآخر، على حسب نوعية العمل والنية وغير ذلك.

ص: 114

1- فمن مشى قاصداً الحج يكون قد افتتح عملياً بما هو ذكر لله تعالى، عكس من مشى قاصداً الصنم أو الحرام حيث يكون قد افتتح بذكر الشيطان، فيعم الذكر العملي أيضاً.

2- وسائل الشيعة: ج7 ص170 ب17 ح9032.

تعليم الناس على الافتتاح بالحمد

مسألة: يستحب تربية وتعليم الناس على الافتتاح بذكر الله (تقدست أسماؤه) للإطلاقات، ولما يستفاد من قولها وفعلها (صلوات الله عليها) ها هنا.

فإن افتتاح كبير القوم أو قائدهم، كلامه بشيء أو بأسلوب خاص، يكون تعليماً للذين يتبعونه.

وقد سبق القول بأن أقوالها وأفعالها (عليها السلام) كسائر المعصومين (عليهم السلام)، نظراً لإحاطتهم والتفاتهم، وقد لوحظت فيها كل الجهات الممكنة والدلالات المحتملة، فتكون حجة ذات دلالة من جميع الجهات.

وقد ورد في الدعاء: «اللهم إني افتتح الثناء بحمدك»⁽¹⁾.

الافتتاح بذكر الله جهراً

مسألة: يستحب أن يكون الافتتاح بذكر الله تعالى جهراً، كما صدر ذلك من السيدة الزهراء (عليها السلام) .. وقد كان يمكن لها أن تذكر الله سبحانه سرّاً كما هو عادة بعض الناس.

وقد ورد استحباب الجهر ب (بسم الله الرحمن الرحيم) وأن ذلك من علائم المؤمن.

فقد قال الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): «علامات المؤمن خمس: صلاة

ص: 115

1- إقبال الأعمال: ص 58 فصل فيما نذكره من دعاء الافتتاح وغيره.

الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختيم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم»(1).

وربما يقال: بأن من علل الدعوة لزيارة الأربعين، والتأكيد عليها في الروايات الشريفة إفادة أن الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) - الذي كان في غاية المظلومية في يوم عاشوراء من مختلف الحثيات والأبعاد - كيف أعزه الله سبحانه وتعالى ولما يمض على استشهاده أربعون يوماً.

تقديم الحمد بعد البسمة

مسألة: يستحب تقديم الحمد - بعد البسمة - على غيره في افتتاح الحديث بل كل أمر. فالحمد يكون مقدماً، سواء كرره (2) أم أتى ثانياً بما يفيد معنى (الحمد) لا بلفظه (3)، وسواء كان بلفظ (الحمد لله) أم بما يشق منه ك (أحمد الله)، و(أنا حامد له)، أو ما أشبه ذلك من سائر الصيغ (4).

ولو انقطع الكلام عاد المرء إلى البدء بحمد الله مرة أخرى - كما هو المشاهد في خطبتها (عليها السلام) -.

ص: 116

- 1- تهذيب الأحكام: ج 6 ص 52 ب 16 ح 37.
- 2- بأن يقول: الحمد لله، الحمد لله.
- 3- كأن يقول: الحمد لله والشكر لله تعالى مثلاً.
- 4- توضيحه: قد يكون المراد أن الحمد وإن كان مكرراً أو بصيغ أخرى فإنه مقدم على سائر أنواع الثناء، فمثلاً تقول: الحمد لله، الحمد لله، وسبحان الله، والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

اشتمال الافتتاح على الثناء

مسألة: يستحب اشتمال افتتاح الأعمال والأقوال على الثناء الجميل على الله سبحانه وتعالى، مضافاً إلى أصل ذكر اسمه حسنت أسماؤه، وحمده جلتألاؤه.

فإن الثناء عبارة عن تثنية الشيء (1) وهو تأكيد، ولعلها (عليها الصلاة والسلام) كررت الحمد أو ما بمعنى الحمد، فإن الثناء يمكن أن يكون بالحمد أو بغيره مما يدل على تعظيم المحمود.

الصلاة على الرسول وآله الأطهار (عليهم السلام)

مسألة: يستحب الصلاة على النبي وآله (عليهم السلام) مطلقاً، وفي افتتاح الكلام خاصة.

ويدل على الاستحباب بالإضافة إلى فعلها (عليها الصلاة والسلام) ذي القرينة، قول الله سبحانه وتعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (2).

ص: 117

1- كما سيأتي في بحث (الثناء بما قدم).

2- سورة الأحزاب: 56.

وقد ورد في جملة من الروايات كيفية الصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأن يقال: «اللهم صل على محمد وآل محمد»⁽¹⁾، أو ما أشبه ذلك مثل: (صلى الله)، ومثل: (رب صل) ونحوهما. واستفادة الاستحباب - إضافة إلى الأمر في الآية المباركة - بلحاظ القرائن الكثيرة.

ص: 118

1- راجع موسوعة الفقه: ج 95 ص 129 (كتاب الآداب والسنن)، وفيه: فصل في كيفية الصلاة على محمد وآله، عن ابن أبي حمزة، عن أبيه، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»؟ فقال: «الصلاة من الله عز وجل رحمة، ومن الملائكة تزكية (بركة) ومن الناس دعاء وأما قوله عز وجل: «وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» فإنه يعني التسليم له فيما ورد عنه». قال: فقلت له: فكيف نصلي على محمد وآله؟ قال: «تقولون: صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته». قال: فقلت: فما ثواب من صلى على النبي (صلى الله عليه وآله) بهذه الصلوات؟ قال: «الخروج من الذنوب والله كهيئة يوم ولدته أمه». - معاني الأخبار: ص 104 - وعن كعب بن عجرة، قال: قلت: يا رسول الله، علمتنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد» - المجالس: ص 232 - وعن أبي عبد الله، أو أبي جعفر (عليهما السلام)، قال: «أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة على محمد وأهل بيته» - قرب الإسناد: ص 9 - انتهى.

تجدد البكاء عند تجدد ذكر الفقيده

مسألة: المستفاد من إطلاق أو ملاك (1) قولهم (عليهم الصلاة والسلام): «يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا» (2) وجملة من الروايات الأخر، مثل ما في دعاء الندبة وغيره، بالإضافة إلى ما تقدم من حديث الرحمة والرفقة والحنان، وكلها مستحب بالأدلة العامة: استحباب تجدد البكاء عند تجدد ذكر الفقيده خاصة إذا كان معصوماً (عليه السلام).

وتجدد الذكر لا يلزم أن يكون بمحضر الناس، كما لا يلزم أن يكون باللفظ، بل يشمل حتى التوجه القلبي.

وتجدد البكاء قد يكون:

1: أشبه بالاختياري، لتفجر العاطفة كما في هذا المورد «فعاد القوم في بكائهم» نظراً لعظمة المصاب وقرب وقوعه وسماع صوت ابنته (عليها السلام) بما تضمنه من رنة الأسي المرير، وبما كان يعكسه من لواعج الحزن الشديد.

2: وقد يكون اختيارياً بالتفكر في المصاب والسعي لإثارة العاطفة، وكلاهما مما يثاب عليه الإنسان.

ص: 119

1- الإطلاق على تقدير كون المراد ب (يحزنون) الأعم من الحزن وإظهاره كما هو المستفاد عرفاً في أمثال المورد، والملاك على تقدير العدم.

2- وسائل الشيعة: ج 14 ص 508 ب 66 ح 19705.

عدم قطع بكاء المفجوع

مسألة: ينبغي أن لا يقطع الإنسان بكاء الباكي، بل يمهلته حتى يمسك، لما سبق، بالإضافة إلى أنه نوع من التأدب.

كما ورد مثل ذلك في استحباب الإصغاء إلى المتكلم وعدم قطع كلامه، على عكس ما هو المتداول عند الكثيرين خاصة أثناء الجدل، حيث يقطع البعض حديث الآخر دون رعاية لحرمة وحتى دون فهم كلامه ومراده.

بل يمكن جريان هذا الاستحباب في الفعل أيضاً - بالملاك - بأن لا يقطع الإنسان فعل إنسان آخر بشيء من عمل أو قول؛ فإنه نوع من التأدب واحترام الآخرين، ومن مصاديق ذلك ما ورد من كراهة أن يدخل الإنسان في سوم أخيه المؤمن (1).

مراعاة حال المستمع

مسألة: ينبغي مراعاة حال المستمع، ومن المراعاة ترك الخطاب فيما إذا لم يكن المستمع في وضع يتمكن فيه، أو يسهل عليه الاستماع لبكاء أو شبهه.

ص: 120

1- راجع من لا يحضره الفقيه: ج4 ص5 باب ذكر جمل من مناهي النبي (صلى الله عليه وآله) ح4968، وفيه: «نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن أن يدخل الرجل في سوم أخيه المسلم».

وقد سبق نظير ذلك (1) ولا يبعد أن يكون سكوتها (صلوات الله عليها) لذلك ولما سبق جميعاً.

كما ينبغي مراعاة ما يحف بالكلام من الأمور الخارجية، ومن ذلك أن يسكت الإنسان لقراءة غيره القرآن الكريم مثلاً، حيث ورد قوله سبحانه: «فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا» (2). وقد ورد أن ابن الكوا قرأ القرآن وكان علي (عليه الصلاة والسلام) في القراءة في الصلاة، فسكت علي (عليه السلام) حتى إذا سكت فأتى (عليه الصلاة والسلام) قراءته، مع أن قراءته للقرآن كانت في مقام التعريض بالإمام (عليه السلام)، حيث قرأ - والإمام في سورة الحمد أثناء إمامته للجماعة أبان خلافته الظاهرية - : «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» (3) فسكت الإمام (عليه السلام)، فلما سكت ابن الكوا عاد الإمام (عليه السلام)، فلما عاد ابن الكوا سكت الإمام (عليه السلام)، فلما سكت اكتفى الإمام (عليه السلام) في الجواب بقوله تعالى: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ» (4)، ثم أتم (عليه السلام) قراءته وصلاته ولم يعاقبه أدنى عقوبة على ذلك (5).

ص: 121

1- الفرق بين هذا وما سبق - الكلام في أفضل الأحوال - أن هذا لوحظ فيه جانب القابل، وذاك كان الملاحظ فيه جانب الفاعل، وبعبارة أخرى: ذاك كان بلحاظ تأثير الكلام، وهذا بلحاظ الجانب الإنساني من حيث مراعاة وضع المستمع، وفرق هذا عما سبقه مباشرة: إن هذا أعم مطلقاً أو من وجه، فليدقق.

2- سورة الأعراف: 204.

3- سورة الزمر: 65.

4- سورة الروم: 60.

5- وسائل الشيعة: ج 8 ص 367 ب 34 ح 10923.

العودة إلى حمد الله تعالى

مسألة: يستحب أن يعود الإنسان بعد قطع كلامه إلى حمد الله تعالى مرة ثانية؛ لأنه يعد ابتداءً أيضاً.

والمراد بالابتداء هنا الابتداء النسبي، فلا تنافي بين هذه وبين ما سبق من «كل أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتري»⁽¹⁾ على تقدير إرادة البسملة، وإلا - بأن أريد ما هو اسم لله تعالى - صدق على حمد الله لتضمنه اسم الله، إذ أحدهما كلي والآخر من مصاديقه.

والظاهر أنها (عليها السلام) حمدت مرتين، والثانية لوحدة نسق الكلام، ولعله يدل على استحباب التثنية. هذا و(الحمد): هو ذكر الله بالجميل على نعمه مطلقاً، فإنه واجب عقلاً وشرعاً، وإن لم يجب بهذه الصيغة، نعم يجب التقيد بها في الصلاة للدليل الشرعي.

و(الحمد) لا يختص بمجال النعمة على الشخص، بل هو الذكر والوصف بالجميل الاختياري⁽²⁾ بقصد التعظيم على نعمه مطلقاً⁽³⁾، وقد يعمم حتى للابتداء بالثناء⁽⁴⁾. أما (الشكر) فهو الثناء الجميل وإظهار الامتنان على ما أولاه من معروف وإحسان.

ص: 122

1- وسائل الشيعة: ج 7 ص 170 ب 17 ح 9032.

2- عكس المدح الذي يشمل الجميل غير الإرادي كمدح اللؤلؤ لجماله.

3- أي سواء تعلقت النعمة بالشخص نفسه أم بغيره.

4- راجع (أقرب الموارد).

الشكر لله تعالى

الشكر لله تعالى (1)

مسألة: يستحب الشكر لله تعالى في ابتداء الكلام - خطابة كان، أم كتابة، أم حديثاً عادياً - بعد ذكر الله وحمده.

والشكر في الابتداء من باب المصداق.

كما قالت (عليها السلام): «وله الشكر على ما ألهم».

والإلهام: هو الإلقاء في الذهن والروح، وهو نوع من التلقين (2).

وقد قال سبحانه: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» (3).

والمراد بالكفر: كفران النعمة وعدم الشكر، لا الكفر في العقيدة، فإن الكفر:

قد يطلق على الكفر في العقيدة، كما لو جحد الخالق.

وقد يطلق على كفر النعمة.

وقد يطلق على ترك شيء مما أمر الله سبحانه وتعالى به كما في قوله:

ص: 123

1- حول هذا المبحث ونظائره راجع: (الفقه: الآداب والسنن)، و(الفقه: الواجبات والمحرمات)، و(الفضيلة الإسلامية)، للإمام المؤلف (قدس سره).

2- (ألهمه الله خيراً) أي: ألقنه - مجمع البحرين: ج 6 ص 171 مادة لهم -.

3- سورة إبراهيم: 7.

.....
«أَفْتُوْمُنُونَ بَبْعُضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بَبْعُضٍ»(1).

سواء كان الأمر على سبيل الاستحباب أو على سبيل الوجوب، مثل قوله سبحانه:

«وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»(2).

وقد ورد في حديث الإمام الصادق (عليه السلام): «الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه»، منها الثلاثة التي سبقت(3).

ص: 124

1- سورة البقرة: 85.

2- سورة آل عمران: 97.

3- راجع الكافي: ج2 ص389 باب وجوه الكفر ح1.

الثناء على الله تعالى

مسألة: يستحب الثناء على الله تعالى في الكلام - كما سبق - بعد الحمد والشكر، كما قامت هي (عليها السلام) بذلك، فإن كل أفعالها وأقوالها على أتم مقتضيات الحكمة.

والثناء - كما ذكرنا - بمعنى الثينة؛ لأن الإنسان يثني على الله سبحانه وتعالى ما ذكره أولاً (1) سواء كان الأول حمداً، أو مدحاً، أو شكراً، أو تمجيذاً، أو ما أشبه ذلك.

أو: إن أوله ما تفضل به الله سبحانه من النعم على عبده.

ذكر متعلق الحمد وما يوجبه

مسألة: يستحب ذكر متعلق الحمد والشكر والثناء، وما يستوجبه ولو إجمالاً، تأسيساً بها (سلام الله عليها) حيث قالت: «على ما أنعم»، و«على ما ألهم» و«بما قدم»؛ فإنه من التفصيل المطلوب في مقام المدح ونحو المدح، كما نرى أن المادح يذكر الأسماء المتعددة والخصوصيات المختلفة للممدوح.

ص: 125

1- قال في لسان العرب: ج 14 ص 115 مادة ثني: (ثنيت الشيء ثنياً، أي: عطفته، وثنى الشيء ثنياً: ردّ بعضه على بعض، وثنى الشيء: جعله اثنين، والثناء: ما يصف به الإنسان من مدح أو ذم، وخص بعضهم به المدح).

وكذلك المحزون يذكر شتى الصفات الحسنة ومختلف الخصال المستحسنة للمحزون عليه، وهكذا في كل مورد يكون المطلوب فيه إطالة الكلام (1).

ذكر الله تعالى وحمده عند تواتر المصائب

مسألة: يستحب ذكر الله تعالى وحمده وشكره والثناء عليه عند اشتداد البلاء وهجوم المصائب على الإنسان.

وذلك من أهم الدروس التي يجب أن نتعلمها من الصديقة الطاهرة (عليها السلام) حيث إنها (صلوات الله عليها) رغم ما نزل بها من عظيم المصائب وجليل الخطوب، حيث فقدت أباهما خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله)، وحيث هجم عبّاد السلطة على دارها وضربوها وكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها وغضبوا حقها وحق بعلها سيد الأوصياء (عليه السلام)، رغم كل ذلك تبدأ تظلمها بحمد الله وشكره والثناء عليه.

وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن رسول الله كان إذا ورد عليه أمر يسره قال: الحمد لله على هذه النعمة، وإذا ورد عليه أمر يغتم به قال: الحمد لله على كل حال» (2).

وإنما كان الحمد لله عند نزول المكاره - كما ورد: «الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه» (3) -؛ فلأن المكروه بالنسبة إلى الصالحين إما ترفيع درجة، وإما

ص: 126

1- راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف (قدس سره).

2- وسائل الشيعة: ج3 ص247 ب73 ح3535.

3- راجع شرح نهج البلاغة: ج7 ص252، وفيه: ومن الكلام المشهور «سبحان من لا يحمد على المكروه سواه».

.....
محو ذنب، هذا فيمن يقع منهم الذنب كغير المعصومين (عليهم السلام)، أما في المعصومين (عليهم السلام) فالمكارة كلها تسبب ترفيع درجاتهم ومزيد قربهم من الله تعالى.

توجه المظلوم إلى الله تعالى

مسألة: يستحب للمظلوم أن يتوجه إلى الله تعالى بقلبه، وأن يذكره بلسانه مطلقاً، وفي حين تمهيد الأسباب لرفع الظلم والضميم عنه. ومنه (1) الدعوى والمطالبة بالحق، فإن رفع الظلّامة بيد الله سبحانه وتعالى أولاً وبالذات، وقد جعل الله سبحانه وتعالى لرفع الظلّامة أسباباً تكوينية أمر بانتهاجها - كما أمر بمراجعة الطبيب عند المرض - باعتبار أنه تعالى جعل الدنيا دار بلاء وامتحان وأسباب ومسببات، وقد ورد في الحديث الشريف: «اعقلها وتوكل» (2) فهو سبحانه علة العلل.

وبذلك يظهر وجه استحباب التوجه حين مطالبة الحق، حيث إن القلوب بيد الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن يكون التوجه لله سبباً لإلقائه سبحانه وتعالى الرأفة في قلب الخصم فيستجيب لدعوة المظلوم ويرفع ظلامته. فقد ورد: «قلب السلطان بين إصبعي الرحمان». كما روي: أن رجلاً جاء إلى الإمام الصادق (عليه الصلاة والسلام) وسأله أن يتوسط لدى الوالي لإنجاز حاجته... ولما قضيت حاجته، جاء إلى الإمام (عليه السلام) متسائلاً: يا بن رسول الله، متى دخلت عليه؟ فقال (عليه السلام) - ما معناه - : «إني سألت الله الذي بيده القلوب، فألآن قلب الوالي لقضاء حاجتك».

ص: 127

1- أي من تمهيد الأسباب.

2- مشكاة الأنوار: 319-320 ب8 ف7.

إفاضة الخير على الجميع

مسألة: يستفاد من «تخلقوا بأخلاق الله»⁽¹⁾ كبرى، وعموم نعم الله جل وعلا - على ما في هذا الحديث ومتواتر الروايات والآيات والعقل والوجدان - صغرى:

رجحان تعميم النعمة وإفاضة الخير على الجميع.

إضافة إلى إطلاقات البر والمعروف وقضاء الحوائج وغيرها.

وقولها (عليها السلام): (من) بيان ل (ما) في (والثناء بما قدم).

و(ما قدم) يحتمل أن يراد به ما أوجد، كما يحتمل أن يراد به معنى الابتداء، فهو جل وعلا بدأ بالإحسان، ونحن نشني عليه بالذكر الجميل.

ص: 128

الابتداء بالنعمة والإحسان

مسألة: يستحب الابتداء بالنعمة والإحسان قبل أن يطلب ذلك من الإنسان.

ويفهم ذلك مما تقدم في البحث الآنف، بالإضافة إلى أن الخير خير، والابتداء بالخير خير مضاعف، ذلك أنه في أصل الخير خير، وابتدائه ابتداء بالإحسان وهو خير إضافي.

ولذا ورد في الأدعية: «يا مبتدئاً بالنعمة قبل استحقاقها»⁽¹⁾.

ومن أسماء الله سبحانه (البديء والبديع)⁽²⁾، فهو سبحانه يبدأ بالنعمة، وهو سبحانه بديع يبدع الأشياء لا من مثال سبقه فتعلم منه، فكل ما في الكون إبداع، من الذرة إلى المجرة، ومن الجوهر إلى العرض، ومن عالم الاعتباريات إلى عالم الحقائق والواقعيات، المادية منها والمجردة، عند القائل بها⁽³⁾.

وهناك روايات عديدة تحض على الابتداء بالإحسان، قال (صلى الله عليه وآله): «اليد العليا خير من اليد السفلى»⁽⁴⁾.

ص: 129

1- مستدرک الوسائل: ج6 ص310 ب19 ح6885.

2- تهذيب الأحكام: ج3 ص115 دعاء أول يوم من شهر رمضان.

3- أي بالمجردة، فإن الإمام الشيرازي (رحمة الله) يرى عدم وجود مجرد إلا الله عزوجل، انظر كتاب (الفقه: العقائد).

4- من لا يحضره الفقيه: ج4 ص376 ومن ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الموجزة التي لم يسبق إليها ح5763.

كمال النعم وتمامها

مسألة: يستحب إسباغ الآلاء، أي إتمامها وإكمالها.

والفرق بين العموم والإسباغ في الجملتين:

أن العموم بمعنى شمولية النعمة لزيد ولعمرو ولبكر مثلاً، أو نعم عديدة لزيد أي شمولية النعم للواحد.

أما السبوغ فعبارة عن الكمال والتمام، و(نعمة سابغة) أي كاملة وافية. وربما فسر إسباغ النعمة بتوسعتها(1).

وربما يعبر ب: تكثير النعمة كيفاً لكل واحد من المنعم عليهم.

وتسمى النعمة نعمة؛ لأن الإنسان ينعم بسببها، وتسمى آلاءً جمع إلى(2) لأنها تنتهي إلى الإنسان، فإن مادة (إلى) بمعنى الانتهاء وتعني هنا النعمة، وهو من إضافة الصفة للموصوف فهو بمعنى (آلاء سابغة).

ص: 130

1- قال في مجمع البحرين: ج 5 ص 11 مادة سبغ: إسباغ النعمة توسعتها، ومنه الدعاء: (أسبغ علينا نعمك) أي أفضها علينا سابقة واسعة، والتعدية بعلی لتضمنها معنى الإفاضة، و(إسباغ الوضوء): إتمامه وإكماله، و(الحمد لله سابغ النعم) أي: كاملها وتامها، انتهى. وقال في لسان العرب: ج 8 ص 432 مادة سبغ: شيء سابغ أي: كامل واف، و(سبغت النعمة): إتسعت، و(نعمة سابغة) و(أسبغ الله عليه النعمة): أكملها وأتمها ووسعها.

2- (إلى) بالقصر والفتح، وقد تكسر الهمزة - مجمع البحرين: ج 1 ص 29 مادة إلا -.

إسداء النعمة

مسألة: يستحب إسداء النعم إلى كل الناس حسب القدرة، حيث تقدم أنه يستحب التخلق بأخلاق الله سبحانه وتعالى، والإسداء هو الإيصال بيسر في مقابل الإيصال بعسر(1).

توالي إفاضة النعم

مسألة: يستحب التوالي في إفاضة النعم وتعاقبها، لما سبق.

كما يستحب أن يتجلى ذكر الإنسان نعم الله سبحانه وتعالى على لسانه وقلبه وجوارحه، فإن مركز ذكر النعمة اللسان والبدن والقلب، ولذا قال سبحانه: «اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا»(2).

فإن قسماً من الناس يعرف نعم الله سبحانه لكنه لا يذكرها بلسانه، ولا يظهر أثر النعمة على جوارحه، بصلاة أو صيام أو ركوع أو سجود أو ما أشبه

ص: 131

-
- 1- قد يستفاد ذلك من التأمل في كتب اللغة، فقد جاء في لسان العرب: ج14 ص375 مادة سدو: السدو - وهو مصدر الثلاثي المجرد -: السير اللين و(السادى) الذي فيه اتساع خطو مع لين، انتهى. وفي المجمع: (أسدى) أعطى.
 - 2- سورة سبأ: 13.

ذلك، ومن الناس من يفعل كل ذلك، ومن الناس من يذكر النعم بلسانه فقط... وهكذا.

فإن المستحب ذكر النعم، كما ذكرتها الصديقة الطاهرة (عليها السلام) باللفظ، بالإضافة إلى ذكرها بقلبيها وعملها بجوارحها (عليها السلام) كما هو دأبهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

قولها (عليها السلام): «وتمام من» حيث إن مننه تعالى تامة لا نقص فيها.

و(والى بين الشئين) بمعنى: تابع، فنعمه سبحانه وتعالى التامة متوالية متلاحقة.

إظهار العجز عن إحصاء النعم

مسألة: يستحب إظهار عجز الإنسان عن إحصاء نعم الله سبحانه، ومدى قصوره عن الإحاطة بجانب من مخلوقاته تعالى وهو النعم الإلهية. لوضوح أن الإنسان محدود بحد صغير في نطاق ضيق، والنعم محدودة بحد كبير وفي إطار واسع حتى بالنسبة إلى إنسان واحد، فكيف بكل نعم الله سبحانه على كل الناس من أول الخلق وإلى ما لا ينتهي من الجنة.

بل النعم قد يصدق عليها اللا متناهي اللا يقفي على امتداد الزمن، إذ لا انتهاء للآخرة (1) بمشيئته تعالى.

وربما يكون الأمر كذلك من الناحية الكمية (2) بل والكيفية (3) أيضاً. وقد ورد في الدعاء:

«وتقاصر وسع قدر العقول عن الثناء عليك، وانقطعت الألفاظ عن مقدار محاسنك، وحكت الألسن عن إحصاء نعمك، وإذا ولجت بطريق البحث عن نعمتك بهرتها حيرة العجز عن إدراك وصفك» (4).

ص: 133

- 1- فالنعم مستمرة زماناً إلى ما لا نهاية.
- 2- فربما يكون أعداد النعم في عالم الآخرة متواترة مترادفة بحيث لا تتناهي كمراتب الأعداد.
- 3- فربما تكون مراتب النعم ودرجاتها متزايدة باستمرار لا متناه، كأن تزداد حلاوة العسل باستمرار، ويزداد برد الماء ورواؤه أنا بعد آن، وهكذا.
- 4- البلد الأمين: ص 379 دعاء لمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو المفضل على كل دعاء له (عليه السلام).

قولها (عليها السلام): «جم» أي كثر «عن الإحصاء عددها»؛ فإن نعم الله لا يمكن إحصاؤها، فمثلاً في جسم الإنسان مليارات من الخلايا الحية مما لا يتمكن الإنسان من إحصائها، وفي كل خلية قشرة (غطاء خارجي) ولب ومركز قيادة (1).

تذكر لا نهائية النعم

مسألة: يستحب أن يتذكر الإنسان دوماً أن نعمه تعالى لا تعد ولا تحصى، وأن يشكر الله ويحمده على ذلك.

فإن تذكر أصل النعمة والشكر لها مستحب، وتذكر أنها لا تعد ولا تحصى مستحب آخر؛ لأنه نوع من الذكر ومن الشكر، وقد قال سبحانه: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ» (2).

ص: 134

-
- 1- وقد أحصى بعض علماء العلم الحديث أن في كل مركز قيادة لكل خلية ثلاثون ألف طابق - إذا ما شبهنا هذا المركز بعمارة ذات طوابق - تمر عبرها ويسببها كافة التفاعلات الكيماوية وغيرها.
 - 2- سورة البقرة: 152.

عدم إمكان الجزاء على النعم

مسألة: يستحب تذكير الناس دوماً بأن نعم الله سبحانه وما أفاضه على الخلق لا يمكن ولا يعقل جزاؤها؛ لأنه لو فرض إمكان أصل الجزاء منا له تعالى - وهو فرض محال؛ لأن الجزاء لا يكون إلا بما هو خارج عن ملك المجازي وحيطة قدرته، والحال أن كل موجود داخل في ملك الله سبحانه وحيطته - فهو أيضاً بنعمة أخرى؛ لأن كل ما للإنسان من جسم وروح وعقل وعاطفة وقدرة وإيمان، وكل ما في الكون بأجمعها، نعم الله سبحانه وتعالى، فكل حركة وكل شكر يستدعي شكراً جديداً إلى ما لا نهاية.

قال السيد الطباطبائي (رحمة الله) في قصيدته:

شكراً وأنا لي بلوغ ما وجب *** من شكره والشكر للشكر سبب

وبهذا المعنى ورد عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) في مناجات الشاكرين حيث يقول (عليه الصلاة والسلام):

«إلهي أذهلني عن إقامة شكرك تتابع طولك، وأعجزني عن إحصاء ثنائك فيضفضلك، وشغلني عن ذكر محامدك ترادف عواندك، وأعياني عن نشر عوارفك توالي أياديك...»

فلاؤك جملة ضعف لساني عن إحصائها، ونعماؤك كثيرة قصر فهمي عن إدراكها، فضلاً عن استقصائها، فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر

إلى شكر، وكلما قلت لك الحمد وجب عليّ لذلك أن أقول لك الحمد...» (1).

قولها (عليها السلام): «ونأى» أي بعد.

فحياة الإنسان لا تسع لجزاء نعمه سبحانه، فأمد النعم قد أبعدّها عن إمكان الجزاء، حيث إن نعم الله تواترت على الإنسان قبل خلقته في هذا العالم - مثلاً عالم الذر - وحين كان تراباً، ثم نطفة، فإنساناً كاملاً، ثم وهو في عالم الآخرة في الجنة.

ص: 136

1- الصحيفة السجادية الكاملة: ص 307-308 المناجاة السادسة، مناجاة الشاكرين، منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت.

العجز عن إدراك النعم

العجز عن إدراك النعم (1)

مسألة: يستحب ذكر الله سبحانه بهذا النحو الذي يشير إلى محدودية إدراك الإنسان من جهة، وإلى دوام نعم الله تعالى من جهة أخرى.

بيان: إن (أبد) (2) نعم الله سبحانه لا تدرك، إذ أن النعم لا متناهية حيث أنها موصولة بجنة لا محدودة - لا يقفياً - من حيث الزمن (الكم المتصل غير القار) ومن حيث العدد (3) (الكم المنفصل) كما سبق.

بل وربما حتى من حيث المسافة، إذ يحتمل توسع الجنة باستمرار من هذا الحيز أيضاً، ونظيره ما في الحياة الدنيا، قال سبحانه: «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ» (4).

ومن المعلوم أن الإدراك محدود خصوصاً في الدنيا، ولذا لا يتمكن من إدراك أبد النعم، فقد (تفاوت) أي تباعد تباعداً كبيراً (5) «عن الإدراك أبدها» أي أبد النعم ودوامها.

ص: 137

1- حول هذا المبحث ونظائره راجع الكتب الكلامية للإمام المؤلف (قدس سره)، ومنها: (القول السديد في شرح التجريد)، و(شرح المنظومة).

2- الأبد: الدوام والخلود، وبمعنى الدهر الطويل الذي ليس بمحدود.

3- أي عدد مصاديق النعم.

4- سورة الذاريات: 47.

5- تفاوت الشيطان تفاوتاً: أكثر تباعد ما بينهما - مجمع البحرين: ج2 ص214 مادة فوت -.

فلا يتمكن الإنسان من إدراكها، فإن القوة المدركة محدودة وذلك غير محدود بالقياس لتلك، والمحدود لا يستوعب غير المحدود استحالة عقلية كما أشرنا إلى ذلك.

وقد يكون السبب في محدودية القوة المدركة في الدنيا: سجنها في حيز الجسم.

فلربما توسعت المدارك الإنسانية في الآخرة بحيث تحيط بالنعم وشبهها، وهذا الأمر على مبنى تجرد الروح أظهر، فتأمل(1).

ص: 138

1- التأمل إشارة إلى ما ارتآه الإمام المصنف في كتابه (الفقه: العقائد) حيث قال بعدم وجود المجرّد إلاّ الله عزوجل، فراجع.

الاستزادة من النعم

مسألة: يستحب السعي للاستزادة من النعم بالشكر وغيره، حتى يتفضل الله سبحانه باتصال النعم بعضها ببعض، فإنه تعالى هو الذي «ندبهم» أي دعاهم «لاستزادتها بالشكر»، وإجابة دعوة الله تعالى راجحة (1) دون شك.

وقد وعد سبحانه بزيادة النعم وتواصلها إثر الشكر وبسببه، قال تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» (2).

وقال سبحانه: «وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» (3).

وقال عز وجل في آية أخرى: «وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» (4).

التحفظ على النعم

مسألة: يستحب التحفظ على النعم، فإن النعم إنما تحفظ بالشكر القولي والعملي، فللشكر فائدتان: فائدة حفظ النعم، وفائدة الاستزادة منها،

ص: 139

1- بالمعنى الأعم.

2- سورة إبراهيم: 7.

3- سورة لقمان: 12.

4- سورة العنكبوت: 6.

واستحباب التحفظ على الأصل - ما هو الموجود من النعم - يفهم من ندمه تعالى للاستزادة منها كما لا يخفى.

كما يستحب تشويق الناس بعضهم بعضاً للاستزادة من النعم، والتحفظ على ما عندهم منها، إذ تشمله إطلاقات كثير من الآيات والروايات، إضافةً إلى العقل، وبيان ندمه تعالى لذلك من طرق التشويق.

كما يستحب تعليم الآخرين طرق الاستزادة من النعم وحفظها، ويشمله قوله تعالى: «تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى» (1).

وهذا من غير فرق بين أن تكون النعمة مادية أو معنوية، ظاهرية أو باطنية، فإن الحمد والشكر يوجبان بقاء النعمة والاستزادة منها.

وجوب أصل الشكر وبعض مصاديقه

مسألة: يمكن القول بوجوب أصل الشكر لله تعالى، فمن أعرض عن شكره مطلقاً (2) كان آثماً، كما قد يجب بعض مصاديقه، لوجوب حفظ أو تحصيل بعض النعم لجهات عديدة.

فإنه من الشكر واجب ومنه مستحب، فإن كان مقدمة للواجب وجب، وإن كان مقدمة للمستحب استحب (3)، للتلازم بين المقدمة وذوي المقدمة، كما قرر في بحث مقدمة الواجب ومقدمة الحرام (4).

ص: 140

1- سورة المائدة: 2.

2- بالقلب واللسان والجوارح دائماً.

3- ولو عقلاً.

4- راجع (الأصول) للإمام المؤلف (قدس سره).

وقد أرشد الله سبحانه للشكر حتى يستزيد الإنسان من نعمه تعالى. قال سبحانه: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» (1). وستكون النعم عند الشكر متصلة بعضها ببعض بفضلته تعالى.

والشكر - فيما عدا الواجب - مستحب مطلقاً.

كما أن الشكر بهذا اللفظ (2) مستحب، سواء كان بهذه الصيغة أم بسائر الصيغ، وسواء كان متعلقه لفظ الجلالة بذاته أم سائر صفاته، فيصح أن يقول: (شكراً لله)، أو (شكراً للخالق)، أو (الرازق)، أو (الحاكم)، أو (العالم)، أو (القائم)، أو (الدائم)، أو (الحي)، أو (القيوم)...

كما يصح أن يقول: (أشكر) أو (إني شاكر) أو ما أشبه ذلك من الألفاظ الكثيرة، من حيث التعلق ومن حيث صيغة الشكر.

وكذلك يصح أن يأتي بصيغة الجمع نحو: (إنا شاكرون) وما أشبه ذلك.

هذا كله في الشكر اللفظي.

وأما الشكر العملي: فبإطاعة الله سبحانه، قال تعالى: «اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا» (3).

وقال تعالى: «اشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ» (4) والمراد بالشكر هنا: الأعم.

ص: 141

1- سورة إبراهيم: 7.

2- أي بهذه المادة.

3- سورة سبأ: 13.

4- سورة البقرة: 152.

حمد الله واجب أم مستحب

مسألة: ينبغي حمد الله تعالى على نعمه، وعلى غيرها أيضاً.

ولولا القرينة لدل قولها: «استحمد» على الوجوب، إذ (استحمد) بمعنى: طلب منهم - جل شأنه - أن يحمده، لأنه أجزل عليهم النعم، والأصل في طلب العالي من الداني وجوب التلبية، خاصة إذا كان مشفوعاً بتعليل كتعليلها (عليها السلام) (1) إذ ذلك ملزم للحمد عقلاً.

ويمكن الالتزام بدلالته (2) على وجوب الطبيعة (3) المنطبقة على الواجب من الحمد (4) فيتحقق امتثالها بالإتيان بتلك المصاديق وتكون القرائن صارفة عن إرادة العموم (5)، فتأمل.

ونظيره قوله تعالى:

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (عليهم السلام) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ

ص: 142

- 1- في قولها (عليها السلام): «بإجزالها».
- 2- أي دلالة (استحمد).
- 3- وهي الكلي الطبيعي.
- 4- المراد: إن هناك مصاديق واجبة شرعاً تتضمن الحمد لله تعالى، كالصلاة المتضمنة لسورة الحمد - مثلاً - فينطبق كلي (الحمد) المطلوب على هذه المصاديق ويتحقق بها.
- 5- أي إرادة: إيجاب مطلق الحمد وكل أفراد، فعلى هذا تكون سائر أفراد الحمد المتحققة في غير الواجبات المعهودة مستحبة.

.....
خَوْفٍ»(1).

و(الإجمال): عبارة عن الإكمال كما سيأتي، فهذه الجملة بالنسبة إلى الكيف، وإن أمكن غير ذلك، والجملة السابقة (2) بالنسبة إلى الكم، فشكره على حمده (3) يزيدا كما ويعطيها الديمومة زمنياً.

وقد يفرق بين الحمد والشكر:

بأن (الحمد) أعم، إذ ليس فيه دلالة على نعمة واصلية إلى الحامد؛ لأنه ربما يحمد لكون المحمود له صفة حميدة.

بينما (الشكر) له هذه الدلالة، وقد سبق ذلك.

ثم لا يخفى أن الشكر والحمد مطلوبان لله تعالى لأجل الإنسان نفسه، لا لفائدة تعود إليه سبحانه، إذ هو تبارك وتعالى الغني المطلق، فهما كعبادته جل وعلا تزيد الإنسان تكاملاً وسمواً واقتراباً منه سبحانه، فطلبه ذلك مناً للطفه وكرمه وفضله وحكمته.

ويشير إلى ذلك ما ورد من قوله تعالى في الحديث القدسي:

«عبدني أطعني تكن مثلي أقول للشيء كن فيكون، وتقول للشيء كن فيكون»(4).

ص: 143

1- سورة قريش : 3-4.

2- «وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها».

3- أي معه.

4- راجع إرشاد القلوب: ج 1 ص 75 ب 18، وفيه: روي أن الله تعالى يقول في بعض كتبه: «يا ابن آدم، أنا حي لا أموت أطعني فيما أمرتك أجعلك حياً لا تموت. يا ابن آدم، أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون».

وقوله سبحانه: «وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ»(1).

وقوله تعالى: «اتَّعْبُدُونَ مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا»(2).

ونظائرها كثيرة، مما يدل على أن النفع والضرر يعود(3) للإنسان نفسه.

و(الإ-جزال) معناه: الإكمال والإتمام والإكثار(4)، يقال: (أجزلت له من العطاء) أي: أكثرت، فإن أصل النعمة يوجب الحمد والشكر، والإكثار من النعمة يستدعي مزيداً من الحمد والشكر.

فاللازم وجوباً أو استحباباً إيقاف الناس على ذلك، حتى يحمده ويشكروه سبحانه وتعالى أكثر، وبذلك يستجلبون خيراً أكثر بلطف الله سبحانه وتعالى.

وكما أنه سبحانه ندبهم للاستزادة منها في دار الدنيا، كذلك ندبهم إلى الحصول على أمثال نعم الدنيا في الآخرة عبر الشكر والحمد، قال تعالى:

ص: 144

1- سورة يس: 61.

2- سورة المائدة: 76.

3- أي كل واحد منهما.

4- تستفاد هذه المعاني مما ذكره اللغويون لتوضيح معنى (جزل) أو موارد استعماله، فمثلاً: (جزل) ككرم: صار ذا رأي جيد، و(الجزل): العاقل الأصيل الرأي - القاموس المحيط: ج 3 ص 348 مادة جزل - (جزل) و(حطباً جزلاً) أي: غليظاً قوياً، و(رجل جزل) أي: جيد الرأي، و(امرأة جزلة) أي: تامة الخلق، و(اللفظ الجزل): خلاف الركيك، و(الجزيل): العظيم، و(عطاء جزل وجزيل) أي: كثير - راجع لسان العرب: ج 11 ص 109 مادة جزل -.

.....
«كَلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُشَابِهًا» (1).

فالشكر والحمد أولاً يزيد نعم الدنيا، وثانياً يسبب نعم الآخرة، فهو تعالى قد ثنى دعوته وطلبه (2) ب «الدعوة إلى أمثالها» أي: أمثال تلك النعم والآلاء والمنن (3)، فالراجح - وجوباً أو استحباباً - ندب العباد ودعوتهم إلى الاستزادة منها.

وهذه هي نوع من التجارة مع الله سبحانه، نظير قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ» (4). ومن الواضح أنها تجارة رمزية، إذ لا نسبة بين الثمن والمثمن، إضافة إلى أن الكل ملك له تعالى (5).

ص: 145

1- سورة البقرة: 25.

2- أي أضاف لطلبه الأول - وهو طلب الحمد في (استحمد) وطلب الشكر في الجملة السابقة - طلباً ثانياً هو الدعوة إلى الأمثال.

3- في قولها (عليها السلام): «من عموم نعم ابتدآها، وسبوغ آلاء أولآها، وتمام منن وآلاها».

4- سورة التوبة: 111.

5- أي: إن الثمن والمثمن والمشتري والمشتري كلها ملك لله تعالى، ولذلك كانت المعاملة رمزية مجازية.

بحث حول كلمة التوحيد

مسألة: التعبير ب (أشهد) دون (أقرّ) أو (أعترف) أو ما أشبه ذلك، نظراً لأن (الشهادة) و(الشهود) هو أعلى مراحل الإدراك، ووجوده تعالى ووحدانيته من الوجدانيات والفطريات، فهو معلومة للإنسان بأجلى أنحاء المعرفة، وكذلك فيما هو بمنزلة ذلك(1).

وكلمة التوحيد (2) مركبة من عقد سلب وعقد إيجاب، فنفي الباطل والغير أولاً، ثم إثبات الحق المحض المطلق.

هذا ونفي الشريك يستلزم - لدى الدقة - نفي الجزء أيضاً(3) إضافة إلى أن التركيز على نفي الشريك لأنه الشائع في المعتقدات دون قسمه(4).

ص: 146

1- قد يكون المراد الشهادة برسالة النبي (صلى الله عليه وآله) الثابتة بالبراهين الجلية، وكذلك الشهادة بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)

2- أي: لا إله إلا الله.

3- قد يكون هذا دفع دخل مقدر، وإجابة عن أنه لماذا لم تتضمن كلمة التوحيد نفي الأجزاء لله تعالى؟. حيث إن إثبات الواحدية يستلزم إثبات الأحدية أيضاً، إذ المركب لا يخلو إما أن يكون كلا جزئيه واجباً فلم يكن واحداً وهذا خلف، أو يكون كلاهما ممكناً فلا يعقل أن يكون المركب منهما واجباً، وهذا خلف، أو يكون أحدهما واجباً فعندئذ لا يكون المجموع واجباً - إذ النتيجة تتبع أخس المقدمتين - بل كان هذا الجزء واجباً وذاك كضم الحجر بجنب الإنسان ويكون التعبير بالجزئية باطلاً.

4- وهو نفي الجزء والتركيب.

ثم إن وجوب الإيمان بالله تعالى فطري وعقلي، وما ورد من إيجاب ذلك إرشاد وإفادات.

وإن منكر وجوده تعالى كافر، فإن كان معتقداً به سبحانه فيما سبق ثم أنكر كان مرتداً، والمرتد فطري وملّي، والبحث في ذلك كله موكول إلى مظانه(1).

والحكمة في ذكر ذلك كله - من أصول الدين ولواحقها والفروع وشطر وافر من الأخلاقيات - في خطبتها (عليها السلام) هي التعليم والتزكية والتأكيد والتركيح والتذكير وإتمام الحجّة. فإن بأمثال هذه الخطبة منها ومن أبيها وبعلمها وبنيتها (عليهم صلوات المصلين) أثاروا عن الناس دفتان العقول(2)، وعلموهم وزكّوهم(3).

وبأمثالها تركزت هذه المباني وثبتت وترسخت رغم كل الطوارئ والموانع والتشكيكات والشبهات.

وبأمثالها تمت الحجّة على الناس: «لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ

ص: 147

1- راجع موسوعة الفقه: ج4 ص182-274 كتاب الطهارة، الثامن في نجاسة الكافر.

2- إشارة للحديث الوارد في بيان حكمة بعثة الأنبياء (عليهم السلام): «ويثيروا لهم دفتان العقول» نهج البلاغة، الخطب: 1، ومن خطبة له (عليه السلام) يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم (عليه السلام).

3- إشارة إلى قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» سورة الجمعة: 2.

.....
حُجَّةٌ (1).

وقد يكون لذلك أيضاً ما نجد من الشارع المقدس حيث قد سنّ واجبات ومستحبات تمتد بامتداد حياة الإنسان كلها، من الولادة حتى الوفاة (2) بل من قبلهما ومن بعدهما أيضاً (3) وهي تتضمن الحديث عن الأصول والفروع والأخلاقيات وشبه ذلك.

فلذلك نجدها (عليها السلام) تحدثت عن ذلك كله في خطبتها، تركيةً وتعليماً وتذكيراً وإتماماً للحجة، ويتضمن ذلك أيضاً بعد الأسوة.

ص: 148

1- سورة النساء: 165.

2- فمثلاً يستحب الأذان والإقامة في أذن الوليد.

3- كالأدعية الواردة قبل وحين الحمل، وكالأدعية التي تقرأ للميت والصلاة عليه وتلقينه.

وحدانية الله وأحديته

مسألة: يجب وجوباً فطرياً وعقلياً(1) الاعتقاد بوحدانيته تعالى، وبأحديته أيضاًف: (كما هو الواحد أنه الأحد ليس له الأجزاء لا أجزاء حد)(2).

فإن اللازم أن يعتقد الإنسان بالإله الواحد الفرد، الذي لا شريك له ولا جزء له، ومن اعتقد بشريك لله سبحانه كان مشركاً، أي: أشرك بالله غيره.

سواء جعل له من البشر ولداً أو والداً أو زوجة: «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (عليهم السلام) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»(3).

أو إلهاً آخر، كما في الثنوية الذين يعتقدون بالهين اثنين: إله الخير وإله الشر، أو إله النور والظلمة، أو أكثر من ذلك، فإن هذا أيضاً مشرك، عليه أحكام الكفار كما هو مذكور في (الفقه)(4).

و(وحده) و(لا شريك له) تأكيد في تأكيد لمضمون (لا إله إلا الله) وكان التأكيد محبذاً، لشيوع الشرك وشدة تمسك طوائف عديدة به ولغير ذلك(5).

ص: 149

- 1- ذهب الإمام المؤلف (قدس سره) في (الأصول) إلى أن العقل حاكم أيضاً لا مدرك فقط، على أن العبارة هنا أعم من الإدراك والحكم.
- 2- أجزاء الحد: هي أجزاء المهية، أي الجنس والفصل، فليس له حتى التجزؤ العقلي.
- 3- سورة الإخلاص: 3-4.
- 4- راجع موسوعة الفقه: ج 4 ص 182-274 كتاب الطهارة، الثامن في نجاسة الكافر.
- 5- كأهمية الموضوع.

استحباب التلفظ بالشهادة

مسألة: يستحب التلفظ بالشهادة بوجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى.

فإن المستحب استخدام مادة الشهادة مثل: (أشهد) أو (شهادتي) أو ما أشبه ذلك، وإن لم يكن هذا اللفظ بما هو هذا اللفظ - مادة وصيغة - واجباً، ولذا لو قال: (أعتقد بالله واحد) أو تلفظ بنظائر ذلك كان كافياً.

فأصل الإيمان بالله تعالى وبوحدانيته واجب، أما النطق بلفظ الشهادة فهو مستحب، إلا في مثل التشهد في الصلاة حيث دلّ الدليل على الوجوب، وكذلك الشهادة بسائر صفاته الثبوتية والسلبية، فإن أصل الاعتقاد بها واجب والتلفظ مستحب. حيث إن (التلفظ) له أثر تكويني ووضعي ونفسي وخارجي في كثير من الأحيان، وفي العديد من الأمور، إذ أنه نوع من (الإيحاء) و(التلقين) إضافة إلى مدخليته في تلوين المحيط وإعطاء صبغة معينة: «صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً»⁽¹⁾.

وهو (المظهر) الذي يبني عليه⁽²⁾ العقلاء الكثير من شؤون حياتهم، غير مكتفين ب (المضمّر والمخبر) فحسب، كما في العقود والإيقاعات التي قد يعد الكلام أحد المبرزات والأركان لها وحده فقط أو لا⁽³⁾.

ص: 150

1- سورة البقرة: 138.

2- أي على المظهر.

3- أي مع غيره، ف (لا-) نفي ل (فقط) والمقصود: إن العقلاء في العقود والإيقاعات يشترطون المبرز وهو، إما اللفظ فحسب - على مبنى البعض أو في بعض الموارد - أو اللفظ وغيره من سائر المبرزات كالإشارة والفعل مثلاً على سبيل البدل.

التأكيد في الاعتقادات

مسألة: يستحب التأكيد في القضايا الاعتقادية، تأكيداً لفظياً أو معنوياً، كما قالت (سلام الله عليها): «لا إله إلا الله».. «وحده».. «لا شريك له».

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) حينما وقف قائماً على باب الكعبة: «لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»⁽¹⁾، وكما نشاهد ذلك في كلمات كثيرة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وكلمات المعصومين (عليهم السلام).

والظاهر أن الضمير أيضاً كاف، كما ورد في القرآن الحكيم: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»⁽²⁾ وما أشبه ذلك.

استحباب الابتداء بالشهادة

مسألة: يستحب تضمين بداية الخطبة أو الكلام - بل والعمل أيضاً - بالشهادة لله بالوحدانية.

فإن الابتداء في كل خطبة وكل كلام وكل عمل - تجارةً كان أم زراعةً أم سفراً أم غير ذلك - بالشهادة، سواء كان بنفس لفظ الشهادة أم بغيرها، مثل أن يقول: (لا إله إلا الله) مستحب، وموجب للمباركية ونزول الخيرات الإلهية وتوجه العناية الربانية، وفي الحديث:

ص: 151

1- بحار الأنوار: ج 21 ص 105 ب 26.

2- سورة محمد: 19.

«فإن ذكر الله سبحانه حسن على كل حال، فلا تسأم من ذكر الله»⁽¹⁾ فتشمله الإطلاقات ودليل الأسوة.

ويمتاز ابتداء الكلام بالعناية الأكثر إذ هو من أجلى المصاديق.

وكذلك الأمر في آخر الكلام أو العمل، في كثير من الأحيان، كما ورد: «فإن من كان آخر كلامه "لا إله إلا الله" دخل الجنة»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «كفارات المجالس أن تقول عند قيامك: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»⁽³⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن كفارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت ربُّ ربِّ عليٍّ واغفر لي»⁽⁴⁾.

صبغة الله

مسألة: يستحب (تطعيم) و(ملا) كافة جوانب الحياة ببيان الأمور الاعتقادية، وتحويل ذلك إلى سنة شاملة بحيث تتحول إلى جزء لا يتجزأ من حياة الناس، في المسجد والمدرسة والمعمل والمتجر والبيت وغيرها، فذكر وبيان وكتابة القضايا الاعتقادية ينبغي أن يملأ الخطب والكتب والصحف وحتى الجدران عبر لوحات صغيرة تتضمن كلمات منتخبة تذكر بأصول العقائد.

ص: 152

1- الكافي: ج2 ص497 باب ما يجب من ذكر الله عزوجل في كل مجلس ح6.

2- وسائل الشيعة: ج2 ص455-456 ب36 ح2634.

3- من لا يحضره الفقيه: ج3 ص379 باب الأيمان والندور والكفارات ح4335.

4- بحار الأنوار: ج72 ص467 ب95 ح17.

ولذلك نرى الصديقة الطاهرة (عليها السلام) تتطرق بدءاً ووسطاً وختماً لتلك القضايا العقائدية، ونرى آل البيت (عليهم السلام) والعلماء الأبرار من بعدُ قد أدخلوها حتى في خطبة عقد النكاح: «الحمد لله الذي أحلَّ العقد والنكاح، وحرّم الزنا والسفاح، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته سادات أهل الخير والفلاح...».

فإن هنالك مرحلتين: الأولى: أن يملأ الإنسان ذهنه وضميره بكلمة التوحيد - لفظاً ومضموناً - ونظائرها من الأمور الاعتقادية، وأن يفتح ذلك على لسانه دوماً بينه وبين نفسه، قال تعالى: «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ»⁽¹⁾.

الثانية: مرحلة تعامل الإنسان مع الآخرين في هذا البعد، عبر بيان ذلك للناس قولاً وكتابةً وغير ذلك، بحيث يصبح مظهر المجتمع مظهراً لكلمات التوحيد والشهادة بها وبالنبوة وما أشبه ذلك.

ويشير إلى هذا بأوفى بيان إعجازي، قوله تعالى: «صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً»⁽²⁾، فاللازم أن تتحول الشهادات، بل الشهادات الثلاث، ونظائرها إلى (صبغة) عامة للمجتمع وشاملة لشتى ميادين الحياة.

ص: 153

1- سورة آل عمران: 191.

2- سورة البقرة: 138.

الإخلاص في العقيدة والعمل

مسألة: يجب الإخلاص في الاعتقادات، وكذا في الأعمال الجوانحية والجوارحية الأخرى في الجملة، فإن الإنسان يجب أن يعقد قلبه على الإيمان بأصول الدين مخلصاً غير مشوب ذلك بشيء (1)، بأن يقوم بأعماله العبادية مخلصاً لله، لا رياءً أو سمعةً، أو طمعاً في أجر دنيوي أو مأشبه ذلك، إلا ما كان على نحو الداعي على الداعي (2)، فإذا لم يكن له إخلاص لم يقبل الله سبحانه منه، كما قال تعالى في قرآنه الحكيم: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» (3).

ص: 154

- 1- يمكن توضيح تصور إمكان ووقوع الشرك في القضايا الاعتقادية عبر ذكر بعض الأمثلة: الإيمان بوحداية الله تعالى لأنه كذلك لا لأجل أنه لولا الإيمان بوحدايته سيدخل في النار، بحيث لولا هذا التخوف لما آمن بوحدايته، وكذلك الأمر من حيث الطمع في الجنة في هذا المثال، وكذا في بقية الأمور الاعتقادية. وهناك مثال من نمط آخر: الإيمان برسالة الرسول (صلى الله عليه وآله) لأن الله سبحانه اتخذه رسولاً لا لأنه عربي أو لأنه من قبيلة كذا أو ما أشبه ذلك - مما يذهب إليه القوميون وأشباههم - ولو بنحو التشريك، أي يؤمن برسالته (صلى الله عليه وآله) لأن الله أرسله ولأنه كان عربياً. ويمكن التمثيل بنمط آخر وإن كان نادراً: الإيمان بأي واحدة من أصول الدين لما سبق، لا خوفاً من انكشاف عدم اعتقاده بها وعدم عقد قلبه عليها ولو عبر فلتات اللسان أو عبر أجهزة كشف الأفكار أو ما أشبه ذلك.
- 2- كمن يُستأجر للصلاة نيابةً عن ميت مقابل كذا من المال، فإن الأجرة لو اعتبرها داعياً لكي يقصد (الصلاة لله) صحّ وإلا فلا، والاستثناء في كلام المصنف (رحمة الله) منقطع كما لا يخفى.
- 3- سورة البينة: 5.

و(القيمة) صفة لمحذوف أي دين الطريقة القيمة، أو دين النفس القيمة، أو ما أشبه ذلك مما يمكن تقديرها لأن تكون (القيمة) صفة لها، فإن الموصوف إذا كان مذكراً والوصف مؤنثاً، أو بالعكس يقدر مثل هذا التقدير (1). أما بالنسبة إلى ما عدا الاعتقادات والأعمال العبادية كالمعاملات والأعمال الشخصية وما أشبهه، فإن كان مقروناً بالإخلاص كان سبباً للفضل والبركة.

وهناك رواية تفيد استحباب أن يجعل الإنسان كل أعماله حتى أعماله العادية وأفعاله الشخصية اليومية - كالأكل والشرب والمنام مثلاً - لله سبحانه وتعالى، فإذا أكل شيئاً أو شرب الماء، أكله وشربه بلحاظ أن الله سبحانه أمر أن يكون صحيح الجسم سليم الجسد ومتنعماً بنعم الله تعالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا» (2).

وفي الروايات: «إن لبدنك عليك حقاً» (3).

وكذلك إذا ذهب إلى دورة المياه، أو سافر للترفيه، أو باشر زوجته، وغير ذلك.

ص: 155

1- وفي تفسير (تقريب القرآن): ج 3 ص 205: دين القيمة أي دين الكتب القيمة - التي تقدم ذكرها - بمعنى أنه الدين المذكور في تلك الكتب. وفي تفسير (مجمع البيان): ج 5 ص 522: دين القيمة تقديره دين الملة القيمة؛ لأنه إذا لم يقدر ذلك كان إضافة الشيء إلى صفته وذلك غير جائز، لأنه بمنزلة إضافة الشيء إلى نفسه.

2- سورة الأعراف: 32.

3- راجع بحار الأنوار: ج 67 ص 128 ب 51 ح 14.

بل حتى المكروهات قد يمكن إتيانها لله سبحانه وتعالى إذا كانت محلاً لذلك (1) حيث ورد: «إن الله يحب أن يؤخذ برخصه، كما يحب أن يؤخذ بعزائمه» (2) فتأمل.

وأما في المحرمات بدون أن يكون لها جهة وجوب فلا، نعم إذا صار للمحرم جهة وجوب أهم كان كذلك، كما إذا عمل محرماً تقية أو خوف ضرر أكبر، كخوف الموت إذا لم يستعمل هذا الحرام - كأكل لحم الخنزير في المخمصة - كما قال سبحانه: «فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» (3) مما فصل مبحثه في الفقه (4).

ثم لا يخفى أن مرجع ومآل الشهادة ب (لا إله إلا الله) الإخلاص، والمراد بكون مرجعها الإخلاص: إما المرجعية الثبوتية أو التكوينية، فيكون كلامها (عليها السلام) إخباراً وقد يؤيده السياق، وإما أن يكون المراد هو: عليكم أن ترجعوا للإخلاص، فيكون كلامها (عليها السلام) إنشاءً في قالب الإخبار، فقد جعل سبحانه وتعالى تكويناً أو تشريعاً للإخلاص تأويلاً لكلمة (لا إله إلا الله).

وإذا كانت هذه الكلمة وهي أسس الدين مرجعها إخلاص فوجوبه - في الجملة - بديهي.

وإذا لم يكن إله غير الله فمن الواضح أنه يجب عقلاً للإخلاص له.

ص: 156

1- بأن عارضها أهم مثلاً.

2- وسائل الشيعة: ج 1 ص 108 ب 25 ح 263، والوسائل: ج 16 ص 232 ب 29 ح 21441.

3- سورة البقرة: 173.

4- راجع موسوعة الفقه كتاب (القواعد الفقهية) قانون (الأهم والمهم).

قال علي (عليه السلام): «وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة»⁽¹⁾.

وقال علي (عليه السلام): «وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه؛ لشهادة كل صفة أنها غير موصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة»⁽²⁾..

فيكون الإخلاص بمعنى الاعتقاد بأنه تعالى خالص من كل نقص وما أشبه، ويكون هذا الاعتقاد واجباً.

ص: 157

1- نهج البلاغة، الخطب: 110 ومن خطبة له (عليه السلام) في أركان الدين.

2- نهج البلاغة، الخطب: 1 ومن خطبة له (عليه السلام) يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم (عليه السلام).

توحيد الله في أعماق القلوب

مسألة: يستحب أن يؤكد الإنسان على أن التوحيد ومعرفة الله سبحانه من الأمور الفطرية، فإن وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانته من الفطريات التي غرست في أعماق ذات الإنسان(1)، فقد تضمنها قلب كل فرد وقد وصلت بالقلب حلقة كبرهان ملازم، إلا أن الغبار قد يتراكم ليحجب الرؤية، فكان التذكير والتأكيد مطلوباً لذلك، فالتركيز على ذلك ينفع الإنسان نفسه وغيره أيضاً.

أما الإنسان نفسه فلأنه إيحاء، والإيحاء يوجب مزيداً من الجلاء ومراتب أعلى من الوضوح(2).

وأما لغيره، فلأنه هداية وإرشاد وإفادات إلى أن الفطرة مطابقة لما أمر الله سبحانه وتعالى من العقيدة القول والعمل، قال سبحانه: «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ»(3).

فالشهادة إذن موصولة بالقلوب ومغروسة فيها، من وصله فهو موصول، فإن الله سبحانه جعل فطرة الإنسان - في قلبه - بالشهادة على وحادانيته.

ص: 158

1- راجع الكافي: ج2 ص12 باب فطرة الخلق على التوحيد.

2- كما ثبت ذلك في علم النفس.

3- سورة الروم: 30.

ولما دخلت الشهادة في القلب أعطت نوراً لفكر الإنسان، فإن فكر الموحد له نور خاص كاشف عن الواقع، إذ يرى الأشياء كما هي لا كما يراها الطبيعي والثنوي ومن أشبههما.

وفي الرواية الشريفة: «ليس العلم بكثرة التعلم، إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه»⁽¹⁾.

وقال (عليه السلام): «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء»⁽²⁾.

وقولها (عليها السلام): «معقولها» لعل المراد أن ما يعقل من كلمة التوحيد من المراتب واللوازم، أي ما يمكن أن يتعقله الإنسان منها قد أعطاه الله للإنسان ومنحه إياه حيث أناره في تفكيره، فقد أفاض إلى الحد الذي تحمّلها العقل البشري وهو غاية اللطف والفضل.

وحيث إن للإنسان مركزين: مركزاً للعاطفة ومركزاً للتفكير، وبعبارة أخرى: قلب وعقل، فقد غرس الله تعالى أصول الدين فيهما، فقد ضمنها القلوب أي التوحيد الفطري، كما أنار بها العقول أي التوحيد النظري⁽³⁾ كي لا يكون للناس على الله حجة بعد ذلك.

ومنه يستفاد أهمية القلب والفكر، والتأكيد عليهما، خاصة في الاعتقادات كالتوحيد.

ص: 159

1- منية المريد: ص 167 ب 1 الخامس أن يكون عفيف النفس.

2- مصباح الشريعة: ص 16 ب 6.

3- أي: ما يثبت بالدليل والبرهان العقلي.

امتناع رؤية الله تعالى ووصفه

مسألة: يجب الاعتقاد بأن الله تبارك وتعالى ليس بجسم، ولا يحلّ في جسم، وليس في جهة، وحكم من قال بكونه تعالى جسماً وأدعى الحلول المذكور في (الفقه)(1).

فإنه سبحانه وتعالى مجرد عن المادة والحيّز والجهة والمكان والزمان والمقدار ومضارعاتها، ولذلك يستحيل رؤيته(2).

وهذه من الصفات السلبية على ما ذكره العلماء في كتبهم الكلامية؛ لأنه تعالى ليس بمركب ولا جسم ولا مرئي ولا محل للحوادث ولا شريك له ولا فقر له في أية جهة من الجهات، وإذا كان الممكن غنياً في بعض الجهات غنياً مجازياً، فإنه تعالى غني بكل أبعاد معنى الغنى، فهو الغني بالذات وهو الغني المطلق، وغيره الفقير المطلق، وما له فهو بالعرض.

ثم إن رؤيته تعالى ممتنعة عن (الأبصار) لا (البصائر) كما ورد في الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام):

«جاء حبر إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه). فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك حين عبدته؟».

ص: 160

1- راجع موسوعة الفقه: كتاب الطهارة، مبحث النجاسات.

2- كما تستحيل رؤية عدد من المخلوقات كالروح والعقل وما أشبه مما يسمى ب (المجردات)!

قال: فقال علي (عليه السلام): ويلك ما كنت أعبد رباً لم أراه!

قال: وكيف رأيتَه؟.

قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»(1).

أما اللسان فهو أيضاً لا يتمكن من وصف الله سبحانه؛ لأن مفردات اللغة محدودة، واللسان أيضاً محدود كما وكيفاً، وصفاته تعالى غير محدودة ولا يمكن أن يستوعب المحدود غير المحدود، كما تقدم.

إضافةً إلى أن صفاته سبحانه عين ذاته، وكما لا يمكن إدراك كنه ذاته فكذلك صفاته، وما يذكر في وصفه تعالى فهو إشارات وعلامات عامة لا غير، قال (عليه السلام): «فليس لكونه كيف، ولا له أين، ولا له حد، ولا يعرف بشيء يشبهه»(2).

ص: 161

1- بحار الأنوار: ج4 ص44 ب5 ح23، والبحار: ج41 ص1516 ب101 ح8.

2- التوحيد: ص173 ب28 ح2.

حرمة التفكير في ذات الله

مسألة: يكره التفكير في ذات الله وكفيته، وقد يحرم، كما ورد في الروايات(1)، قال الصادق (عليه السلام): «إياكم والتفكر في الله، فإن التفكير في الله لا يزيد إلاّ تيهاً، إن الله عزوجل لا تدركه الأبصار ولا يوصف بمقدار»(2).

وقال (عليه السلام): «تكلّموا في خلق الله ولا تكلّموا في الله؛ فإن الكلام في الله لا يزيد إلاّ تحيراً»(3).

والحرمة نظراً لأن ذلك كثيراً ما يسوق الإنسان إلى الافتراء على الله وإلى أنواع من الانحراف العقائدي(4).

ومع قطع النظر عن ذلك، فإن من الواضح أنه لا يصل فكر الإنسان - مهما أعمله - إلى إدراك كنه ذات الله سبحانه وكفيته، وقد ذكرنا في بعض مباحث هذا الكتاب وغيره ما ذكره العلماء في كتبهم الكلامية من أن الإنسان مهما كان ومهما تعالَى وتكامل فإنه محدود، والمحدود لا يعقل أن يستوعب غير المحدود، بل إن المحدود الأصغر أو الأضيق لا يستوعب المحدود الأكبر أو الأوسع فكيف بغير المحدود؟!

ص: 162

1- راجع مستدرک الوسائل: ج12 ص247 ب22.

2- وسائل الشيعة: ج16 ص197 ب23 ح21334.

3- الكافي: ج1 ص92 باب النهي عن الكلام في الكيفية ح1.

4- كالقول بوحدة الوجود أو الموجود، والعقول العشرة، وأزلية المخلوقات، وما أشبه.

فلا- يصل إلى كنه الله سبحانه وتعالى علم ولا ظن ولا وهم إطلاقاً على نحو الاستحالة، وإذا كان الإنسان عاجزاً عن معرفة كنه الروح - وهي إحدى مخلوقات الله تعالى - بل عن معرفة كنه النور(1) وكنه (الكهرباء) وما أشبهه، فإنه عن معرفة الواجب جل وعلا أعجز.

وإنما يعرف بأثار الله سبحانه وتعالى أنه موجود وأن له الصفات الثبوتية وأنه منزه عن الصفات السلبية، مما يعبر عنه بالبرهان الإني... ولتقريب(2) ذلك نقول: إن الوهم والتصور إنما يتمكن أن يعرف الأشياء بالمشابهات، وحيث إنه لا مشابه لله تعالى فلا يعقل أن يعرف الوهم كيفيته سبحانه.

وها هنا نكتة لطيفة وهي تدرجها (عليها السلام) من الأدنى للأعلى:

ف (رؤيته) تعالى ممتعة على (الأبصار).. بل (وصفه) ممتنع على (الأسنة) رغم قدرة الإنسان الأوسع على وصف ما يرى وبعض ما لا يرى(3)..

بل إن (الأوهام) يمتنع عليها أيضاً أن تنال (كيفيته) رغم ما للوهم من القدرة الهائلة.

ص: 163

1- كل ما قيل في تعريف النور وأشباهه فإنه (شرح الاسم) وليس ب (الحد) ولا ب (الرسم). فالنور عبارة عن فوتونات و... لكن ما هو كنه الفوتون؟. و(الذرة) مركبة من الكترون وبروتون وشحنة سالبة وموجبة و... ولكن ما هو كنه ذلك؟، وهكذا.

2- قوله (قدس سره): (لتقريب...) قد يكون إشارة إلى أن هذا بيان عرفي للمطلب، إذ لو فرض - وفرض المحال ليس بمحال - وجود شريك ومشابه له تعالى عن ذلك علواً وكبيراً لما أمكن للوهم أيضاً إدراكه تعالى لما أسلفه (قدس سره) من قاعدة المحدود واللا محدود فدقق.

3- كما يصف ما يدركه بالحواس الخمس وغيرها أحياناً.

استحباب التفكير في أفعال الله تعالى

مسألة: يستحب التفكير في أفعال الخالق جل وعلا ومخلوقاته، وكذلك في شؤونه سبحانه - في الجملة - ضمن الإطار الذي بينته الآيات والروايات، وعلى ضوء المنهج الذي رسمه القرآن والعترة (عليهم السلام)، وينفس المقدار والحد الذي حدوده لنا.

قال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ» (1).

وقال سبحانه: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ» (2).

وكذلك الآيات والروايات الأخرى:

قال الإمام الباقر (عليه السلام): «إياكم والتفكر في الله! ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه» (3).

ومنها كلماتها (عليها الصلاة والسلام) في هذه الخطبة «ابتدع...»، وما سبق وسيلحق.

ص: 164

1- سورة آل عمران: 190.

2- سورة الحشر: 23.

3- وسائل الشيعة: ج 16 ص 195 ب 23 ح 21327.

ومن الواضح أنهم (عليهم السلام) «الدعاة إلى الله، والأدلاء على مرضاة الله... والمظهريين لأمر الله ونهيه»(1).

وهذا أمر عقلي عقلاني في كل محدود جاهل يبحث عن مجهول، فعليه أن لا يتعدى الحدود التي رسمها له العالم، وأن يمشي على ضوء إرشاداته ووفق علاماته وهدايته، وإلاّ فالهلاك مصيره، كما ورد: «الراغب عنكم مارق، واللازم لكم لاحق، والمقصر في حقكم زاهق، والحق معكم وفيكم ومنكم وإيكم، وأنتم أهله ومعدنه»(2).

والتفكير في ذلك (3) يعد مصداقاً لقوله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»(4).

وقوله سبحانه: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ»(5)، والذكر أعم من الذكر باللسان أو الجنان أو الذكر العملي، وذكره تعالى أعم من ذكر وحدانيته وصفاته وأفعاله.

وقد ألمعنا سابقاً إلى معنى الابتداع، إذ لم يكن هناك مثال سابق قد أخذ من ذلك المثال، كما هو الأكثر أو الدائم في الناس، حيث إنهم يرون ويسمعون وما أشبه ذلك أشياء سابقة، متخيلة أو متوهمة أو محسوسة أو معقولة، ثم

ص: 165

-
- 1- من لا يحضره الفقيه: ج2 ص610 زيارة جامعة لجميع الأئمة (عليهم السلام) ح3213.
 - 2- من لا يحضره الفقيه: ج2 ص612 زيارة جامعة لجميع الأئمة (عليهم السلام) ح3213.
 - 3- أي في أفعاله ومخلوقاته سبحانه.
 - 4- سورة الرعد: 3، سورة الروم: 21، سورة الزمر: 42، سورة الجاثية: 13.
 - 5- سورة البقرة: 152.

يعملون - والمراد بالعمل: الأعم من العمل الذهني والخارجي - أشياء جديدة، كالمصور يصور شيئاً رآه أو سمعه، أو من يقوم برسم ما يشابه ذلك الشيء أو ينتزع صورة إبداعية في الظاهر، ولكن في الحقيقة ليس ذلك ابتداءً، وإنما هو جمع وتقريب وما أشبه ذلك، أو إنه يستمد مما هو مخزون في فطرته أو عقله أو وعيه الباطن(1). هذا ولا يخفى أن التفكير في الكون وعظمته وعظمة خالقه بالإضافة إلى دلالة جملة من الآيات والروايات عليه - كما سبق - يوجب توثيق الارتباط بالله سبحانه وتعالى، والاتصال بالله يسبب استقامة التفكير وسموه وصقل الروح واستحكام النفس الملهمة بالتقوى وغلبتها على النفس الأمارة، وإيجاد معانٍ متعالية أخرى في الإنسان، كالتوكل على الله والرضا بقضائه والتسليم لأمره، وما أشبه ذلك، وهذا من عِلل الدعوة للتفكير في مخلوقاته تعالى.

قال جل وعلا:

«أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (عليهم السلام) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (عليهم السلام) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (عليهم السلام) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (عليهم السلام) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (عليهم السلام) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ»(2).

فإنه تعالى أحدث (الأشياء) كلها وابتدأ خلقها لا عن مادة موجودة سابقاً،

ص: 166

-
- 1- إضافة إلى أن كل شخص قد مر بعوالم سابقة كعالم الذر - مثلاً - ولا يعرف ما الذي شاهده أو سمعه هناك، بالإضافة إلى أن العالم مليء بالأصوات والذبذبات والأمواج وما أشبهه، ولعل ما خطر بباله مما تصوره إبداعاً هو مما التقطه من تلك الذبذبات ونحوها.
 - 2- سورة الغاشية: 17-22.

إذا لا يعقل أن تكون المادة أزلية؛ لأن كل متغير حادث، فإن المتغير لا يكون قديماً، كما أن القديم لا يكون متغيراً، على ما فصل في علم الكلام (1).

فالعلة المادية والعلة الصورية للشيء كلاهما مخلوقان له تعالى.

ويمكن الاستناد - في جملة الأدلة النقلية - إلى كلامها (عليها السلام) هذا: «ابتدع الأشياء» في إبطال أزلية العالم والعقول العشرة وما أشبه (2).

ولم يكن هناك مثال سابق حتى يخلق الله تعالى الأشياء على تلك الأمثلة مقتدياً بها، وربما يستشم أن الجملة الأولى (3) إشارة للعلة المادية، وهذه الجملة (4) إشارة للعلة الصورية.

ص: 167

1- ومن الأدلة على ذلك برهان الدور والتسلسل، راجع (القول السديد في شرح التجريد) للإمام المؤلف (قدس سره).

2- فإن (الأشياء) جمع محلى بأل فيفيد العموم.

3- أي: «ابتدع الأشياء...».

4- أي: «وأنشأها...».

قدرته تعالى

مسألة: يجب الاعتقاد بقدرته تعالى، والتفصيل المذكور في علم الكلام.

قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(1).

وقال سبحانه: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا»(2).

فإن التكوين كان بالقدرة لا بألة حتى يكون من قبيل قطع الحطب بالمنشار، وإلا لعاد الكلام إلى خلق تلك الآلة وهكذا، فيتسلسل، والتفصيل في محله.

مشيئته تعالى

مسألة: يجب الاعتقاد بمشيئته تعالى وإرادته وأنه الفاعل المختار، على ما هو المذكور في علم الكلام.

قال سبحانه: «يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ»(3).

وقال تعالى: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ»(4).

وقال سبحانه: «إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ»(5).

ص: 168

1- سورة البقرة: 20 و106 و109 و148 و259، ومواضع أخرى من القرآن.

2- سورة فاطر: 44.

3- سورة النور: 45.

4- سورة القصص: 68.

5- سورة هود: 107.

وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ»(1).

وقال عزوجل: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (عليهم السلام) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»(2).

وقال سبحانه: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»(3).

و(الذرة) الخلق، فكأنه يهب على الممكن نفحة الوجود ب (الذاريات)، فالفرق بين الخلق والذرة بالاعتبار(4).و(المشيئة) من (شاء) أي أراد، والمراد: الإرادة التي هي صفة الفعل، لا صفة الذات.

ص: 169

1- سورة الحج: 14.

2- سورة الكهف: 23-24.

3- سورة التكوير: 29.

4- وفي تفسير (تقريب القرآن) للإمام المؤلف (قدس سره): ج26 ص163: «وَالذَّارِيَاتِ» الواو للقسم، أي قسماً بالذاريات وهي الرياح التي تذرّوا التراب وغيره «ذَرَوًا» مفعول مطلق للتأكيد. وفي (مجمع البيان): ج5 ص152: ذرت الرياح التراب تذرّوه ذرّوا، إذا طيرته وأذرتة تذيّره بمعناه. وفي (لسان العرب): ج14 ص282 مادة ذرو: ذرا: ذرت الرياح التراب وغيره، تذرّوه وتذريه ذرّوا وذرياً وأذرتة وذرتة: أطارتة وسفّته وأذهبتة، وقيل: حملته فآثارتة وأذرتة، إذا ذرت التراب وقد ذرا هو نفسه... وفي التنزيل العزيز: «وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا»، يعني الرياح... وأذريت الشيء إذا ألقيته مثل إلقائك الحب للزرع. ذراً: في صفات الله عزوجل، الذارئ، وهو الذي ذرأ الخلق: أي خلقهم، وكذلك البارئ، قال الله عزوجل: ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً، أي: خلقنا. وقال عزوجل: خلق لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذروكم فيه. انتهى.

الغني المطلق

مسألة: يجب الاعتقاد بأنه تعالى هو الغني المطلق، ولا يحتاج إلى أي شيء.

وتفصيل الكلام في علم الكلام.

قال سبحانه: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» (1).

وقال تعالى: «وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ» (2).

وقال سبحانه: «فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» (3).

وقال تعالى: «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» (4).

إفاضة الخير لذاته

مسألة: يستحب أن يفعل الإنسان الخير وإن لم يكن محتاجاً إليه، بل أن يفعل الخير لذاته بما هو هو، لا لما سيرجع منه إليه.

ص: 170

1- سورة البقرة: 267.

2- سورة الأنعام: 133.

3- سورة آل عمران: 97.

4- سورة لقمان: 26.

والعبارة (1) عرفية، إذ المراد ب (الحاجة) الحاجة الظاهرية الدنيوية، وإلا فإن (الخير) مطلقاً له فائدة يحتاجها الإنسان، إما بنحو الأثر الوضعي الدنيوي أو بنحو الأجر الأخروي.

وذلك لما تقدم من استحباب تخلّق الإنسان بأخلاق الله سبحانه وتعالى حيثورد: «تخلّقوا بأخلاق الله» (2)، وإن كان الأمر فيه تعالى امتناعاً وفي الإنسان إمكاناً (3).

أما ما في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف» (4)؛ فإن محبة المعرفة لفائدة العارف (5) لا لفائدة المعروف (6)، كما أن ظهور الكنز واستخراجه نافع للمستخرج لا للكنز كما لا يخفى.

ص: 171

-
- 1- أي: (وإن لم يكن محتاجاً إليه).
 - 2- بحار الأنوار: ج 58 ص 129 ب 42 تنمिम.
 - 3- أي: الحاجة في الله سبحانه ممتنعة، أما في الإنسان فالحاجة لفعل الخير ممكنة ذاتاً.
 - 4- بحار الأنوار: ج 84 ص 199 ب 12 ضمن ح 6 بيان.
 - 5- أي: الخلق.
 - 6- أي: الخالق.

الفرق بين الحاجة والفائدة

ويمكن القول في الفرق بين (الحاجة) و(الفائدة) حيث قالت (عليها السلام): «من غير حاجة... ولا فائدة»:

أن (الحاجة) تطلق بالنظر إلى القابل، والفائدة بالنظر إلى الفاعل، فالحاجة تنسب للمُعطي والمستفيد، والفائدة تنسب للمعطي والمفيد.

وربما يقال: بأن النسبة بينهما العموم من وجه، فقد يكون الإنسان محتاجاً لشيء وفيه فائدة له، وقد لا يكون مفيداً له، وقد يكون مستفيداً من شيء دون حاجة منه إليه.

وعلى هذا، فكما يستحب فعل الخير وإن لم تكن للإنسان حاجة إليه، كذلك يستحب فعله وإن لم تكن له فيه فائدة.

والله سبحانه وتعالى لا يستفيد من صور الأشياء، كما لا يستفيد من ذاتها وخلقها، فإن الشيء قد يفيد بذاته كالذهب، وقد يفيد بصورته كالأوراق النقدية، وقد يفيد بكليهما كالمصوغ من الذهب والمجوهرات.

الحكمة الإلهية

مسألة: يجب الاعتقاد بأنه تعالى حكيم، والتفصيل في علم الكلام (1)، قال سبحانه: «يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (2).

وقال تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ» (3).

وقال عز وجل: «عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ» (4).

الإشارة إلى علل الخلقة

1: تبين الحكمة وتثبيتها

مسألة: ومن المستحب - بل اللازم في الجملة - السعي لتبيين حكم أفعاله تعالى للناس على ضوء المستفاد من الآيات والروايات والعقل - بالقدر الذي يدركه - فإن ذلك يوجب تثبيت إيمان الناس وإطمئنان قلوبهم ودفعاً لوسوس الشياطين وشبهات الملحدين.

ص: 173

1- راجع القول السديد في شرح التجريد للإمام المؤلف (قدس سره).

2- سورة النمل: 9.

3- سورة الأنعام: 83 و128.

4- سورة الأنعام: 73.

.....
وفي كلامها (عليها السلام) دلالة واضحة أكيدة على ذلك، إذ لما كان تبيين أو تثبيت الحكمة الإلهية إحدى علل الخلقة، كان السعي لبيانها لمن جهل بها أو غفل عنها ضرورياً عقلاً في الجملة، وهي من (دقائق العقول) التي بعث الأنبياء (عليهم السلام) ليثيروها(1).

ثم لا يخفى أن الاستثناء في كلامها (عليها السلام) منقطع.

وأصل تكوين الأشياء وتصويرها بتلك الصور والهيئات، كلاهما دليل على حكمته جل وعلا، فإن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، وإفاضة الوجود على (الماهيات القابلة) من القادر الكريم وفي الوقت المعين وبمكتنفات معينة وبالإشكال المخصصة، أكبر دليل على الحكمة اللا متناهية له جل وعلا، قال (عليه السلام): «وضعهم في الدنيا مواضعهم»(2).

وبمقدور الإنسان أن يتعرف على بعض الحكمة بالتدبر والتفكر والسير في الآفاق والأنفس، قال تعالى:

«سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ»(3).

هذا وفي بعض النسخ: «تبييناً لحكمته».

ومما سبق يعلم أن تبيين أو تثبيت الحكمة، ترجع فائدتها للإنسان نفسه لا له تعالى إذ هو الغني المطلق وقد سبق بيانه.

ص: 174

1- قال (عليه السلام): «ويثروا لهم دقائق العقول» نهج البلاغة، الخطب: 1، ومن خطبة له (عليه السلام) يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم (عليه السلام).

2- نهج البلاغة، الخطب: 193، ومن خطبة له (عليه السلام) يصف فيها المتقين.

3- سورة فصلت: 53.

ومن الواضح أن (تبيين الحكم الإلهية) هو من بواعث تكامل الإنسان، كما أن العلل اللاحقة في كلامها (عليها السلام) كلها طرق وعوامل لمزيد من ذلك، كما سيأتي.

ومن الواضح أيضاً أن توغل الإنسان في العلوم الفلكية والفيزيائية والكيمائية وما أشبه يزيد الإنسان تكاملاً واقترباً من أوجه الحكمة المختلفة في صنع الأشياء.

ولذلك نجد أن الإنسان كلما ازداد علماً، ازداد تواضعاً أمام عظمة هذا الكون، وازداد إيماناً بالباري جل وعلا.

2: الإرشاد إلى طاعته تعالى

مسألة: يجب تنبيه الناس وإرشادهم إلى طاعة أوامره تعالى، فإنها من العلل الغائية للخلق، وهي السبب في السعادة الدنيوية والأخروية.
قال سبحانه:

«وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (1).

والإرشاد إلى طاعة الأوامر الاستجابية مستحب، ومنها يعلم حكم التنبيه على إطاعته تعالى في المحرمات والمكروهات تركاً.
أما المباح فالإرشاد إليه ربما يعد على بعض الوجوه مستحباً (2)، قال (عليه السلام): «إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه» (3).

وقال (عليه السلام): «فصار الأخذ برخصه واجباً على العباد كوجوب ما يأخذون بنهيه وعزائمه» (4).

وقولها (عليها السلام) (5) إشارة إلى قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

ص: 176

1- سورة الأعراف: 96.

2- أو واجباً، فدقق.

3- وسائل الشيعة: ج 1 ص 108 ب 25 ح 263، والوسائل: ج 16 ص 232 ب 29 ح 21441.

4- بحار الأنوار: ج 17 ص 5 ب 13 ح 3.

5- أي: «تنبيهاً لطاعته».

.....
لِيَعْبُدُونِ» (1) حتى يطيعوا فيستحقوا الثواب الدائم.

والجملة السابقة (2) تشير إلى معرفته جل وعلا، وهذه الجملة - مسبوقة بتلك - ترشد إلى لزوم العمل على طبق تلك المعرفة (3).

وقد يكون المراد من هذه الجملة: التنبيه على أن كل شيء مطيع له، قال سبحانه: «قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» (4).

وقال تعالى: «مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا» (5). وعلى الاحتمال الأول فهذه الجملة تتضمن إنشاء، وعلى هذا الاحتمال تتضمن إخباراً بالإطاعة التكوينية.

ص: 177

1- سورة الذاريات: 56.

2- أي: «تسيهاً لحكمته».

3- أي: إن الخالق عندما يكون حكيماً في تكوينه وتشريعه كان من اللازم عقلاً الامتثال لأوامره ونواهيه.

4- سورة فصلت: 11.

5- سورة هود: 56.

3: إظهار قدرته عز وجل

مسألة: ابتداء الأشياء لا من شيء كان قبلها، وإنشاؤها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، أكبر دليل على القدرة الذاتية اللامتناهية (1) للخالق جل وعلا.

ومن الطبيعي أن ظهور هذه القدرة وتجليها للناس أكثر فأكثر يسبب تعبدتهم بأوامره وطلبهم رضاه تعالى، وهو من أسباب إعزاز دعوته، لذلك كان من الواجب - في الجملة - بيان القدرة الإلهية للناس، وهو مما يقرب المبين والمبين له إلى الله سبحانه وتعالى.

كما ينبغي لأولياء الله أن يظهر أقدرتهم للناس فيما إذا كان في ذلك دفع لتعدييات الأشرار، قال تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ» (2).

سواء كان في ذلك فائدة دينية أمفائدة دنيوية مشروعة، وسواء كانت ترجع الفائدة إلى نفس الإنسان أم إلى غيره، قال سبحانه: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً» (3).

ص: 178

1- نظراً لدلالاتها على الصدور من واجب الوجود، وهو لا يمكن إلا أن يكون لا متناهيًا بقول مطلق، والتفصيل في الكتب الكلامية.

2- سورة الأنفال: 60.

3- سورة البقرة: 201.

4: التبعيد لله تعالى

مسألة: العبادة هي غاية الخضوع والتذلل، والتعبد هو: طلب العبادة(1).

وغاية الخضوع والتذلل لا يحق إلا لمن هو غاية في الرفعة والعظمة والجلال، فالواجب عبادته تعالى وحده، والامتثال لأوامره ونواهيه، وقد قال سبحانه: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»(2).

ومن الواضح إن التعبد(3) - وهو من باب التفعّل الذي يأتي أيضاً بمعنى المطاوعة والتكلف وتكرّر الفعل والديمومة عليه(4) - في العبادات الواجبة واجب وشرط، وفي العبادات المستحبة شرط لها، أما في سائر الأمور، فإن من تعبد

ص: 179

1- قال في (لسان العرب): ج3 ص271 مادة عبد: (تعبد الله العبد بالطاعة أي استعبده. واستعبده من باب الاستفعال، المراد به طلب الفعل، إذ من معاني باب التفعّل: طلب الفعل، ومن معانيه اتخاذ الفاعل أصل الفعل مفعولاً، فتعبدنا الله أي: اتخذنا عبيداً، ومن معانيه الصيرورة، فتعبد زيد أي: صار عبداً).

2- سورة البينة: 5.

3- المراد به في كلامه (قدس سره) هنا: الإتيان بالفعل بقصد القربة، وبعبارة أخرى: إتيان الفعل المأمور به لأنه مأمور به، وبعبارة ثالثة: الإتيان بالعبادة لأنه عبد لله.

4- المطاوعة: مثل كسرت الزجاج فتكسر، وعبدنا الله فتعبدنا، والتكلف مثل: تحلم زيد أي تكلف الحلم وعاناه ليحصل عليه، وتعبد زيد أي ضغط على نفسه وكلفها بالعبادة رغم الأهواء والشهوات فتعبدت، وتكرّر الفعل والديمومة عليه مثل: تجرع الغصص، قال في (المجمع): ج3 ص95 مادة عبد: العبد المتعبد: الدائم على العبادة.

.....
حصل على القرب والثواب الجزيل، ومن لم يتعبد لم يكن عليه إثم، وقد ورد في الروايات أن من المستحب أن يعمل الإنسان كل شيء لله سبحانه وتعالى كما تقدم الإلماع إليه.

فالعلة الغائية للخلاقة هي: طلب عبادتهم، أو صيورتهم عبيداً، أو ما أشبهه، قال سبحانه: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (1) أي: ليعبدون باختيارهم - على بعض الاحتمالات - أو المراد من (يعبدون): لأدعوهم وأطلب منهم عبادتي، كما أشارت (عليها السلام) إليه بكلمة «تعبداً»، وقد يكون ذلك دفعاً لشبهة الجبر (2).

والفرق بين «وتنبهها على طاعته» وبين «وتعبداً لبريته» - بناء على كون الجملة السابقة إخبارية - واضح (3).

وأما على كونها إنشائية فالفرق أن (التعبد) مرتبة أقوى من (الإطاعة) كما يظهر من معنى (العبادة) و(التعبد) فيما سبق.

إظهار العبودية لله تعالى

مسألة: يستحب إظهار العبودية لله تعالى في الجملة.

ومن المعلوم أن إظهار العبودية غير التعبد، فإن التعبد إنما هو بين الإنسان وبين ربه، وإظهار العبودية عبارة عن إظهارها للناس، نعم هذا في غير ما يفضل

ص: 180

1- سورة الذاريات: 56.

2- إذا كان بمعنى طلب العبادة كما سبق.

3- إذ تكون تلك إشارة للجانب التكويني، وهذه إشارة للجانب التشريعي.

أن يأتي الإنسان به سرّاً، والشارع قسّم الأمر إلى ما يستحب إظهاره وإلى ما يستحب إسراره.

وذلك لأن الإظهار تقوية لقلوب الناس، ودعوة لهم إلى الارتباط بالله سبحانه وتعالى، وإيجاد قدوة ومثال صالح لهم، ولذا أمر الشارع بصلاة الجماعة وشبهها(1)، وقال تعالى: «وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً»(2).

وجاء في معاهدة صلح الحديبية: «... وعلى أن يعبد الله بمكة علانية»(3).

وقد يكون الإسرار - أحياناً - أقرب إلى الإخلاص، ولذا نرى في أعمال الأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) كلا القسمين.

التربية على حالة العبودية

مسألة: يلزم تربية الناس على الحالة العبودية لله تعالى، وقد ورد: «لا إله إلا الله عبوديةً ورقاً»(4).

كما يستحب تربية الأطفال على ذلك أيضاً، حيث أمروا بالصلاة والصيام وما أشبه قبل البلوغ(5).

ص: 181

1- راجع موسوعة الفقه: ج 23 ص 377-391 كتاب الصلاة، فصل في الجماعة.

2- سورة الرعد: 22، سورة فاطر: 29.

3- بحار الأنوار: ج 20 ص 362 ب 20 ح 10.

4- الكافي: ج 2 ص 519 باب من قال (لا إله إلا الله حقاً حقاً) ح 1.

5- راجع وسائل الشيعة: ج 4 ص 18 ب 3 ح 4397، وفيه: عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) في كم يؤخذ الصبي بالصلاة؟ فقال (عليه السلام): «فيما بين سبع سنين وست سنين». وراجع مستدرك الوسائل: ج 7 ص 391 ب 16 ح 8499، وفيه: «وأما صوم التأديب فإنه يؤمر الصبي إذا بلغ سبع سنين بالصوم تأديباً ليس بفرض».

.....

وذلك لأن التربية على العبودية وتعليمها وتركيزها في النفوس - إضافة إلى كونها كمالاً ومرتبة سامية - مقدمة توفر الأرضية الصالحة لتجنب المعاصي وللالتزام بالأوامر الإلهية، فيجب في مورد الوجوب، ويستحب في مورد الاستحباب مطلق التربية والتعليم.

حرمة عبادة غير الله

مسألة: تحرم عبادة غير الله تعالى، منها عبادة الأصنام سواء كانت عبادتها بما هي هي، أو بدعوى أنها طريق إلى الله تعالى، كما في القرآن الحكيم: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» (1).

فإنه لا تجوز العبادة لغير الله سبحانه، سواء كان إنساناً أو نفساً أو ناراً أو ما أشبه ذلك من مختلف الأصنام الحجرية والبشرية وغيرها، بل لا تجوز العبادة حتى رياءً وسمعة كما ورد في النص والفتوى، قال سبحانه: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» (2).

وقد ورد في الحديث: إن الله تعالى يقول للمرائي يوم القيامة: «أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً» (3).

ص: 182

1- سورة الزمر: 3.

2- سورة البينة: 5.

3- وسائل الشيعة: ج 1 ص 61 ب 8 ح 131.

وفي رواية: «إن الله يقول: أنا خير شريك من عمل لي ولغيري فهو لمن عمل له دوني»(1).

وقال علي (عليه السلام): «اعملوا لله في غير رياء؛ فإنه من عمل لغير الله وكله الله إلى عمله يوم القيامة»(2).

نعم، إذا كانت العبادة لله سبحانه طمعاً في جنة أو خوفاً من نار، أو لحاجة دنيوية، كشفاء مريض أو دفع عدو أو الحصول على مال أو ما أشبه ذلك(3) فإنها صحيحة أيضاً، وتكون من مصاديق العبادة لله تعالى، وقد قال سبحانه: «وَيَدْعُونَنا رَغْباً وَرَهْباً وَكَانُوا لنا خاشِعِينَ»(4).

وقال تعالى: «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً»(5).

نعم الرتبة الأسمى من العبادة: هي عبادته جل وعلا لأنه أهل للعبادة، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»(6).

فإنه هو المنعم الحقيقي بل(7) الكمال المطلق.

ص: 183

1- مستدرک الوسائل: ج 1 ص 110-111 ب 12 ح 118.

2- نهج البلاغة، الخطب: 23، ومن خطبة له (عليه السلام) وتشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الأغنياء بالشفقة.

3- مما كان بنحو الداعي على الداعي.

4- سورة الأنبياء: 90.

5- سورة السجدة: 16.

6- قصص الأنبياء للجزائري: ص 211 ب 11.

7- (بل) هذه للإضراب ويقصد الترقى كما لا يخفى.

5: إعزاز الدعوة

مسألة: (إعزازاً) أي: لأجل تقوية الدعوة وغلبتها(1)، ومنه يعلم رجحان ما يوجب إعزاز دعوته تعالى، ودعوته هي للإيمان به وتوحيده وعدله وللإيمان برسله وكتبه، إلى آخر أصول الدين وما يتفرع عنها.

وفي الصحيفة السجادية في وصفه (صلى الله عليه وآله): «إرادة منه لإعزاز دينك»(2).

وهذه الجملة والجملة السابقة يحتمل أن تكون تعليلاً لأصل الخلقة وتكوين الأشياء، ويحتمل أن تكون تعليلاً لنحوها وكيفيةها وخصوصيتها، أي لكون الخلقة لا- من شيء كان قبلها وبلا احتذاء أمثلة، وكونها بالقدرة لا بالآلة... ففي هذا الإظهار الأتم للقدرة والإعزاز الأكبر للدعوة، وهو ادعى لتعبد البرية والتنبيه على الطاعة، وقد يكون الاحتمال الأول أقرب وأسرع تبادراً.

وإذا كان من علل الخلقة إرادته جل وعلا (إعزاز الدعوة) كان (إعزازها) عنواناً مستقلاً مصرحاً به يدور مداره كثير من الأحكام سلباً وإيجاباً.

وذكر (إعزاز الدعوة) تعليلاً للخلقة من باب ما يؤول إليه الشيء(3).

ص: 184

1- العزة: هي القوة والغلبة.

2- الصحيفة السجادية الكاملة: ص 40 وكان من دعائه (عليه السلام) بعد هذا التحميد في الصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت.

3- هذا دفع وحل مقدر فليدقق.

وفي بعض النسخ: «إعزازاً لأهل دعوته»⁽¹⁾، فيدلّ على رجحان إعزاز حملة الدين كما هو واضح.

بيان العلل والأهداف

مسألة: ينبغي للإنسان بيان العلل والأهداف والغايات المترتبة على كل قرار يصدره، أو موقف يتخذه، أو منهج يرسمه.

سواء كان لعائلته أم لأصدقائه أم للتجمعات المحيطة به أم للمتعاملة معه أم لمجتمعه.

وسواء كان في الشؤون الدينية أم للدنيوية، الاقتصادية أم السياسية، الاجتماعية أم غيرها.

إذ أن ذلك يوجب مزيداً من اعتماد الآخرين على الإنسان، إضافة على أنه تربية للناس على التفكير والتعقل والتدبر، وتقييم كل شيء بمنظار المنطق والدليل والحكمة، كما دعا إليه القرآن الكريم، وعدم الإتياع الأعمى كما كان دأب المشركين: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ»⁽²⁾.

ثم إنه يوجب تصحيح الخطأ في قرار أو مسيرة الإنسان والحيلولة دون الاستبداد، إذ تعويد الناس على ذكر العلل يوجب نموهم فكرياً وتصديهم لإسداء النصح والمشورة ولذا كانت: «المشورة مباركة»⁽³⁾.

ص: 185

1- كشف الغمة: ج 1 ص 482 خطبة فاطمة (عليها السلام).

2- سورة الزخرف: 23.

3- وسائل الشيعة: ج 12 ص 45 ب 24 ح 15604.

و«أعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله»(1). و«من استبد برأيه هلك»(2).

و«الاستشارة عين الهداية»(3).

و«ما عطب من استشار»(4).

وما أشبهه.

إضافة إلى أنه تأس وإقتداء بالمعصومين (عليهم السلام) في ذكرهم العلل التشريعية والتكوينية (5) كما ذكرت (عليها السلام) ها هنا العلة في خلق العالم، ومن قبله العلة في حمده تعالى وشكره، وستذكر (عليها السلام) العلة في بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) واختياره، والعلة في استخلاف القرآن عليهم، والعلة في اختيار علي (عليه السلام) دون غيره، ثم تطرقت لعلل جعل العديد من فروع الدين وأحكامه وغيرها.

وكما تطرق القرآن الكريم من قبل لبيان علل أو حِكم الكثير من الأمور التكوينية أو التشريعية، وقد أشرنا إليه في مواطن من هذا الكتاب وغيره.

ص: 186

-
- 1- راجع غرر الحكم ودرر الكلم: ص 442 ق 6 ب 4 ف 1 شاور هؤلاء ح 10080، وفيه: «من شاور ذوي العقول استضاء بأنوار العقول».
 - 2- نهج البلاغة، قصار الحكم: 161.
 - 3- نهج البلاغة، قصار الحكم: 211.
 - 4- مستدرک الوسائل: ج 8 ص 342 ب 20 ح 9609.
 - 5- راجع مثلاً كتاب (علل الشرائع).

الهدف تكامل الإنسان

وأخيراً فإن العلل الخمسة المذكورة في كلامها (عليها السلام) كلها مما يصب في طريق تكاملية الإنسان (1) واقترابه الأكثر إلى مصدر الكمال المطلق والحق المطلق، فهي تعود إلى الإنسان نفسه أولاً وأخيراً، قال تعالى: «إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ» (2).

فقد خلقهم لرحمته (3) كما ورد في الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام): «فإن الله تعالى خلق خلقاً لرحمته» (4).

ص: 187

1- فمعرفة حكمة الله وقدرته وإطاعة أوامره والتعبد بها وإعزاز دعوته كلها تزيد الإنسان تكاملية، مادية ومعنوية، دنيوية وأخروية.

2- سورة هود: 119.

3- فإذا كان الناس يركضون وراء المال أو الشهرة أو الرئاسة أو حتى العلم - بما هو علم - فإنها جميعاً كمالات مجازية محدودة فانية «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (عليهم السلام) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» سورة الرحمن: 26-27. أما معرفة الله وإطاعته فهو الكمال الحقيقي للإنسان. والعلم - كالعلوم الطبيعية والإنسانية وما أشبهه - يكتسب قيمته الحقيقية الخالدة إذا كان في هذا الإطار كجسر للاقتراب من الحقيقة الخالدة وكطريق لاكتساب رضا الله تعالى، بما تقدمه العلوم من خدمة الإنسان الذي أمر الله سبحانه فطرة وعقلاً وشرعاً بإعطائه حقه والتعاون معه والإحسان إليه وإلا لكانت له قيمته مجازية محدودة يشبهه الله عليها دنيوياً... والعلوم مع ذلك تكشف جانباً من عظمة الله وقدرته وحكمته في مخلوقاته.

4- قرب الإسناد: ص 35.

الإثابة على الإطاعة

مسألة: يستحب جعل الثواب على الإطاعة وعلى الالتزام بالقانون، من غير فرق بين رب العائلة والمعلم والقائد وغيرهم، وربما وجب، فإنه إتباع لله سبحانه وتعالى ولسنة الرسل والأنبياء (عليهم السلام) .. وهو سيرة العقلاء(1)، حيث يجعلون الثواب على الطاعات سواء كانت الطاعات إيجابية أم سلبية، مثل جعل الثواب على ترككذا من الأعمال الضارة المنافية، كما ورد عنه (عليه السلام): «من ترك مسكراً مخافة الله أدخله الجنة وسقاه من الرحيق المختوم»(2) ومن ترك الكذب كان له من الثواب كذا، وما أشبه(3).

والثواب أعم مما يعطيه الله للإنسان في الدنيا أو في الآخرة، قال تعالى: «فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ»(4).

وجعل الثواب هو من حكمة الله، وهو من الطرق التي وضعها الله لتعبد البرية وجرهم للطاعة - وهذا من غاية لطف الله وفضله - ومن أسباب إعزاز الدعوة، ومن مظاهر قدرة الله أيضاً.

ص: 188

1- في الجملة.

2- الكافي: ج 6 ص 404 باب مدمن الخمر ح 1.

3- للتفصيل راجع كتاب (ثواب الأعمال) للشيخ الصدوق (قدس سره).

4- سورة آل عمران: 148.

العقاب على مخالفة القانون

مسألة: من اللازم وضع العقاب على المعصية ومخالفة القانون، عقاباً مناسباً ومطابقاً للعدل، كما جعل الله سبحانه العقاب على معصيته.

فإذا اعتبرنا أن (العقاب) يطلق - ولو توسعاً - على الأعم من المترتب على الحرام، استحب وضعه على المكروه أيضاً، كما ورد جملة من العقوبات على المكروهات مثل البناء رياءً، قال (صلى الله عليه وآله): «من بنى بنياناً رياءً وسمعةً حملة يوم القيامة إلى سبع أرضين ثم يطوقه ناراً توقد في عنقه ثم يرمى به في النار»(1).

أو تربية الشعر على الرأس من دون (فرق)، أو أن المريض إذا لم يقرأ ثلاث مرات «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»(2) كان له كذا من العقاب.

إلى غير ذلك، مما يوجد في كتاب (عقاب الأعمال)(3)، للشيخ الصدوق

ص: 189

1- وسائل الشيعة: ج5 ص339 ب25 ح6731.

2- أي سورة الإخلاص.

3- يعتبر هذا الكتاب دائرة معارف كبيرة في العلوم الإسلامية وأحكام الحلال والحرام، حيث لا يستغني عنه أي فقيه أو عالم أو أديب؛ إذ فيه مطالب مفيدة وأبحاث قيمة. حيث أورد الشيخ الصدوق (رحمة الله) في هذا الكتاب روايات نفيسة عن أهل البيت (عليهم السلام) في بيان الأعمال الحسنة والقبیحة وجزاء كل منهما، كما ذكر الروايات التي تبين الأعمال الحسنة التي وعد الله بالثواب عليها والأعمال القبيحة التي أوعد بالعقاب عليها. وقد حظى هذا الكتاب كسائر كتب الشيخ الصدوق (رحمة الله) باهتمام العلماء والفقهاء إذ يعد من أهم الأصول الروائية. واعتمدوا عليه في كثير من الكتب الروائية الكبيرة كالكتب الأربعة وبحار الأنوار ووسائل الشيعة. يقول الشيخ الصدوق (رحمة الله) حول سبب تأليفه لهذا الكتاب: إن الذي دعاني إلى تأليف كتابي هذا ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «الدال على الخير كفاعله»، وسميته (كتاب ثواب الأعمال) وأرجو أن لا يحرمني الله ثواب ذلك فما أردت من تصنيفه إلا الرغبة في ثواب الله وابتغاء مرضاته سبحانه ولا أردت بما تكلفته غير ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(قدس سره) (1) وغيره. فإطلاق العقاب عليها توسعي، وإن كان جمع من العلماء أولوا بعض هذه الروايات بما يرفع الاستغراب من وجود مثل تلك العقوبات على فعل هذه المكروهات، كما لو كان بقصد العناد أو تضمن إنكار إحدى الأصول.

ثم إن العقاب قد يكون عقاباً تكوينياً - في الدنيا - بنحو الأثر الوضعي أو الردع الاجتماعي؛ فإن المعاصي توجب عنت الإنسان وعطبه، قال تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» (2).

إذ المعصية خلاف مسير الحياة وهي تصطدم بشبكة السنن الإلهية المحيطة بالإنسان، كمن يلقي نفسه من شاهق حيث تتكسر عظامه.

ص: 190

1- محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، ولد سنة 305 هـ في مدينة قم في أسرة علمية من أهل التقوى. وقد أدرك الشيخ الصدوق عشرين سنة من حياة والده وكان من كبار العلماء الأجلاء، فاكسب خلال هذه المدة العلم والحكمة منه ومن سائر علماء قم. وكان الصدوق (رحمة الله) يعيش في عصر قريب من عصر الأئمة (عليهم السلام)، فقام بجمع روايات أهل البيت (عليهم السلام) فألف الكتب القيمة حيث أسدى للإسلام والتشيع خدمات جليلة يقل نظيرها. فمن مؤلفاته: من لا يحضره الفقيه، مدينة العلم، كمال الدين وتمام النعمة، التوحيد، الخصال، معاني الأخبار، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الأمالي، المقنع في الفقه، الهداية بالخير. توفي (رحمة الله) سنة 381 هـ بعد عمر حافل بالبركات.

2- سورة طه: 124.

وقد يكون تشريعياً، هذا بالإضافة إلى العقاب في الآخرة فإنه مقرر من الله للعصاة.

وقد ذهب البعض إلى أن الأعمال الصالحة وطالحة هي كالنواة التي تثمر ما يجانسها، فكل عقاب وثواب في الآخرة هو ثمرة ما غرس في الدنيا.

وفي الحديث: «وان الله ليربي لأحدكم الصدقة كما يربي أحدكم ولده»⁽¹⁾.

وهذا بلحاظ تجسم الأعمال، فإن (الكذب) يتحول إلى عقرب تلدغ الإنسان - مثلاً - في الآخرة، وهكذا سائر المعاصي، فهناك علاقة تكوينية بين العمل وبين العقاب الأخرى، قال تعالى: «ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ»⁽²⁾.

ص: 191

1- وسائل الشيعة: ج9 ص382-383 ب7 ح12292.

2- سورة العنكبوت: 55.

حفظ العباد عن التعرض للنقمة الإلهية

مسألة: يجب زيادة العباد وإبعادهم عن نعمته تعالى عقلاً ونقلاً، وتحقيقاً لغرض المولى جل وعلا، والروايات الدالة على ذلك كثيرة جداً، «فنعوذ بالله من غضب الله ونقمته»⁽¹⁾.

ومعنى الزيادة: الطرد والدفع والإبعاد، يقال: ذاد الإبل عن الحوض، أي: طرده عن الماء⁽²⁾.

ففي المحرمات وترك الواجبات الزيادة واجبة؛ لأنها نوع من النهي عن المنكر والتعليم وتبئيه الغافل وإرشاد الجاهل وما أشبه ذلك. وهذا⁽³⁾ من غاية لطف الله بعبده.

وللتوضيح نمثل: بأن يضع الأب عقوبة الحبس يوماً - مثلاً - على من أراد من أبنائه التوغل في غابة مجهولة خطيرة، فإن هذه العقوبة هي للحيلولة دون وقوعه في الخطر الأعظم، وكذلك الطبيب الذي يجري عملية جراحية منعاً لسريان السرطان إلى سائر الأعضاء.

ص: 192

1- بحار الأنوار: ج 62 ص 222 ب 5 ح 3.

2- وفي لسان العرب: ج 3 ص 167 مادة ذود: الذود، السوق والطرود والدفع، تقول: ذدته عن كذا، وذاده عن الشيء ذوداً وزياداً.

3- أي وضعه تعالى العقوبات زيادةً لعباده عن نعمته.

فالعقوبات الدنيوية المجعولة على ارتكاب المعاصي كشرب الخمر والزنا وشبههما مع اجتماع شرائطها الكثيرة (1) لدفع النعمة الكبرى التي ستنال العاصي في الآخرة (2).

هذا لو كان المراد من (العقاب) في كلامها (عليها السلام): العقوبات الدنيوية.

وأما لو كان المقصود منه في كلامها (عليها السلام) العقاب الأخروي، فإن التهديد به يردع الكثيرين عن ارتكاب المعاصي التي تؤدي إلى نقمته تعالى.

وهذا (3) هو ما يقتضيه الربط بينالعلة والمعلل له (4).

ص: 193

-
- 1- وقد ذكر الإمام المؤلف (قدس سره) في (الفتاوى): إن إجراء بعض الحدود مشروط بأكثر من أربعين شرطاً، فراجع.
 - 2- راجع كتاب (العقوبات في الإسلام) لآية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظلّه).
 - 3- إشارة إلى تفسير كلامها (عليها السلام) (وضع العقاب) بالتفسير الإثباتي لا الشبوتي، إذ (التهديد بالعقاب) - كما ذكر (قدس سره) - هو السبب للزيادة لا وجوده الحقيقي بنفسه.
 - 4- العلة: (زيادة لعباده عن نقمته) والمعلل له: (وضع العقاب على معصيته).

سوق العباد إلى الجنة

مسألة: يجب سوق العباد إلى الجنة على ما عرفت في البحث الآنف، قال تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» (1).

وقال سبحانه: «سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» (2).

و(حياشة) أي: سوقاً (3): فإن الله تعالى يريد لعباده الجنة والنعيم والسعادة السرمدية، قال سبحانه: «إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ» (4).

والطريق إلى ذلك الإطاعة وتجنب المعاصي، فإن الكون دنياه وآخرته قررت بحيث أن المطيع مآله النعمة والجنة، والعاصي مآله النعمة والنار، كما تمت هندسة الكون بحيث أن الزارع يحصد غداً، ومن لا يزرع يبقى صفرأ يداً، ومن يدرس يصبح طبيباً أو مهندساً أو ما أشبهه، ومن لا يدرس يبقى جاهلاً.

وإن كثيراً من الناس لا يسوقه إلى الجنة وإلى النعيم المقيم إلا ما يراه من العقاب على المعصية فيرتدع، فيوفق للنعيم المقيم.

ص: 194

1- سورة آل عمران: 133.

2- سورة الحديد: 21.

3- وفي لسان العرب: ج6 ص290 مادة حوش: وحشت الإبل، جمعتها وسقتها.

4- سورة هود: 119.

التطرق لفلسفة الثواب والعقاب

مسألة: من اللازم بيان فلسفة الثواب والعقاب للناس، إذ ذلك يزيدهم إيماناً واعتقاداً والتزاماً. وحتى بالنسبة إلى الأبوين عند عقاب الطفل أو ثوابه، ويرجح أن يذكر السبب حتى يكون تأثيره أكثر.

وهذا الأمر يجري في القوانين الوضعية أيضاً، فأية عقوبة تضعها شركة أو هيئة أو دولة - شرط أن تكون في إطار الشريعة(1) - ينبغي أن تذكر علتها وفلسفتها للناس.

ولذا أكثر في القرآن الحكيم منذر الفلسفة، فإن القرآن الكريم ذكر فلسفة كثير من الأحداث والأحكام:

مثلاً قال جل وعلا في الصلاة: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي»(2)؛ فإن «لِذِكْرِي» فلسفة «أَقِمِ الصَّلَاةَ».

وقال سبحانه: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»(3)، ف «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» فلسفة هذا الحكم.

وقال تعالى: «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ»(4)، في فلسفة الحج.

ص: 195

1- كعقوبة الفصل من الشركة أو العزل من وظائف الدولة لو ارتشى أو تماهل في قضاء حوائج المراجعين أو ما أشبه ذلك.

2- سورة طه: 14.

3- سورة البقرة: 183.

4- سورة الحج: 28.

وقال سبحانه: «وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» (1) حيث إن فائدة الجهاد تعود إلى النفس.

قال (عليه السلام): «جاهدوا تورثوا أبناءكم عزاً» (2). وقال (عليه السلام): «جاهدوا تغنموا» (3) وهو فلسفة الجهاد.

وقال تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا» (4) حيث إن التطهير والتزكية فلسفة الزكاة.

وقال سبحانه: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» (5) حيث إن تفضيل الله سبحانه وإنفاق الأزواج سبب قوامية الرجال على النساء.

وقال في فلسفة الدعوة إلى عبادته تعالى وحده:

«وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (6)..

إلى غير ذلك.

ص: 196

1- سورة العنكبوت: 6.

2- راجع وسائل الشيعة: ج 15 ص 15 ب 1 ح 19916، وفيه عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «اغزوا تورثوا أبناءكم مجداً».

3- الكافي: ج 5 ص 8 باب فضل الجهاد ح 14.

4- سورة التوبة: 103.

5- سورة النساء: 34.

6- سورة القصص: 88.

الاعتقاد بنبوته (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يجب الاعتقاد بنبوة النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله) ورسالته، فإن من لم يعتقد بنبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان كافراً وإن اعتقد بنبوة سابق الأنبياء (عليهم السلام) (1)، كما ذكرنا ذلك بالنسبة إلى الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) حيث إن من أنكر أحدهم كان كمنكرهم جميعاً.

وأعظم برهان خالد على رسالته (صلى الله عليه وآله) هو القرآن الكريم حيث تفرد (صلى الله عليه وآله) دون سائر الأنبياء بمعجزة أبدية ظاهرة على مر الأجيال وذلك مقتضى خاتمته.

ثم إن الاعتقاد بنبوته ورسالته تعود فائدته إلى الإنسان نفسه «قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ» (2) إذ هو إضافة إلى كونه إدراكاً وعلماً لحقيقة كبرى و«العلم نور» (3) أن الاعتقاد مقدمة طبيعية للعمل بمناهجه التي توفر سعادة الدنيا والآخرة للإنسان.

والاعتقاد من عقد القلب فلا يكفي مجرد العلم بذلك، بل ينبغي عقد القلب عليه، قال تعالى: «وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ» (4) وكما يظهر ذلك من كلامها (عليها السلام) فيما سيأتي: «منكرة لله مع عرفانها».

ص: 197

1- راجع المقنعة: ص 30 ب 2.

2- سورة سبأ: 47.

3- بحار الأنوار: ج 1 ص 225 ب 7 ح 17.

4- سورة النمل: 14.

التلفظ بالشهادة الثانية

مسألة: يستحب التلفظ بالشهادة الثانية في مختلف الأحوال في الخطاب والخطبة وحين الانفراد والخلوة.

لما يترتب على ذلك من الثواب الأخرى، إضافة إلى كونه تلقيناً وإيحاءً وتكريساً لهذه الجملة ولمدلولاتها التضمنية والالتزامية في النفس أكثر فأكثر، وقد يكون لذلك التأكيد في الروايات الشريفة على التلفظ بكلمة التوحيد والصلوات على النبي محمد وآله (عليهم السلام) وسائر الأذكار والأدعية.

ثم إن التلفظ بهذه اللفظة بالنسبة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) مثل التلفظ بهذه اللفظة بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى كما تقدم، فيصح أن يقول: (إنه رسول الله) و(أشهد) و(نشهد) و(شهادتي) وما هو من هذا القبيل.

بل أصل التلفظ في الجملة واجب(1) ولا يكفي الاعتقاد فقط أو الإتيان فقط بدون التلفظ، فإن الإيمان مركزه القلب واللسان والجوارح كما ذكر في العلم الكلام، وكما ورد في الروايات: «تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان»(2).

واستحباب التلفظ بها - على ما سبق - إنما هو إذا لم تكن جهة وجوب، وإلا كما في موارد تنبيه الغافل وإرشاد الجاهل والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف وما أشبهه، وجب بالمقدار الذي يحقق الغرض.

ص: 198

1- كما يتكرر في الصلاة وغيرها كثيراً.

2- نهج البلاغة، قصار الحكم: 227، وَسَيُئَلُّ (عليه السلام) عَنِ الْإِيمَانِ؟. فَقَالَ (عليه السلام): «الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ».

الشهادة بعبوديته (صلى الله عليه وآله) لله تعالى

مسألة: يستحب الشهادة بأنه (صلى الله عليه وآله) عبد لله تعالى، وقد يجب (1) وذلك لما سبق (2)، وإتباعاً لله سبحانه حيث قال تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا» (3).

وقال سبحانه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ» (4).

وقال تعالى: «ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرَاتًا» (5).

وقال سبحانه: «وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ» (6).

وقال تعالى: «وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ» (7).

وقال سبحانه: «ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» (8). وقال تعالى: «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ» (9).

ص: 199

1- كما في الصلاة.

2- في البحث السابق (يستحب التلفظ بالشهادة الثانية).

3- سورة الإسراء: 1.

4- سورة الكهف: 1.

5- سورة مريم: 2.

6- سورة ص: 17.

7- سورة ص: 41.

8- سورة الإسراء: 3.

9- سورة الصافات: 81 و 111 و 132.

وقال سبحانه: «لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ»(1).

وقال تعالى: «قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا»(2).

ونقرأ في الصلاة كل يوم: (أشهد أن محمداً عبده ورسوله).

وتقديم العبد؛ لأنه اعتراف بإله الكون، ولأن وصول النبي (صلى الله عليه وآله) إلى منتهى درجة العبودية لله تعالى هو الذي أهله ليكون رسولاً، بل أفضل الرسل على الإطلاق، فهو (صلى الله عليه وآله) عبدٌ أولاً ورسولٌ ثانياً، وكفى بالإنسان فخراً وسمواً وكمالاً أن يكون عبداً خاشعاً خاضعاً لله تعالى.

الاعتقاد بالعبودية

مسألة: يجب الاعتقاد بأنه (صلى الله عليه وآله) عبد لله تعالى، وكذلك غيرهم من الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، ويحرم الغلو فيهم (عليهم السلام)، وذلك في قبال من يتوهم أنهم (عليهم السلام) شركاء لله سبحانه أو أبناؤه، قال تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ»(3).

وقال (عليه السلام): «يهلك فيّ اثنان: محب غال ومبغض قال»(4).

ص: 200

1- سورة النساء: 172.

2- سورة مريم: 30.

3- سورة التوبة: 30.

4- شرح نهج البلاغة: ج 20 ص 220 قصار الحكم 478.

وقال (عليه السلام): «ولا تغلوا وإياكم والغلو كغلو النصارى، فإني بريء من الغالين»(1).

الشهادة الثانية

مسألة: يستحب أو يجب - كل في مورده - التشهد بالشهادة الثانية بعد ما شهد الإنسان بالشهادة الأولى.

ومنه يعرف الحكم في الشهادة الثالثة(2).

وفي الحديث: «إن المسافر إذا نزل ببعض المنازل يقول: "اللهم أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين"، ويصلي ركعتين... ويقول: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن علياً أمير المؤمنين، والأئمة من ولده أئمة أتولاهم وأبرء من أعدائهم"» الحديث(3).

التصريح بالنسب وإظهاره

مسألة: ينبغي التصريح بالنسب والتأكيد عليه وإظهاره، فيما إذا كان دخلياً في تحقيق الغرض ومؤكداً ومؤيداً للكلام(4).

ص: 201

1- بحار الأنوار: ج4 ص303 ب4 ح31.

2- وسيأتي البحث عن ذلك.

3- مستدرک الوسائل: ج8 ص231 ب43 ح9324.

4- ويشاهد ذلك في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي أمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسن والإمام الحسين وعلي بن الحسين وسائر الأئمة (عليهم السلام)، راجع: بحار الأنوار ج12 ص127 ب6 ح3.

.....
قال علي (عليه السلام): «لا جمال كالحسب»⁽¹⁾، كما قالت (صلوات الله عليها): «وأشهد أن أبي محمداً...».

فتصريحها بالنسب هنا يوجب تهيج العواطف وتحريكها لتقبل كلماتها (عليها السلام) .. إضافة إلى أنه يذكرهم بكلماته (صلى الله عليه و آله) عن ابنته وحببته وبضعته، فيكون ذلك أدعى لقبول الحق منها.

والتصريح بالنسب أو إظهاره قد يجب في مواطن عديدة، كما في موارد من الإرث أو النكاح أو الرضاع أو ما أشبه ذلك، سواء بالنسبة إلى نفسه أم بالنسبة إلى الغير مما هو مذكور في (الفقه).

نشر فضائل الوالدين

مسألة: ينبغي للإنسان أن يتطرق لذكر فضائل والده وأن يقوم بنشرها، قال تعالى: «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا»⁽²⁾، وكذلك والدته، وسائر الأقرباء، بل مختلف المؤمنين، فهو حض وحث على الخير وتشويق عليه.

كما إن عكسه مكروه أو محرم.

قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيَعًا فَاحِشَةً فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»⁽³⁾.

ص: 202

1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 409 ق 6 ب 1 ف 5 ح 9395. هذا إذا لم يقصد به التفاخر وما أشبه من الرذائل الأخلاقية كما هو واضح.

2- سورة البقرة: 83، سورة النساء: 36، سورة الأنعام: 151، سورة الإسراء: 23.

3- سورة النور: 19.

.....
والأمر بالنسبة للوالدين والأرحام أكد؛ لأن نشر فضائلهم قد يعد نوعاً من صلة الرحم «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» (1).

إضافة إلى أنه نوع من مقابلة الإحسان بالإحسان وأداء لبعض حق الوالد على الولد.

بالإضافة إلى قوله تعالى: «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» (2) فإن الإغماض عن الفضائل وسترها وعدم ذكرها نوع من البخس.

هذا كله إذا لم يكن من التفاخر وما أشبهه، قال تعالى:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (عليهم السلام) أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ (عليهم السلام) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (عليهم السلام) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (عليهم السلام) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» (3).

ص: 203

1- سورة الأنفال: 75، سورة الأحزاب: 6.

2- سورة الأعراف: 85، سورة هود: 85، سورة الشعراء: 183.

3- سورة التكاثر: 1-4.

فضائل الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب أو يجب - كل في مورده - بيان فضائل الرسول (صلى الله عليه وآله) كما بيّنت (عليها السلام) في خطبتها.

وكذلك بالنسبة إلى سائر الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) وبالنسبة إلى العلماء والصالحين أيضاً.

الاختيار الإلهي للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يجب أن يكون اختيار النبي (عليه السلام) من قبل الله تعالى وبتعيينه سبحانه، وكذلك الإمام (عليه السلام)، حيث قالت (عليها السلام): «اختاره وانتجبه» أي: لأن يكون (صلى الله عليه وآله) رسوله الأخير إلى البشر وأفضل الرسل على الإطلاق، وفي حديث عنه (صلى الله عليه وآله): «فلم أزل خياراً من خيار»⁽¹⁾. قولها (عليها السلام): «وانتجبه» من النجابة، وقد نجب نجابة: إذا كان فاضلاً نفسياً في نوعه، أي اصطفاها، وذلك قبل أن خلقه وفطره، وفي زيارة الجامعة: «خلقكم أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين»⁽²⁾ فإن النور تحول إلى إنسان، كما أن النار تحولت إلى الجان، وكما أن التراب تحول إلى البشر.

ص: 204

1- راجع تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 662 في من لا يستجاب دعاؤه.

2- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 2 ص 275 زيارة أخرى جامعة للرضا علي بن موسى (عليه السلام) ولجميع الأئمة (عليهم السلام)

قال تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ»(1).

ومن الواضح إمكان تحول المادة إلى المادة، والمادة إلى الطاقة، وبالعكس، فقد اختاره الله وانتقاه (صلى الله عليه وآله) قبل أن يرسله، أي أنه تعالى أنتخب من عرف أنه خير البشرية على الإطلاق، للرسالة.

والعلم كاشف وليس بعلّة؛ فإن النبي (صلى الله عليه وآله) كان سيخرج قمة القمم في مختلف الامتحانات الإلهية - حسب معرفته سبحانه وتعالى بعلم الغيب لذلك انتخبه هو (صلى الله عليه وآله) دون غيره ليحمّله أعظم الرسالات والمسؤوليات الكونية على الإطلاق وأعطاه من الامتيازات الاستثنائية ما أعطاه.

وهناك وجه آخر: هو امتحانه (جل وعلا) للنبي (صلى الله عليه وآله) ولكل من عداه في عوالم سابقة، فأبدى (صلى الله عليه وآله) أهليته على الإطلاق، وقد يشير إلى هذا الوجه ما ورد في زيارة السيدة الزهراء (عليها السلام): «يا ممتحنة، امتحنتك الذي خلقتك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنتك صابرة»(2) وتفصيل البحث في علم الكلام والحديث.

مواصفات خاصة للنبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام)

مسألة: في قولها (عليها السلام): «اختاره وانتجبه» دليل على أن هنالك مواصفات استثنائية يجب أن تتوفر في النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام).

فقد اختاره (صلى الله عليه وآله) وانتقاه الله تعالى بما يحمل من مواصفات تؤهّله لكي يكون رسولاً لرب العالمين وحجّةً على الناس أجمعين.

ص: 205

1- سورة فاطر: 11.

2- وسائل الشيعة: ج 14 ص 367-368 ب 18 ح 19405.

ففي نفس كلمة «اختاره وانتجبه» دلالة على ذلك، حيث وقع الاختيار من بين الكل عليه وهو سبحانه أحكم الحكماء (1) على أن تفرد الله تعالى بهذا العمل وقيامه به بالذات دليل على ذلك، حيث إن غيره لا يمكن أن يكتشف تلك الصفات الاستثنائية.

ومن هنا كان اعتراض الملائكة عليه سبحانه في قضية خلق آدم (عليه السلام)، قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (2).

ومن جملة تلك الصفات: العصمة (3) اللازمة عقلاً وشرعاً في النبي والإمام (عليهما السلام) (4) والتي لا يعرفها إلا الله سبحانه وتعالى، وقد أشار إليه الإمام (عليه الصلاة والسلام) في قصة اختيار موسى (عليه السلام) حيث اختار سبعين رجلاً ومع ذلك كفروا: «وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا» (5).

ص: 206

1- إضافة إلى أن «انتجبه» - كما سبق - من: نجب نجابة، إذا كان فاضلاً نفسياً في نوعه.

2- سورة البقرة: 30.

3- العصمة: هي ما يمتنع المكلف معه من المعصية متمكناً منها ولا يمتنع منها مع عدمها. راجع الألفين: ص 56 المائة الأولى.

4- راجع كتاب (القول السديد في شرح التجريد) للإمام المؤلف (قدس سره).

5- سورة الأعراف: 155.

وليس هذا نقصاً في موسى (عليه السلام) واختياره وإنما هو بيان لأن الذين كانوا خيرة القوم حسب مختلف الظواهر كانوا هكذا فكيف إذا كانوا غير الخيرة، أو كانوا غير مختارين من قبل النبي (عليه السلام) وهو أدري الناس بما يمكن للبشر معرفته من خفايا النفس البشرية.

أما بالنسبة إلى الفقهاء أو الوكلاء والرجوع إليهم فهو بأمر الله سبحانه وتعالى أيضاً، قال تعالى: «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» (1) فحيث لم تشترط فيهم العصمة ولم تكن فيهم ضرورة ولا واقعة، لذلك أوكل الله تعالى معرفة مصاديقهم إلى الناس أنفسهم أو إلى أهل الخبرة منهم (2).

فلا يقال: لماذا يلزم في النبي والإمام (عليهما السلام) العصمة دون وكلائهم في حال حياتهم أو بعد غيبتهم؟ فإن القياس مع الفارق الكبير.

ص: 207

1- سورة التوبة: 122.

2- راجع المسائل الإسلامية: ص 72 أحكام التقليد، المسألة 3، الطبعة 36 عام 1421هـ/2000م، مؤسسة المجتبي بيروت، وفيه: (يعرف المجتهد والأعلم يا حدى طرق ثلاث: الأولى: أن يتيقن الإنسان نفسه بذلك بأن يكون الشخص نفسه من أهل العلم ويتمكن من معرفة المجتهد والأعلم. الثانية: أن يخبر بذلك عالمان عادلان يمكنهما معرفة المجتهد والأعلم بشرط أن لا يخالف خبرهما عالمان عادلان آخران. الثالثة: أن تشهد جماعة من أهل العلم والخبرة ممن يقدرون على تشخيص المجتهد والأعلم ويوثق بهم، والأقوى هو كفاية إخبار شخص واحد - إذا كان ثقة - بذلك).

.....
إضافة إلى عدم وجود القابلية لمقام العصمة في غير الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، إذ هو تعالى فياض حكيم يعطي فيضه ولطفه للقبال لاغير(1).

مواصفات وكلاء المعصومين (عليهم السلام) وأتباعهم

مسألة: ومما سبق نعرف أن الفقهاء والوكلاء والقضاة وأئمة الجماعة والخطباء ومن أشبههم، بل عموم أتباع المعصومين (عليهم السلام) وإن لم يكونوا معصومين إلاّ أن من الضروري أن يتحلوا بكثير من الصفات التي توفر درجة من السنخية والتجانس مع موكلهم وأئمتهم وقادتهم (عليهم السلام)، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ألا وإن لكل مأموم إمام يُقتدى به ويُستضيء بنوره، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد»(2).

ثم إن من تلك الصفات: ما ذكر في القرآن الكريم وورد في الأحاديث الشريفة حكاية عن حال الأنبياء (عليهم السلام) أو وصفاً للمؤمنين، مثل قوله سبحانه: «إِنَّ كَانَ عَبْدًا شُكُورًا»(3).

ص: 208

1- بالإضافة إلى أن الدنيا دار امتحان، وكونها دار امتحان يقتضي وجود نبي (عليه السلام) أو إمام معصوم (عليه السلام) يكون بمثابة المنيع والمصدر الأساسي والرئيسي للتشريع، ووكلاء لهم بمثابة الجداول والفروع، لم يشترط فيهم ذلك ولم يتحقق، فالجمع بين كونها دنيا وبين «حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ» - سورة البقرة: 187 - وبين إرادة الامتحان وغيرها يقتضي ذلك فدقق.

2- نهج البلاغة، الرسائل: 45 ومن كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف وكان عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها.

3- سورة الإسراء: 3.

وقوله تعالى: «إِنَّهٗ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ»(1).

وقوله سبحانه: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ»(2).

وقوله تعالى: «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»(3).

وقوله سبحانه: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ»(4) الآية.

وقوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (عليهم السلام) الَّذِينَ هُمْ فِي صِدْقَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (عليهم السلام) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (عليهم السلام) وَالَّذِينَ هُمْ لِلرِّكَاةِ فَاعِلُونَ (عليهم السلام) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ»(5) الآية.

وقوله سبحانه: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ»(6).

وعنه (عليه السلام): «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه»(7).

ص: 209

1- سورة مريم: 54.

2- سورة آل عمران: 159.

3- سورة آل عمران: 159.

4- سورة الفتح: 29.

5- سورة المؤمنون: 1-5.

6- سورة آل عمران: 110.

7- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 300 رسالة أبي جهل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) والجواب عنها.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة، إن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والصبر أمير جنوده، والرفق أخوه، واللين والده»⁽¹⁾.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «المؤمن... بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدرًا، وأذل شيء نفساً... يكره الرفعة، ويشنأ السمعة، طويل الغم، بعيد الهم، كثير الصمت، ذكور، صبور، شكور، مغموم بفكره، مسرور بفقره، سهل الخليفة، لين العريكة... أصلب من الصلد، ومكادحته أحلى من الشهد، لا جشع ولا هلع، ولا عنف ولا صلف، ولا متكلف ولا متعمق...»⁽²⁾.

وهذه الصفات وإن كانت عامة إلا أن توفرها في الوكلاء أكد، كما لا يخفى.

ص: 210

1- الأماي للصدوق: ص 592 المجلس 86 ح 17.

2- نهج البلاغة، قصار الحكم: 333.

التسمية قبل الولادة

مسألة: يستحب التسمية للشخص قبل الولادة، وقد ورد في الروايات استحباب تسمية المولود قبل أن يولد، حتى أنهم قالوا: إذا عرف أنه ولد سمي باسم الولد، أو أنثى فباسم الأنثى، أو مشكوك فباسم مشترك يصلح للذكر والأنثى.

وفي الحديث عن علي (عليه السلام): «سمّوا أولادكم قبل أن يولدوا، فإن لم تدرؤا أذكر أم أنثى فسموهم بالأسماء التي تكون للذكر والأنثى، فإن أسقاطكم إذا لقوكم يوم القيامة ولم تسموهم يقول السقط لأبيه: ألا سميتني»⁽¹⁾.

ومن هذه الجهة سمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) محسناً (عليه السلام) قبل أن يولد⁽²⁾.

قولها (عليها السلام): «اجتبله» أي: خلقه، فقد سماه جل وعلا لملائكته وأنبيائه (عليهم السلام) قبل أن يخلقها⁽³⁾، أو أنه تعالى وضع له اسماً قبل أن يخلق مطلقاً⁽⁴⁾.

ص: 211

1- الكافي: ج 6 ص 18 باب الأسماء والكنى ح 2.

2- وسائل الشيعة: ج 21 ص 387 ب 21 ح 27372.

3- أي: قبل أن يخلق في هذا العالم أي قبل ولادته، وإلا فإن نوره (صلى الله عليه وآله) قد خلق قبل سائر الأشياء. بحار الأنوار: ج 25 ص 21 ب 1 ح 37.

4- أي قبل خلقه جسمه وروحه ونوره.

من فضائله (صلى الله عليه وآله)

مسألة: ينبغي التركيز والتأكيد على اختيار الله جل وعلا واصطفائه للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ولسائر الرسل (عليهم السلام) وللأنمة (عليهم السلام) .. وبيان فلسفة ذلك أيضاً، كما سبق الإشارة إلى جانب منها، وكما سيأتي في كلامها (عليها السلام): «علماً من الله بمآل الأمور...».

إذ إن ذلك إضافةً إلى تضمّنه توجيهاً وتربيةً، فإنه يزيد من شدة التفاف الناس حولهم وبهم (عليهم السلام). قولها (عليها السلام): «إذ» بيان لظرف الاصطفاء، فالقبلية زمنية ورتبية أيضاً، فقد اختاره (صلى الله عليه وآله) لا قبل البعثة فحسب، بل قبل الخلقة أيضاً.

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله، قال: قلت لرسول الله: أول شيء خلقه الله ما هو؟.

فقال (صلى الله عليه وآله): «نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير»⁽¹⁾.

ولا ينافي هذا ما ورد من أن «أول ما خلق الله عز وجل العقل»⁽²⁾؛ لأن العقل الأكمل هو النبي (صلى الله عليه وآله) ونوره عقل.

ص: 212

1- بحار الأنوار: ج 15 ص 24 ب 1 ح 43.

2- مكارم الأخلاق: ص 442 ب 12 ف 3.

و«الأهويل»: الأهوال، هذا تشبيه للعدم بالهول، أو يقال: إن الأهوال شرور والشورر أعدام، كما ذكروا في علم الكلام في بحث أن الوجود خير محض والعدم شر محض (1).

و«بنهاية العدم»: العدم ليس بشيء حتى يكون له ابتداء، وإنما هو كناية عن العدم المحض الذي لا شائبة له من الوجود حتى الوجود الذهني والانتزاعي والاعتباري.

وهذه الجمل الثلاثة يحتمل أن يكون المراد بها واحداً، فبعضها بيان للبعض الآخر من باب التفنن في التعبير، ويحتمل أن يكون المراد بها الإشارة إلى التسلسل الوجودات في العوالم المتتالية، أو إلى مراتب الوجود (2).

ص: 213

1- راجع (القول السديد في شرح التجريد) للإمام المؤلف (قدس سره).

2- وربما يؤيد هذا الاحتمال الثاني قولها (عليها السلام): «مصونة، مكنونة» وعلى الاحتمال الأول قد تكون هذه التعابير مجازية.

علماً من الله تعالى بما يلى الأمور (1)، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع الأمور (2).

علمه تعالى

مسألة: يجب الاعتقاد بعلمه تعالى، «وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» (3)، «وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (4) والتفصيل في علم الكلام.

كما يجب الاعتقاد بأنه عز وجل يعلم الغيب: «وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ» (5).

ولا يخفى أن علمه سبحانه من صفات الذات كما هو مفصل في علم الكلام.

قال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): «علم الله لا يوصف منه بأين، ولا يوصف العلم من الله بكيف، ولا يفرد العلم من الله، ولا يبان الله منه، وليس بين الله وبين اللهوين علمه حد» (6).

ص: 214

1- وفي نسخة: «بما يلى الأمور».

2- وفي نسخة: «بمواقع الأمور».

3- سورة الطلاق: 12.

4- سورة البقرة: 29، سورة الأنعام: 101، سورة يس: 79، سورة الحديد: 3.

5- سورة هود: 123.

6- بحار الأنوار: ج 4 ص 86 ب 2 ح 22.

ما وصف الله به نفسه

مسألة: ينبغي أن يصف المرء ربه بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسله وأوصيائهم، ويحرم أن يصفه بغير صفاته، وقد قال (عليه السلام): «فمن وصف الله فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزلّه»⁽¹⁾. والمراد توصيفه سبحانه بصفات الجسم ولوازم الجسم وما أشبه من صفات الممكنات⁽²⁾ بل مطلق غير ما يصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسله. وخطبتها (عليها السلام) هي مما يرجع إليه في معرفة أوصافه وأسمائه جل وعلا.

و(مأثله) جمع مأل: ما يؤول ويرجع إليه الأمر⁽³⁾، أي إنما بعثه (صلى الله عليه وآله) لعلمه بعواقب الأمور، كعلمه بعاقبة كل فعل من أفعال البشر ومناهجهم، وعلمه بعاقبة بعثته للرسول (صلى الله عليه وآله) وعاقبة عدم بعثته وغير ذلك، كمن يعلم عاقبة من يمشي في غابة خطرة جاهلاً بمسالكها وأخطارها، وهو تعالى يعلم أيضاً المستجدات والمتغيرات التي تحدث للبشرية ولغيرها على مر الأعصار⁽⁴⁾.

ص: 215

- 1- نهج البلاغة، الخطب: 152، ومن خطبة له (عليه السلام) في صفات الله جل جلاله وصفات أئمة الدين.
- 2- ولذا علل (عليه السلام) قوله ب «لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة الموصوف أنه غير الصفة وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل» - الكافي: ج 1 ص 140 باب جوامع التوحيد ح 6 - وهذه حال صفات الممكن.
- 3- راجع لسان العرب: ج 11 ص 32 مادة (أول)، وفيه: الأول: الرجوع. آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع. وأول إليه الشيء: رجع. وألت عن الشيء: ارتددت.
- 4- كمن يخطط المعركة وهو على علم تام بكافة الطوارئ والمستجدات التي ستواجه أفراد الجيش، فهو يرسم مختلف الحلول والبدائل لجيشه.

فهو سبحانه يضع منهجاً متكاملًا لشتى أبعاد الحياة البشرية وهو عالم بالعواقب، محيط بالمستجدات، عارف بموقع كل شيء وقدره، فهو يعلم الزمان والمكان والجهات والشرائط المكتتفة بكل حدث وحكم، فمن الطبيعي وجوب إتباع مناهجه ورسله عقلاً.

أما البشر فليس بمقدوره وضع القوانين والمناهج، إذ هم يجهلون كل ذلك، فهم يجهلون خفايا النفس البشرية، ويجهلون خفايا الطبيعة، ويجهلون المستجدات الطارئة، ويجهلون تأثيرات القوانين على الأجيال القادمة، ويجهلون التراحمات والتعارضات، ويجهلون ويجهلون... (1).

قال تعالى: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (2).

فمن يريد حياة سعيدة بهيجة في الدنيا والآخرة لابد له من الإذعان لاختيار الله ومن إتباع مناهج من اصطفاه الله في كل رطب ويابس، قال تعالى: «وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» (3).

وقال سبحانه: «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ» (4).

وقال تعالى: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» (5).

ص: 216

1- راجع موسوعة الفقه: كتاب القانون، للإمام المؤلف (قدس سره).

2- سورة النساء: 115.

3- سورة الأنعام: 59.

4- سورة النساء: 26.

5- سورة النساء: 176.

وقال سبحانه: «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (1).

استحضار إحاطته تعالى

مسألة: يستحب أن يستحضر الإنسان في ذهنه دوماً إحاطة الله سبحانه بكافة أفعاله وأقواله بل حتى خواطره، وقد ورد: «يا عالم الجهر والخبفيات، ويا من لا يخفى عليه خواطر الأوهام وتصرف الخطرات» (2)، وأن يتذكر أن أزمّة الأمور كلها بيده (3)، وأن المقادير جميعاً تعود إليه، كما قال (صلى الله عليه وآله): «إن الله عز وجل قدر المقادير ودبر التدابير» (4).

وقد يجب ذلك.

وياخطر ذلك دوماً في القلب وتأمله في العقل وتكراره باللسان سيحدث للإنسان حالة روحانية وملكة تقربه إلى مراتب الكمال وتجنبه مواطن الزلل والضلال.

التعبد المطلق

مسألة: يجب التعبد المطلق في قبالة تعالى، وكذلك بالنسبة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (عليهم أفضل الصلاة والسلام) حتى فيما جهل وجه الحكمة فيه، فلقد أصبح البعض ينكر - فوراً ودون روية وبلا رجوع لأهل الذكر - أي

ص: 217

1- سورة النور: 59.

2- بحار الأنوار: ج 95 ص 409 ب 30 ضمن ح 1.

3- راجع مفتاح الفلاح: ص 106، وفيه: «وأزمّة الأمور كلها بيدك».

4- بحار الأنوار: ج 5 ص 93 ب 3 ح 12.

حديث يبلغ مسامعه مما لا يفهم وجه العلة فيه، أو مما عارض مرتكزاته الذهنية، فكان مثله كمثل من يرفض نصائح الطبيب الحاذق لأنه لا يفهم وجه العلة، أو لأنه عارض مفهوماً ذهنياً لديه.

فإذا كان الله العالم بمآل الأمور والمحيط بالحوادث والعارف بالمقدرات.. قد اصطفاهم (عليهم السلام) ليكونوا الأدلاء عليه، والمرشدين إلى سعادة البشرية والعالمين بما كان وما يكون وما هو كائن، فكيف ينكر الإنسان حديثاً لمجرد معارضته لما توصل هو إليه، مع ضيق أفقه وقلة علمه وكثرة اشتباهه...؟! (1). ومما يوضح هذا المعنى أكثر: ما ذكره الإمام الصادق (عليه السلام) في بيان أن دية قطع أربع أصابع المرأة تساوي دية إصبعين منها، واستنكار ذلك الرجل قائلاً: إن هذا كان يبلغنا فنبراً ممن قاله ونقول الذي جاء به شيطان! (2).

وقد قال (عليه السلام): «إنما الأمور ثلاثة: أمر بين رشده فيتبع، وأمر بين غيّه فيجتنب، وأمر مشكل يردّ علمه إلى الله وإلى رسوله» (3).

ص: 218

1- ونرى العلامة المجلسي (قدس سره) عند ما ذكر رواية في كتاب (السماء والعالم) عن الإمام الصادق (عليه السلام) تنفي ما أجمع عليه الفلكيون منذ زمن بطليموس من كون الأرض هي المركز، وكون الأفلاك محيطة بالأرض كقشور البصل، فلم يرد المجلسي (قدس سره) الرواية رغم مخالفتها لعلم الهيئة ذلك الزمن، بل أرجع علمها إلى أهلها (عليهم السلام)، والآن قد ثبت صحة الرواية وخطأ علم الهيئة السابقة المتسالم عليه بين كافة علماء تلك الأعصار ولألوف السنين، وقد اعتبر السيد هبة الدين الشهرستاني (قدس سره) في كتابه القيم (الهيئة والإسلام) هذا الموقف من العلامة المجلسي (قدس سره) دليلاً على عظمته وسمو روحه.

2- راجع الكافي: ج 7 ص 299-300 باب الرجل يقتل المرأة والمرأة تقتل الرجل ح 6.

3- تهذيب الأحكام: ج 6 ص 302 ب 92 ح 52.

إتمام الأمر

مسألة: ينبغي للإنسان أن يتم كل أمر بدأ، وأن يتقنه، تخلقاً بأخلاقه تعالى (1)، ولقوله (صلى الله عليه وآله): «رحم الله امرئ عمل عملاً فأتقنه» (2).

والإتمام والإتقان شامل للكمّ المنفصل والمتصل، ومنه الاستمرار زمنياً، وللكيف، ولسائر الجهات، فتأمل.

و«ابتنعه إتماماً لأمره» حيث إن أمره تعالى ابتداءً هو التكوين: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (3)، ومنه تكوين الإنسان وغيره ممن وضع عليهم قلم التكليف (4).

و(إتمام الأمر) هو هدايته.

و(الابتعاث) من البعث؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

وبيان آخر: أمره تعالى هو ما سبق من العلل الخمسة المذكورة في كلامها (عليها السلام): «تثبيتاً لحكمته وتنبهياً على طاعته و...» فبيعه النبي (صلى الله عليه وآله) يتم التثبيت

ص: 219

1- إشارة إلى قوله (عليه السلام): «تخلقوا بأخلاق الله»، بحار الأنوار: ج 58 ص 129 ب 42 تميم.

2- راجع وسائل الشيعة: ج 3 ص 230 ب 60 ح 3484، وفيه: «ولكن الله يجب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه».

3- سورة يس: 82.

4- كالجن قال سبحانه: «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهِينَ» سورة الجن: 1-2 - ومخلوقات أخرى لا نعرفها، قال تعالى: «وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» سورة الإسراء: 70.

للحكمة والتنبية على الطاعة وإظهار القدرة وتعبد البرية وإعزاز الدعوة وإتمام الأمر وهو مقتضى الحكمة، وعدمه نقض للغرض ولو في الجملة.

وبمعرفة ذلك يتضح السر في قوله تعالى في الحديث القدسي: «يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي (عليه السلام) لما خلقتك، ولولا فاطمة (عليها السلام) لما خلقتكما»(1).

وقولها (عليها السلام): «إتماماً لأمره» يصلح للاستدلال به على ضرورة الإمامة والوصاية، نظراً لأن بعثته (صلى الله عليه وآله) لا يكمل الغرض منها ولا يتم الأمر إلا بذلك، ولذلك قال تعالى في يوم الغدير - يوم نصب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) خليفةً من بعده -:

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً»(2).

ويمكن الاستناد للجملتين اللاحقتين بضميمة.

ص: 220

1- عوالم العلوم: ج 1 ص 26 ب 3 ح 1، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام).

2- سورة المائدة: 5.

تنفيذ حكمه تعالى

مسألة: يجب إمضاء حكمه تعالى وتنفيذه، ولا يجوز العدول عن أحكامه، قال سبحانه: «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» (1). وقال تعالى: «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (2). وقال سبحانه: «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (3).

«وعزيمة»: أي تصميماً (4) على تنفيذ حكمه بالخلق والهداية، فقد بعثه (صلى الله عليه وآله) لأجل أنه عزم على إمضاء ذلك الحكم وتحقيقه في الخارج.

التقدير الإلهي الحتمي

مسألة: من اللازم الاعتقاد بالقضاء والقدر الإلهي (5)، وتفصيل الكلام في علم الكلام.

وهذا لا ينافي اختيار الإنسان وقدرته؛ لأنه تعالى قدر ذلك كما سيأتي.

ص: 221

1- سورة المائدة: 44.

2- سورة المائدة: 45.

3- سورة المائدة: 47.

4- عزمت على أمر: إذا أردت فعله وقطعت عليه، والعزم: ما عقدت عليه قلبك أنه فاعله. راجع لسان العرب: ج 12 ص 399 مادة عزم.

5- راجع بحار الأنوار: ج 5 ص 84 ب 3.

.....
قولها (عليها السلام): «لمقادير حتمه» أي لمقادير الحتمية(1) أو ما حتم.

والحتم بعد الحكم، فالثلاثة كما يقال في الإنسان: من الشوق والإرادة والتنفيذ، كتحرريك العضلات - مثلاً - وهنا: حكم فعزم(2) فحتم، إذ قد يكون الحكم غير حتمي، أي لم يصل إلى العلية التامة، والبحث في هذا المقام مضطرب الآراء طويل الذيل نتركه لمظانه.

هذا ومن الواضح أن من مقاديره الحتمية قدرة الإنسان واختياره، قال تعالى: «وَهَدَيْنَاهُ

النَّجْدَيْنِ»(3)، وقال سبحانه: «فَأَلْهَمَهَا

فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا»(4)، فالجمع بين ذا وبين علمه بمآل الأمور وإرادته إتمام الأمر وشبهه هو إرساله هذا الرسول (صلى الله عليه وآله) ليكون حجة ودليلاً - وهادياً، ذائداً لعباده عن نعمته، حائشاً لهم إلى جنته، قال تعالى: «رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى»(5)، وهدايته بالعقل والشرع والفتوة والغريزة وما أشبه.

وأخيراً ينبغي الإشارة إلى أنه ينبغي للمؤمن أن يكون ذا عزيمة وإصرار على إحقاق الحق وإبطال الباطل، فإن شر ما يصيب الفرد أو الأمة الوهن والتردد عند مواجهة الصعاب والعقبات التي تعترض طريق المصلحين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

ص: 222

1- من باب إضافة الموصوف للصفة.

2- على إمضاء ذلك الحكم.

3- سورة البلد: 10.

4- سورة الشمس: 8.

5- سورة طه: 50.

قال علي (عليه السلام): «يا أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلعة من يسلكه»⁽¹⁾، فكل ما حكم به الله، على الإنسان أن يجد لتحقيقه، فإنه سير في طريق الهدف الذي توخاه الله من الخلقة.

وقد ذكر في القرآن الكريم على سبيل المدح كلمة (العزم)، قال سبحانه:

«لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»⁽²⁾.

وعبر عن بعض الأنبياء (عليهم السلام) ب: «أولوا العزم من الرُّسل»⁽³⁾.

إلى غير ذلك.

ص: 223

1- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 194 ب 4 ح 13858.

2- سورة آل عمران: 186.

3- سورة الأحقاف: 35.

الفرق عن الحق

مسألة: يحرم الفرق عن الحق، فقد قال سبحانه: «وَأَعْتَصِمُوا

بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا»(1)، وقال (صلى الله عليه وآله): «علي مع الحق، والحق مع علي، يدور معه حيثما دار»(2) إلى غير ذلك.

وقد ورد فى تفسير الآية(3) : «إن الله تبارك وتعالى علم أنهم سيفترقون بعد نبىهم ويختلفون، فنهاهم عن الفرق كما نهى من كان قبلهم، فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمد (عليهم السلام) ولا يفرقوا»(4).

ويمكن الاستدلال له بأية: «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ»(5)، وبدليل العقل الآتى على ذلك وعلى حرمة النزاع والاختلاف بما هو هو فى الجملة، أى فىما إذا سبب ما لا يجوز من الفشل وذهاب الريح.

وهل يحرم النزاع إذا كان أحد الطرفين أو الأطراف ذا حق شخصى أو شبهه؟ الظاهر عدم ذلك بالنسبة إلى المحق، خاصة إذا كان ضرر التخلى عن حقه أكثر من ضرر النزاع، أما إذا انعكس الأمر كما لو تنازعا فى دين أو شبهه من الحقوق فقد يؤدى النزاع - لو لم يتخل ذو الحق عن حقه - إلى سفك الدماء

ص: 224

1- سورة آل عمران: 103.

2- شرح نهج البلاغة: ج 18 ص 72.

3- قوله تعالى: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا» سورة آل عمران: 103.

4- بحار الأنوار: ج 36 ص 20 ب 27 ح 14.

5- سورة الأنفال: 46.

وشبهه، أو إلى ذهاب الريح بدرجة تكون خسارتها أعظم مما يذهب من حقه الحالي، فالمسألة حينئذ تكون من كلي (الأهم والمهم)، ثم إن الآية تشمل المنازع غير المحق مطلقاً.

هذا بالإضافة إلى دلالة العقل على أن الاجتماع قوة، والتفرقة ضعف، وسر تقدم وتحطم الأمم هو ذلك، فإذا اجتمعت على الحق سلمت وسعدت دنياً وأخرى، وإلا فلا.

كما يدل العقل أيضاً على أن الحق في كل مجال واحد لا يتعدد - اللهم إلا في مصاديق الكلي الواحد(1) - فمن خالف هذا الواحد كان باطلاً، فاللازم البحث والفحص والاستدلال حتى ينتهي الجميع إلى الواقع.

وفي الحديث عن علي (عليه السلام)، قال:

«سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إن أمة موسى (عليه السلام) افرقت بعده على إحدى وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية وسبعون في النار. وافرقت أمة عيسى (عليه السلام) بعده على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية وإحدى وسبعون في النار، وإن أمتي ستفترق بعدي على ثلاثة وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية واثنان وسبعون في النار»(2).

ص: 225

1- كأداء الدين بدفع مال أو شيك أو بضاعة فيما إذا لم يكن شرط أحدهما ولو ضمناً أو ارتكازاً، أو كالسفر للحج بالطائرة أو السيارة أو السفينة أو ماشياً، وكالصلاة في أول الوقت أو ما بعده في الموسع، في هذا المكان أو غيره مما يجتمع فيه الشرائط، وكدفع الصدقة لهذا الفقير أو ذاك وهكذا.

2- بحار الأنوار: ج 28 ص 4 ب 1 ح 3.

.....
وفي بعض الروايات عنه (عليه السلام) قال في آخره: «فقلت: يا رسول الله وما الناجية؟». فقال (صلى الله عليه وآله): المتمسك بما أنت عليه وأصحابك» (1).

نعم في صورة اختلاف الاجتهادات في الفروع الشرعية وعدم تيسر وصول الجميع للحق فيها يأتي ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «للمصيب أجران وللمخطئ أجر» (2).

فإن المصيب له أجر إصابة الواقع وأجر البحث والفحص، أما المخطئ - والمقصود به من لم يقصر في المقدمات بل يحاول جاداً الوصول إلى الحق إلا أنه لم يصب قصوراً - فله أجر البحث والفحص فقط، وهذا الحديث عقلي قبل أن يكون شرعياً.

قولها (عليها السلام): «فرقاً» أي ليست لهم وحدة في الدين، الأعم من الأصول والفروع.

الفحص عن حال الأمم

مسألة: يجب التفحص عن حال الأمم الأخرى ومعرفة انحرافات الفكرية والعملية وجوباً كفاً مقدماتاً للإرشاد والإصلاح، وهو ما يحقق في الجملة الأهداف المذكورة في كلماتها (عليها السلام) هذا، والكلام في وجوب الفحص عن الموضوعات مفصل ذكرناه في محله.

ص: 226

1- نهج الحق: ص 331 تألم علي (عليه السلام) من الصحابة.

2- راجع الصراط المستقيم: ج 3 ص 236 ب 15 فصل، وفيه: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد».

عبادة النيران والأوثان

مسألة: تحرم عبادة النيران وسائر الأوثان بما هي هي، أو بدعوى أنها تقرب الإنسان إلى الله زلفى، كما ورد في القرآن عن لسان المشركين قال تعالى: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» (1).

فإن عبادة غير الله سبحانه وتعالى محرمة (2) سواء كان ذلك الغير بشراً أو حيواناً كالبقرة، أو نباتاً كالشجر، أو جماداً كالحجر والنار والماء، فإن كثيراً من هذه العبادات لا تزال موجودة في بعض البلاد كالهند والصين ونحوهما.

بل إن الكثير من الناس يعبدون ويطيعون أهوائهم من دون الله، كما قال تعالى: «أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» (3) وإطلاق كلامها (عليها السلام) يشملها، وربما يقال بأن الانصراف وبعض القرائن المقامية قد لا تسمح بذلك، فتأمل.

كما يمكن التعميم - توسعة مجازاً أو ملاكاً - بإرادة نيران العداوة والبغضاء لايحيدون عنها إلى الألفة والاجتماع والتعقل والصلاح.

ولا فرق في حرمة عبادة النار والوثن بين مختلف أنواع ما يطلق عليه عبادة عرفاً، كالصلاة والركوع والسجود وتقديم القربان وما أشبه ذلك، كما لا يجوز إذا قصد العبادة ولو بما لا يعد عرفاً عبادة، أما صنع المجسمات والمعاملة عليها لا للعبادة فالظاهر جواز ذلك؛ لأن الأدلة منصرفة إلى ما كان المقصود منها العبادة

ص: 227

1- سورة الزمر: 3.

2- قال تعالى: «وَالرَّجْزَ فَاهُجْرًا» - سورة المدثر: 5 - أي عبادة الأوثان، كما في بعض التفاسير، راجع متشابه القرآن: ج 2 ص 158 باب فيما يحكم عليه الفقهاء.

3- سورة الفرقان: 43.

وقد يكون السبب في تركيز السيدة الزهراء (عليها السلام) على هذا الانحراف العقائدي في المعبود أن عبادة النيران والأوثان - وهي كما قال تعالى: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْ نَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً»(2)- يكشف عن الجهل بأكثر الحقائق بداهة وبأكبر الكمالات وأعظمها، بل الجهل بالكمال المطلق. وذلك إضافة إلى كونه نقصاً(3) يعد من أهم عوامل الجمود الفكري والتخلف الحضاري والعلمي، إذ الفرق واضح بين من إلهه مظهر الفقر والجهل والعجز، ومن إلهه مظهر الكمال والغنى والعلم المطلق، وذلك كمن يتخذ مقتداه وإمامه شخصاً سفيهاً أو حكيماً، مستبداً أو استشارياً، قاسياً أو رحيماً، فإن هذا الاتخاذ يؤثر بقدر وإن كان الفرد بطبيعته أو بتربيته الاجتماعية من نمط آخر. قال تعالى: «إِنَّ الشُّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»(4) فهو ظلم للإنسان نفسه ولمجتمعهم كما هو ظلم لعقله ولفطرته ووجدانه.

ص: 228

1- راجع موسوعة الفقه: كتاب المكاسب المحرمة ج 1-2.

2- سورة الفرقان: 3.

3- إذا كان جهل الإنسان بالرياضيات والهندسة أو بقواعد علم النفس أو السياسة أو الاقتصاد وشبهها يعد نقصاً، فما بالك بالجاهل جهلاً مركباً بها كمن يتصور أن اثنين زائداً اثنين يساوي ثلاثة مثلاً، والأمر في من يتصور الخالق الرازق العالم المطلق هو تلك الأوثان الجاهلة العاجزة أسوأ والنقص فيه أعظم. وإذا كان الجهل بأسماء كبار الشخصيات العالمية والعلمية كالجهل بمكتشف القوة الجاذبية وبمخترع المصباح الكهربائي وشبهه نقصاً، فما بالك بالجهل بخالق الجاذبية والكهرباء وبخالق أديسون ونيوتن، وبخالق هذا الإنسان نفسه، وهكذا.

4- سورة لقمان: 13.

إنكار الله رغم معرفته

مسألة: يحرم إنكاره جل وعلا، سواء كان بإنكار أصل وجوده، أم وحدانيته، أم بعض صفاته الثبوتية أو السلبية، كما: «قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ» (1)، وكقول النصارى بأن له ولداً، قال تعالى: «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا» (2).

وكالقول بالحلول والاتحاد والجبر وما أشبه ذلك، فلقد كانت الأمم حين بعثته (صلى الله عليه وآله) فرقا كل واحدة منها تنكر شيئاً من ذلك، فهي «منكرة لله مع عرفانها» بالحقيقة، والمراد إما المعرفة الفطرية أو البرهانية.

أما من لا يعرفه جل وعلا - لشبهة مثلاً - فالواجب عليه الفحص والبحث وجوباً عقلياً قبل أن يكون شرعياً في بعض الموارد (3)؛ وذلك لاحتمال الضرر العظيم في الدنيا والآخرة، ودفع الضرر المحتمل في الأمور الخطيرة واجب عقلاً، كمن يحتمل احتمالاً عقلياً أن يكون في الطريق سبع أو لص يقتله أو ما أشبهه

ص: 229

1- سورة المائدة: 64.

2- سورة مريم: 88-92.

3- إشارة إلى أن الوجوب الشرعي قد يتأتى في غير المنكر لأصل وجوده تعالى كالمنكر لصفاته مثلاً.

ذلك، فإن العقلاء يردعونه عن سلوك هذا الطريق. قال: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»(1).

ومعنى الإنكار مع العرفان ما ذكر في قوله سبحانه: «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا»(2)..

وقوله تعالى: «يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ»(3)..

حيث إن كثيراً من المشركين كانوا يعرفون الله سبحانه وتعالى لكنهم كانوا تقليداً لأبائهم يعبدون الأصنام..

وقد أشير في القرآن الحكيم إلى هذا المطلب كراراً(4) فهم كما قال تعالى: «وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ»(5).

فإن المعرفة إذا لم تكن موضع العمل يسري الإنكار إلى السلوك لساناً وعملاً، بل وقلباً - بنائياً - أيضاً، فهم يعرفون علماً وينكرون عقداً قلبياً.

ص: 230

1- وسائل الشيعة: ج26 ص14 ب1 ح32382.

2- سورة النحل: 83.

3- سورة البقرة: 146، سورة الأنعام: 20.

4- سورة المائدة: 104، سورة يونس: 78، سورة الشعراء: 74، سورة لقمان: 21، سورة الزخرف: 22، و...

5- سورة النمل: 14.

إنارة الظلم

مسألة: لقد كان (صلى الله عليه وآله) شمساً مضيئة في أفق البشرية - بل كل العوالم الإمكانية - فقد كان ولا يزال هو (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وسائط الفيض بين الخالق جل وعلا وبين كافة المخلوقات، كما ورد: «بيمنه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء»⁽¹⁾.

فمن الواجب السعي - عبر الكتب والمجلات والإذاعات وغيرها - لتوضيح الإشراقات الإلهية التي تجلت عبره (صلى الله عليه وآله) على البشرية بأجمعها، ودوره (صلى الله عليه وآله) الذي لا يضارع في إضاءة طرق الهداية، بل في الكشف عن مختلف الحقائق الدينية والدينيوية في شتى الحقول، وما له (صلى الله عليه وآله) من الفضل على الإنسانية في الأبعاد الحقوقية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها، وفيأبعاد العلوم الوضعية أيضاً⁽²⁾.

المصباح المنير

مسألة: يستحب - ويجب في موارد - تأسيماً به (صلى الله عليه وآله) وتخلقاً بأخلاق الله تعالى⁽³⁾، وللدليل العقل أيضاً: أن يكون الإنسان كالمصباح المنير للمجتمع، ينير لهم سبل الرشاد، وفي كل حقل كيفما تمكن.

ص: 231

- 1- الدعاء والزيارة للإمام المؤلف (قدس سره): ص 272 ف 1 دعاء العديلة.
- 2- راجع كتاب ولأول مرة في تاريخ العالم: ج 1-2 للإمام المؤلف (قدس سره).
- 3- لما ورد من «تخلقوا بأخلاق الله» بحار الأنوار: ج 58 ص 129 ب 42 تميم.

و(الظلم): جمع الظلمة، وهي قد تكون ظلمة الاعتقادات المخالفة للواقع، وقد تكون ظلمة الأعمال الباطلة، وكما تستر الظلمة الحقائق العينية الخارجية كذلك يستر الجهل الحقائق الفكرية والاعتقادية ويخفي الخير العملي، فيضيع الحق بين أقسام الباطل ويختلط العمل الصالح بالطالح.

وفي ذينك الموردين الإنارة واجبة وفي غير ذلك مستحبة؛ لأنها نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الجاهل وتنبيه الغافل، و... الشامل للواجب والمستحب والحرام والمكروه كل في مورده.

تفصيل أهداف البعثة

مسألة: ينبغي الاجتهاد⁽¹⁾ نحو البيان التفصيلي للغاية من بعثته (صلى الله عليه وآله) وأهدافها؛ فإن ذلك من العلة المعدّة لاقتراب الناس منها وسوقه نحوها وإرشادهم إليها، ذلك أن الناس لو عرفوا فوائد الشيء ومنافعه تفصيلاً، كانوا أسرع استجابةً وأشد ثباتاً وأقوى اندفاعاً، قال تعالى: «اسْتَجِبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ»⁽²⁾..

وقال (صلى الله عليه وآله): «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁽³⁾..

ص: 232

1- بالمعنى اللغوي وهو استفراغ الوسع. راجع لسان العرب: ج 3 ص 135 مادة جهد، وفيه: والاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود..
والجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء.

2- سورة الأنفال: 24.

3- مستدرک الوسائل: ج 11 ص 187 ب 6 ح 12701.

وقال (صلى الله عليه وآله): «إنما بعثت رحمة»(1).

المقياس في إتباع الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: الملاك لمعرفة من يسير بسيرته (صلى الله عليه وآله) ومن يهتدي بهديه ممن يدعي ذلك ويتظاهر به فقط: مدى إنارته لظلمات الجهل عبر دعوة الناس للتفكير والتدبر وفسح المجال لهم بذلك، وعبر المشورة وفتح باب نقد الحاكم إن أخطأ وما أشبه.

على عكس المستبدين الذين يحرمون قولاً وعملاً، أو عملاً لا قولاً - إغراءً بالجهل وخداعاً للعامة - كل ذلك بسلب الحرية من العلماء والمصلحين والكتاب والمفكرين وبسوق الناس لإطاعة الحاكم إطاعة عمياء، وفي القرآن الكريم:

«وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا»(2).

وكذلك مدى إنقاذه الناس من الغواية والضلالة، أو محاولة إضلالهم أكثر فأكثر بالتدليس والتلبيس والتحريف وما أشبه في عكسه. قال (عليه السلام): «إذا جالستم فجالسوا من يزيد في علمكم منطقته، ويذكركم الله رؤيته، ويرغبكم في الآخرة عمله»(3).

ص: 233

1- الاحتجاج: ج 1 ص 212 احتجاجه (عليه السلام) على اليهود من أحبارهم ممن قرأ الصحف والكتب في معجزات النبي (صلى الله عليه وآله).

2- سورة الأحزاب: 67.

3- إرشاد القلوب: ج 1 ص 77 ب 18.

توضيح المعضلات

مسألة: ينبغي كشف البُهم (1) عن القلوب وجوباً أو استحباباً، كل في مورده.

فالشبهات والمتشابهات والمشتبهات والإبهامات والمعضلات والمجهولات التي يجب على الإنسان الاعتقاد بطرف من أطرافها يلزم كشفها، وفي موارد المستحبات يستحب كشفها.

كما أن الأمر في الأعمال كذلك، فينبغي - بالمعنى الأعم - كشف مجهولاتها وشبهاتها أيضاً، وقد ذكروا في علم الأصول حكم الشبهات الوجودية والتحريمية، البدوية وغيرها، كما ذكروا مسألة الفحص في الأحكام والموضوعات (2).

هذا ولا يخفى مدى أهمية (القلوب) في تبليغ رسالات الله، وأنه ينبغي الاهتمام بها لا بالمظاهر فقط، قال تعالى:

«يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (عليهم السلام) إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (3).

ص: 234

- 1- البُهم بالضم: جمع البهمة وهو المجهول الذي لا يعرف، مجمع البحرين: ج 6 ص 20 مادة بهم.
- 2- راجع (الأصول) و(الوصائل في شرح الرسائل) للإمام المؤلف (قدس سره).
- 3- سورة الشعراء: 89.

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم»⁽¹⁾.

وقال الصادق (عليه السلام): «بيننا موسى بن عمران (عليه السلام) يعظ أصحابه إذ قام رجل فشق قميصه، فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى، قل له: لا تشق قميصك ولكن اشرح لي عن صدرك»⁽²⁾.

ص: 235

1- جامع الأخبار: ص 100 ف 56.

2- الكافي: ج 8 ص 129 حديث نادر ح 98.

إزاحة الستائر

مسألة: يستحب أو يجب إزاحة الستائر عن البصائر، إذ الظاهر أن المراد بالأبصار البصائر؛ لأن ذلك هو الذي قام به الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهو بين واجب ومستحب.

أما هذا العضو الخارجي الذي يبصر به الإنسان فليس الحديث بصدده⁽¹⁾ والله العالم. وإن كان يجب علاج العين فيما إذا عميت أو أصيبت وأمكن علاجها أو يستحب، كل في مورده.

قال علي (عليه السلام): «فقد البصر أهون من فقدان البصيرة»⁽²⁾.

قولها (عليها السلام): «غممها»، الغمة: الستر، ولذا يسمى السحاب الغمام؛ لأنه يستر ما في السماء منالنيرات⁽³⁾، فقد كانت القلوب - قبل الرسول (صلى الله عليه وآله) - جاهلة بالحقائق والأبصار لا ترى الدرب الصحيح نحو الحياة السعيدة.

وربما يقال في الفرق بين المقاطع الثلاثة:

إن المراد ب:

ص: 236

1- وذلك للقرائن المقامية وسياق كلامها (عليها السلام).

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 41 ق 1 ب 1 ف 1 ح 5.

3- وفي لسان العرب: ج 12 ص 444 مادة غمم: الغمام: الغيم الأبيض، وإنما سمي غماماً لأنه يغم السماء أي يسترها.

فأنار الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآله) ظلمها»، أي المجهولات المطلقة.

و«كشف عن القلوب بهمها»: المشابهات والمشتبهات.

و«جلى عن الأبصار غمها»: المجهولات بالعرض الساتر (1).

أو يقال: المراد بالظلم: ظلم العقيدة، وبالبهيم: ما يتعلق بها (2)، وبالغمم: كل ما يرتبط بمسيرة الحياة (3).

أو يقال: الظلم ما يتعلق بمدركات القوة المتعلقة (4)، والبهيم: ما يتعلق بالقوة المتوهمة (5)، والغمم: ما يتعلق بالقوة المتخيلة والحواس.

والله العالم.

ويحتمل أن تكون الجمل من باب التفنن في التعبير، فتأمل.

ص: 237

-
- 1- كالفطريات المستورة كما ورد: «ويثيروا لهم دفائن العقول»، نهج البلاغة، الخطب: 1، ومن خطبة له (عليه السلام) يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم (عليه السلام).
 - 2- كتفاصيل المعاد والحشر والنشر وتفاصيل الخلقة وشبه ذلك.
 - 3- كالسلوك والمعاشرة والعادات والتقاليد وسائر مناهج الحياة اليومية والعملية.
 - 4- أي: الكليات.
 - 5- كالحب والبغض والخوف والرجاء والحسد... الخ.

الهداية العملية

مسألة: هداية الناس إلى الواجب واجبة، وهدايتهم إلى المستحبات مستحبة، وكذلك في عكس الأمرين المحرمات والمكروهات (1).
أما الهداية إلى المباحات فمستحبة أيضاً، حيث إن المباحات أحكام الله سبحانه وتعالى، وبيان أحكام الله وهداية الناس إليها بين واجب ومستحب.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم» (2).
وفي بعض الروايات: «خير لك مما طلعت عليه الشمس» (3).

وفي بعضها: «خير لك من الدنيا وما فيها» (4).

قولها (عليها السلام): «في الهداية»، أي إلى العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة والشريعة القويمة.

ويمكن القول بأن الجمل الثلاثة السابقة كانت تشير إلى الجانب النظري - الفكري والاعتقادي - وهذه تشير إلى الهداية العملية، فقد قام (صلى الله عليه وآله) عملياً بهداية الناس نحو ما يصلح دنياهم وأخراهم، فأوجد فيهم روح الجهاد والأمر

ص: 238

1- فالهداية لمعرفة المحرمات واجبة، ومعرفة المكروهات مستحبة وقد تجب أيضاً.

2- بحار الأنوار: ج 21 ص 3 ب 22.

3- الكافي: ج 5 ص 28 باب وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) في السرايا ح 4.

4- بحار الأنوار: ج 1 ص 184 ب 1 ح 99.

بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر والمصابرة والمرابطة والتوكل على الله والتواضع والأخوة والحرية والشورى وما أشبه.

كما طبق (صلى الله عليه وآله) فيهم عملياً مناهج الإسلام الحيوية في مجالات: الاقتصاد، الزراعة، السياسة، الحكم، الحقوق الفردية والاجتماعية، وما أشبه(1). ومن الواجب علينا أن نحذو حذوه في كل ذلك، كالقيام بالهداية إلى العقيدة عملياً، بمعنى توفير المقومات والأجواء اللازمة التي تسوق الناس للاعتقاد السليم، وللمحافظة عليه(2).

ص: 239

-
- 1- يراجع حول تلك العناوين الكتب التالية للإمام المؤلف (قدس سره) من موسوعة (الفقه): الحقوق، السياسة، الاقتصاد، الاجتماع، وكذلك (ولأول مرة في تاريخ العالم: ج 1-2)، (من أوليات الدولة الإسلامية)، (حكومة الرسول (صلى الله عليه وآله) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام))، وكذلك (السياسة من واقع الإسلام) للمرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دامه ظله).
 - 2- مثلاً قام (صلى الله عليه وآله) ببناء خمسين مسجداً في المدينة وحولها، ونصب أئمة الجماعة من الرجال والنساء - كأم ورقة - للعديد منها، وعيّن من يعلم القرآن الكريم، وهكذا.

الإنقاذ من الغواية

مسألة: يستحب أو يجب إنقاذ الناس من الغواية، بأي المعنيين فسرت(1)، تأسياً وإقتداءً به (صلى الله عليه وآله) حيث أنقذهم من الغواية(2) التي كانوا فيها، والضلالة الفكرية والاجتماعية والسياسية وغيرها والتحارب والفقر وما أشبه(3).

قال علي (عليه السلام): «في طاعة الهوى كل الغواية»(4).

والفاء للتفريع فقد «قام في الناس بالهداية» (ف) «أنقذهم من الغواية».

وفي بعض النسخ «وأنقذهم» والواو تقييد مطلق الجمع وهي لا تدل على الترتيب أو التفريع لكنها لا تنفيها أيضاً(5).

ومن المعلوم أن الهداية غير الإنقاذ؛ فإن الهداية: إراءة الطريق. والإنقاذ: الأخذ بيد الناس حتى الوصول إلى الهدف. فقد يقول المصلح للناس: (زوّجوا

ص: 240

- 1- إذ لها معنيان كما سيأتي منه (قدس سره).
- 2- الغي: الضلالة والخيبة، وغوى يغوي: انهمك في الجهل وهو خلاف الرشد، - مجمع البحرين: ج 1 ص 322 مادة غوي - وفي لسان العرب: ج 15 ص 140 مادة غوي: الغي: الضلال والخيبة.
- 3- كواد البنات وأكل الحشرات وشبه ذلك مما ستأتي الإشارة إليه في كلماتها (عليها السلام) اللاحقة.
- 4- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 115 ب 81 ضمن ح 13668.
- 5- راجع (الألفية) لابن مالك وشروحها. وقد مر من الإمام المؤلف (قدس سره) احتمال أن تقييد الوار الترتيب ولو بمعونة بعض القرائن.

أولادكم مبكراً) وقد يهيا أسباب الزواج ومقوماته حتى يتم.

فهذه الجملة إشارة للهداية بالمعنى الثاني(1).

وقد تكون الهداية زيادة عن الإنقاذ عن الغواية؛ لأن بينهما واسطة، قال تعالى: «وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ»(2).

التبصير من العماية

مسألة: يستحب أو يجب تبصير الناس من العماية، عماية القلب والبصيرة والعمي في السلوك العملي للإنسان؛ لأن من لا يرى الحقائق هو أعمى، تشبيهاً للمعقول بالمحسوس، قال (عليه السلام): «شر العمى عمى القلب»(3).

ويمكن إرادتها (عليها السلام) من «الغواية»: الخيبة(4) فتكون غير العماية التي فسرت بالضلالة، ولو فسرت الغواية بالضلالة كانت الجملة الثانية من مصاديق الجملة الأولى(5) إذ الإنقاذ في كل شيء بحسبه(6).

ص: 241

1- المعنى الأول للهداية: إراءة الطريق، والمعنى الثاني: الإيصال للمطلوب.

2- سورة هود: 34.

3- من لا يحضره الفقيه: ج4 ص403 ومن ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الموجزة التي لم يسبق إليها ح5868.

4- الخيبة: الخسران والحرمان. راجع لسان العرب: ج1 ص368 مادة خيب، وفيه: الخيبة: الحرمان والخسران... وخاب إذا خسر.

5- الجملة الأولى: «أنقذهم من الغواية»، والثانية: «بصرهم من العماية».

6- فالإنقاذ من الضلالة تارة يكون بمجرد أن يبصر الإنسان الضال، وتارة يكون بأكثر من ذلك.

الهداية للدين القويم

مسألة: من اللازم علينا أن نتأسى به (صلى الله عليه وآله) في العمل لأجل الدين القويم كما ورد في الحديث: «فتأس متأس بنبيه... وإلا فلا يأمن الهلكة»⁽¹⁾.

و«القويم» أي العدل المستقيم الذي له قوام وواقعية، لا- ذلك الذي في ظاهره بريق لكنه خلو عن الحق والحقيقة فهو ك: «خُشِبُ مُسَنَدَةٌ»⁽²⁾، أو: «كَرْمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ»⁽³⁾، أو: «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً»⁽⁴⁾، وهذا مما يفرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال.

ولقد بذل (صلى الله عليه وآله) كل جهد وأتعب نفسه الشريفة أشد التعب لهداية الناس إلى الدين القويم حتى ينزل فيه قوله تعالى: «طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى»⁽⁵⁾.

ثم إن العمل لأجل الدين القويم حتى يتخذ الناس ذلك منهجاً وطريقاً، بين واجب ومستحب، كل في مورده، مثل افتتاح المدارس وتأسيس المساجد وتجهيز الجيوش وتنظيم المنظمات وغير ذلك، كل حسب الزمان والمكان والجهات المناسبة.

ص: 242

1- نهج البلاغة، الخطب: 160 ومن خطبة له (عليه السلام).

2- سورة المنافقون: 4.

3- سورة إبراهيم: 18.

4- سورة الرعد: 17.

5- سورة طه: 1-3.

انتهاج الطريق المستقيم

مسألة: ينبغي (1) الدعوة إلى الطريق المستقيم (2) وانتهاجه للوصول إلى المقاصد السامية، فإن العمل لأجل الوصول إلى الهدف، قد يكون بسبب طريق مستقيم وهو الصحيح، وقد يكون بطريق منحرف، أو بطريق متعرج وكلاهما خطأ.

فإن الأول: لا يوصل إلى الهدف وهونوع من الضلالة، إضافة إلى أنه يسبب المشاكل والصعوبات.

والثاني: يستلزم مئونة زائدة وطول الطريق والتعب والنصب.

مثلاً: من يريد الذهاب إلى النجف الأشرف من كربلاء المقدسة، فقد يذهب إلى بغداد ثم إلى الحلة ثم إلى النجف الأشرف، وقد يذهب من كربلاء المقدسة إلى النجف الأشرف بخط مستقيم. كما أنه قد يذهب بسيارة أو بأموال مغصوبة، وقد يذهب بطرق محللة شرعية.

ورسول الله (صلى الله عليه وآله) عمل لأجل الدين القويم والصراط المستقيم عبر الطريق المستقيم بكلام المعنيين، وهكذا يجب أو يستحب مثل ذلك، كل في مورده كما ذكرناه سابقاً.

ص: 243

1- أي يجب أو يستحب كل في مورده.

2- الاستقامة: الاعتدال والاسواء، واستقام الشعر: اتزن - راجع لسان العرب: ج 12 ص 499 مادة قوم -.

قال تعالى: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»(1).

و: «لا يطاع الله من حيث يعصى».

فهذه الجملة منها (صلوات الله عليها) ترد مقولة: (الغاية تبرر الوسيلة)، كما أنها تشير إلى أقرب الطرق للنصر والتقدم.

فالتقوى من الله، والزهد في ملذات الحياة، والصبر على الأذى، والتوكل على الله تعالى، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وإعطاء الخمس والزكاة، والعمل بأوامر تعالى من الحرية، والأخوة والشورى، وما أشبهه، هي أسلم وأقرب الطرق لبناء أمة متكاملة وحضارة راقية، ولضمان سعادة الدنيا والأخرى وللانتصار على العدو، وللحيلولة دون الظلم والطغيان، قال تعالى: «وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَأَيُّضًا كَيْدُهُمْ شَيْئاً»(2). وقال سبحانه: «وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقاً»(3).

وقال تعالى: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا»(4).

وقال (عليه السلام): «جاهدوا تورثوا أبناءكم عزاً»(5).

ص: 244

1- سورة المائدة: 27.

2- سورة آل عمران: 120.

3- سورة الجن: 16.

4- سورة الطلاق: 23.

5- راجع وسائل الشيعة: ج 15 ص 15 ب 1 ح 19916، وفيه عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «اغزوا تورثوا أبناءكم مجداً».

وقال (عليه السلام): «لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»(1).

علي (عليه السلام) هو الصراط المستقيم

ثم لا يخفى أن الطريق والصراط المستقيم في قوله تعالى: «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»(2) قد فسّر بولاية علي أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)، فيكون المراد حينئذ: من قولها (عليها السلام): «هداهم إلى الدين القويم» دين الإسلام.

ومن قولها: «ودعاهم إلى الصراط المستقيم» ولاية علي وذريته (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

وقالت (عليها السلام) بعد ذلك: «ثم قبضه الله إليه» أي بعد ما أمر (صلى الله عليه وآله) بالإسلام وبولاية علي (عليه السلام) حيث كمل الدين وتمت النعمة قبضه تعالى.

قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»(3).

فعن ابن عباس قال: كان رسول الله يحكم وعلي (عليه السلام) بين يديه مقابله، ورجل عن يمينه ورجل عن شماله، فقال: «اليمين والشمال مضلة والطريق المستوي الجادة - ثم أشار (صلى الله عليه وآله) بيده - وإن هذا صراط علي مستقيم فاتبعوه»(4).

ص: 245

1- الكافي: ج 5 ص 56 باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح 3.

2- سورة الفاتحة: 6.

3- سورة المائدة: 3.

4- بحار الأنوار: ج 35 ص 366 ب 16 ضمن ح 6.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في يوم الغدير: «معاشر الناس أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم بإتباعه، ثم علي (عليه السلام) من بعدي، ثم ولدي من صلبه أئمة (عليهم السلام) يهدون إلى الحق وبه يعدلون - ثم قرأ - «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (1) إلى آخرها، وقال (صلى الله عليه وآله) - في نزلت وفيهم نزلت» (2). وعن علي (عليه السلام) قال: «أنا صراط الله المستقيم وعروته الوثقى» (3).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) - في قول الله عزوجل: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» (4) الآية - قال: «شيعة علي الذين أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يغضب عليهم ولم يضلوا» (5).

وعن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «أوحى الله إلى نبيه (صلى الله عليه وآله): «فَأَسَدٌ تَمْسِكُ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (6)، قال: إنك على ولاية علي (عليه السلام)، وعلي (عليه السلام) هو الصراط المستقيم» (7).

ص: 246

- 1- سورة الفاتحة.
- 2- العدد القوية: ص 177 خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) يوم غدير خم.
- 3- تصحيح الاعتقاد: ص 108 فصل في الصراط.
- 4- سورة الفاتحة: 7.
- 5- تفسير فرات الكوفي: ص 51-52 ومن سورة فاتحة الكتاب ح 10.
- 6- سورة الزخرف: 43.
- 7- الكافي: ج 1 ص 416-417 باب فيه نكت ومنتف من التنزيل في الولاية ح 24.

إنك ميت

مسألة: لا يجوز القول بأنه (صلى الله عليه وآله) لم يمت، كما قال بعض عند ارتحاله (1).

قال تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (2).

وقال سبحانه: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» (3).

نعم، إنه لا فرق بين حياتهم وموتهم (عليهم السلام) كما ورد: «أشهد أنك حي شهيد ترزق عند ربك» (4).

رأفة الله برسوله (صلى الله عليه وآله) واختياره

«قبض رأفة» ربما يكون المراد منه: القبض لإرادة الرأفة به (صلى الله عليه وآله) في تلك الدار، وربما يكون المراد به قبضاً رؤوفياً، أي: قبضاً سهلاً مقترناً برأفته ولطفه تعالى، في قبض أرواح العصاة والمردة وأشباههم حيث يقبضهم قبض غضب (5).

ص: 247

1- راجع شرح نهج البلاغة: ج 10 ص 184 ذكر خبر موت الرسول (صلى الله عليه وآله)، وفيه: (وقد اختلف الرواية في موته (صلى الله عليه وآله)، فأنكر عمر ذلك وقال: إنه لم يمت وأنه غاب وسيعود. فثناه أبو بكر عن هذا القول وتلا عليه الآيات المتضمنة أنه سيموت، فرجع إلى قوله).

2- سورة الزمر: 30.

3- سورة آل عمران: 185، سورة الأنبياء: 35، سورة العنكبوت: 57.

4- بحار الأنوار: ج 98 ص 171 ب 18 ح 22.

5- فالمراد: قبضه قبضاً يؤول إلى الرأفة، أو قبضاً مع رأفة، أو قبضاً هو عين الرأفة.

أو المراد قبضاً عن رافة، أي: قبضاً ناشئاً من رافته سبحانه به (صلى الله عليه وآله)، ويكون في قبض القبض برافة أو عن رافة: القبض بغضب أو عن غضب.

التنجب عن القبض بغضب

مسألة: ومن الواجب على الإنسان عقلاً وشرعاً أن يتجنب الابتلاء بذلك⁽¹⁾، ولو تذكر الإنسان دوماً مدى شدة أهوال النزع لما حام حول المعاصي، ولكان دائم الحزن والهَمِّ، بل مبتعداً عما يحتمل أن يوجب سخط الخالق جل وعلا، قال علي (عليه السلام): «من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «أكثروا ذكر الموت؛ فإنه ما أكثر ذكر الموت إنسان إلا زهد في الدنيا»⁽³⁾.

«واختيار»: أي منه (صلى الله عليه وآله) كما في الروايات أنه (صلى الله عليه وآله) اختار لقاء الله سبحانه⁽⁴⁾.

أو اختيار منه تعالى له (صلى الله عليه وآله)، أي: اصطفاء منه له.

أو اختيار من الله بين القبض وعدمه، لا أن أخذه كان من المحتوم عليه سبحانه وتعالى⁽⁵⁾ وعلى هذا فهو كناية عن لطفه تعالى به (صلى الله عليه وآله).

ص: 248

1- أي قبض غضب، على ما فسر.

2- مستدرک الوسائل: ج 2 ص 103 ب 17 ح 1543.

3- بحار الأنوار: ج 79 ص 168 ب 20 ضمن ح 3.

4- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج 2 ص 297 للإمام المؤلف (صلى الله عليه وآله).

5- ربما يكون قولها (عليها السلام): «اختيار» لدفع شبهة الجبر، وقد يكون دفعاً للوجوب العقلي عليه تعالى، فدقق.

رغبته (صلى الله عليه وآله) في لقاء الله تعالى

«ورغبة»، أي: منه (صلى الله عليه وآله) أو من الله تعالى حيث رغب في لقاء حبيبه، والمراد برغبته تعالى الغاية، كما قالوا: (خذ الغايات واترك المبادئ).

«وإيثار»، أي: أثر (صلى الله عليه وآله) لقاءه، أو أثر الله سبحانه لقاءه (صلى الله عليه وآله).

الرغبة في ذلك

مسألة: ومن المستحب أن يربي الإنسان المؤمن نفسه بحيث يكون راغباً في لقائه تعالى مؤثراً لقاءه، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الموت ريحانة المؤمن»⁽¹⁾.

ولا يتيسر ذلك إلا بإطاعته تعالى وتجنب معاصيه، وكذلك بتلقيق النفس والتوسل بالرسول (صلى الله عليه وآله) وآل بيته الأطهار (عليهم السلام) كي يكون مستعداً للموت. قال (عليه السلام): «استعد لسفرك وحصل زادك قبل حلول أجلك»⁽²⁾.

وقيل لأمير المؤمنين (عليه السلام): ما الاستعداد للموت؟ قال: «أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والاشتغال على المكارم، ثم لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه»⁽³⁾.

وإذا أوجد الإنسان في نفسه الرغبة في لقائه تعالى كان ذلك من أسباب احترازه الأكثر عن معاصيه سبحانه، وجديته الأكثر لإطاعته، وسعيه الأكثر لاكتساب مرضاته، ومزيد من القرب منه، فيحس عندئذ بلذة كبرى من مناجاته

ص: 249

1- دعائم الإسلام: ج 1 ص 221 ذكر الأمر بذكر الموت.

2- كفاية الأثر: ص 227 باب ما جاء عن الحسن (عليه السلام) ما يوافق هذه الأخبار.

3- مستدرک الوسائل: ج 2 ص 100-101 ب 17 ح 1534.

.....
وبفرحة عظيمة عند امتثال أوامره، وقد ينال نوعاً من الاطمئنان بأنه تعالى سبق قبضه رافة ورحمة بدرجة أو بأخرى. قال تعالى: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (1)، وقال سبحانه: «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * اذْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتِي» (2).

التذكير بمناقبه (صلى الله عليه وآله)

مسألة: كما أن من المستحب أيضاً تذكير الناس بمناقبه (صلى الله عليه وآله) هذه، وأن الله تعالى قبضه قبض رافة واختيار، ورغبة وإيثار. ولعل من علل إشارتها (عليها السلام) إلى كيفية قبضه تعالى كمدحه (صلى الله عليه وآله)، أن ذلك يشجع الناس على التأسى به (صلى الله عليه وآله) في أعماله ومناهجه.

إضافة إلى أن ذكر هذه المنقبة للرسول (صلى الله عليه وآله) يوجب التفاف الناس حوله أكثر فأكثر، فإن الإنسان إذا عرف - مثلاً - أن فلاناً مقرب إلى الملك الفلاني يلتف حوله أكثر كي يقضي حاجته عند الملك بأحسن وجه، فكيف بالرسول (صلى الله عليه وآله) الذي هو سفير «الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ الْمُؤْمِنِ الْمُهِمِّنِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ الْمُتَكَبِّرِ» (3)، وقد قال سبحانه وتعالى: «وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ» (4). وقد يستفاد أيضاً من كلامها (عليها السلام) استحباب الرافة والرغبة والإيثار، فتأمل.

ص: 250

1- سورة الرعد: 28.

2- سورة الفجر: 27-30.

3- سورة الحشر: 23.

4- سورة المائدة: 35.

تحمل الأذى في سبيل الله

مسألة: يستحب - وربما يجب - تحمل الأذى في سبيل الله جلت عظمتة، تأسيساً بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) .. وعدم الكلل والملل واليأس، وقد قال (صلى الله عليه وآله): «ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت»⁽¹⁾.

وأي أذى أعظم وأشد وأشق من استهزاء المشركين به (صلى الله عليه وآله) وتكذيبهم له، ورميه بالسحر والجنون وما إلى ذلك.

إضافة إلى إيدائه (صلى الله عليه وآله) جسدياً برمي الحجارة والسلا⁽²⁾ وما أشبه⁽³⁾، حتى أنه (صلى الله عليه وآله) كان يطوف فشتمه عقبة بن أبي معيط وألقى عمامته في عنقه وجره من المسجد!⁽⁴⁾.

ص: 251

- 1- المناقب: ج3 ص247 فصل في مساواته يعقوب ويوسف (عليهما السلام).
- 2- وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج6 ص282-283 نسب عمرو بن العاص وطرف من أخباره: إن النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص عهدوا إلى سلى جمل فرفعوه بينهم ووضعوه على رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو ساجد بفناء الكعبة. فسأل عليه فصبر ولم يرفع رأسه، وبكى في سجوده ودعا عليهم، فجاءت ابنته فاطمة (عليها السلام) وهي باكية فاحتضنت ذلك السلا فرفعتة عنه فألقته وقامت على رأسه تبكي. فرفع (صلى الله عليه وآله) رأسه وقال: «اللهم عليك بقريش - قالها ثلاثاً ثم قال رافعاً صوته - إني مظلوم فانتصر»، قالها ثلاثاً، ثم قام ودخل منزله وذلك بعد وفاة عمه أبي طالب (عليه السلام) بشهرين.
- 3- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج1-2 للإمام المؤلف (قدس سره).
- 4- المناقب: ج1 ص57 فصل فيما لاقى من الكفار في رسالته.

ولقد كانت أنواع الإزعاجات الإيذاءات في حد ذاتها وبما هي هي من أشد الإيذاءات وأشقها وأكثرها إيلاًماً، فكيف لو قيست بالنسبة إليه (صلى الله عليه وآله) بما له من مكانة روحية ومعنوية وإلهية سامية جداً، حيث لا أكمل ولا أشرف منه إلا الله تعالى، فإنالفرد كلما كان أكثر كمالاً كان اتهامه بالثهم البذيئة أشق عليه وأقسى كما لا يخفى، ومع كل ذلك تحمل (صلى الله عليه وآله) وصبر، حتى «قبضه الله إليه قبض رآفة واختيار...».

وعلينا التأسي به (صلى الله عليه وآله) ففي الحديث الشريف: «أشد الناس بلاءً: الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل»⁽¹⁾.

وقد قال القرآن الحكيم: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «ويكدح فيها مؤمن حتى يلتقى ربه»⁽³⁾.

وفي الحديث: «أفضل الأعمال أحمرها»⁽⁴⁾.

والمراد الأكثر صعوبة وأتعباً؛ فإن كل ما كثر تعبهُ - بطبيعته - تكون نتائجه الدنيوية والأخرية أفضل وأكثر، حيث قرر سبحانه وتعالى تزايد المصاعب والمتاعب كما وكيفاً كلما كانالهدف والمقصد أعلى مادياً أو معنوياً، فقد «حُفَّت الجنة بالمكاره»⁽⁵⁾.

ص: 252

1- راجع الكافي: ج2 ص252 باب شدة ابتلاء المؤمن ح1.

2- سورة الانشقاق: 6.

3- نهج البلاغة، الخطب: 3، ومن خطبة له (عليه السلام) وهي المعروفة بالشقشقية.

4- مفتاح الفلاح: ص45 ب1.

5- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج1 ص190 بيان ذم الرياء.

.....
قال الشاعر(1):

تريدون لقيان المعالي رخيصة *** ولا بد دون الشهد من إبر النحل

و:

(الجود يفقر والإقدام قتال)(2).

ثم إنه لا منافاة بين «أفضل الأعمال أحمرها»(3) وبين «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ»(4) إذ:

الأول: يفيد تحديد المقياس في قيمة الأعمال، وأن العمل مهما كان أصعب تكون نتائجه أفضل.

والثاني: يفيد عدم عسر الدين وأن الله تعالى قد شرع الأيسر فالأيسر، كما قال (صلى الله عليه وآله): «بعثت بالحنفية السمحة»(5) فهما في موضوعين لا في موضوع واحد حتى يكون بينهما التنافي.

ومن هنا فإن المؤمن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمجاهد في سبيل الله والحافظ لحدود الله، كلما ازدادت متاعبه ومصاعبه، وكلما تزايد الضغط عليه لينثني عن مسيرته، كلما زاده ذلك يقيناً واطمئناناً وعزماً وثباتاً، قال تعالى:

ص: 253

1- أبو الطيب المتنبّي (303-354هـ).

2- صدر البيت: (لولا المشقة ساد الناس كلهم) وهو لأبي الطيب المتنبّي.

3- مفتاح الفلاح: ص 45 ب 1.

4- سورة البقرة: 185.

5- أعلام الدين: ص 191 باب وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر.

«الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»(1).

وفي الحديث الشريف: «المؤمن أشد من زبر الحديد، إن الحديد إذا دخل النار لان، وإن المؤمن لو قتل ونشر ثم قتل لم يتغير قلبه»(2).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «المؤمن أشد من الجبل، والجبل يستقل منه بالفأس والمؤمن لا يستقل عليدينه»(3).

وختاماً؛ فإن ما تحمله الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من المصاعب كان مما تنوء بحمله الجبال الرواسي إلا أن ذلك كله قد انقضى وأصبح (صلى الله عليه وآله) «من تعب هذه الدار في راحة»، وفي هذا درس لنا وتعليم بأن نتحمل المشاق والأذى في سبيل الله، فإنها منقضية زائلة ستلحقها راحة دائمة.

قال (عليه السلام): «صبروا أياماً قليلة فأعقبتهم راحة طويلة»(4).

ص: 254

1- سورة آل عمران: 173.

2- المحاسن: ج 1 ص 251 ب 29 ح 266.

3- تفسير العياشي: ج 2 ص 301 ومن سورة بني إسرائيل ح 111.

4- نهج البلاغة، الخطب: 193- ومن خطبة له (عليه السلام) يصف فيها المتقين.

التعويض الإلهي

رغم وجود ثلة كبيرة من المؤمنين الأخيار الأبرار مع النبي (صلى الله عليه وآله) الذين كانوا يناصرونه ويؤازرونه ويضحون في سبيله بالنفس والنفيس، بما قل أن يوجد نظيره طوال التاريخ البشري، إلا أنه (صلى الله عليه وآله) قد عانى كثيراً من مجاورة المنافقين ومن الانتهازيين والمصلحين والمرجفين والمتخاذلين والجنباء وأشباههم حوالياً.

كما تشهد بذلك آيات قرآنية عديدة..

وكما يذكر التاريخ:

كخيانة البعض في معركة أحد(1).

وكترصد المنافقين به (صلى الله عليه وآله) الدوائر كما في العقبة(2). وكفضية الدواة والكتف(3) وغيرها، فإنها كانت تلحق به (صلى الله عليه وآله) أكبر الأذى وأشد الأضرار، فعوضه الله تعالى عن ذلك بأمر عديدة، منها:

ما أشارت إليه ابنته الزهراء (صلوات الله عليها) ها هنا: «قد حف بالملائكة

ص: 255

1- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج 1 ص 241-242 غزوة أحد.

2- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج 2 ص 163-164 غزوة تبوك.

3- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 6 ص 51 ذكر أمر فاطمة (عليها السلام) مع أبي بكر، وفيه: لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوفاة - وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب - قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أتتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي». فقال عمر - كلمة معناها -: إن الوجد قد غلب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) - ثم قال - عندنا القرآن حسبنا كتاب الله!.

.....
الأبرار»، فهم المحيطون به بعد مماته دون ما ينغصه(1).

ثم ترفت (عليها السلام) إلى تعويض آخر أسمى وأعلى: «ورضوان الرب الغفار» .. قال تعالى: «وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ»(2).

ثم ترفت (عليها السلام) إلى أمر آخر أسمى من ذلك: «ومجاورة الملك الجبار»، أي: رحمته الخاصة.

قولها (عليها السلام): «ورضوان الرب الغفار»، فالله راض عنه (صلى الله عليه وآله) فإن الإنسان إذا علم بأن الله سبحانه راض عنه كان في سرور وراحة نفسية لا يصل إليها الا لتذاذ المادي الجسماني. وهذا مما يجده الإنسان من نفسه بوضوح، فمن يعيش في قصر بديع فيه مختلف أسباب الهناء المادي، لا يمكنه أن يلتذ بكل تلك النعم لو كان يعاني من مشكلة نفسية ويؤس روجي كما لو مات له عزيز، أو تعرض لثُهم تحطّ من سمعته وكرامته، أو علم أن سيده ساخط عليه، بل قد تتحول حياته هذه إلى جحيم مهلك؛ فإن السعادة سعادة الروح أولاً ثم سعادة الجسم وكذلك الشقاء.

مجاورة الملك الجبار

قولها (عليها السلام): «ومجاورة الملك الجبار»، أي: مجاورة كراماته فالمراد الجوار

ص: 256

1- فإن الله سبحانه وتعالى يعوض عن كل مصيبة وابتلاء يبتلى به المؤمن بنعمة كبرى تكون متناسبة مع نوع البلاء والمصائب، فعلى المؤمن أن لا يتهرب من معاشرته الناس بغرض إرشاد من استطاع منهم تخلصاً من مشاكلهم وإذاهم؛ فإن الله سيعوضه أضعاف ذلك بما لا يخطر على فكر بشر.

2- سورة التوبة: 72.

المعنوي، كما قال تعالى: «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ» (1).

والأفليس الله سبحانه جسماً، ولا له قرب أو بعد مكاني أو زماني، كما قرر في علم الكلام.

ولعل الإتيان بلفظ «الجبار»؛ لأنه سبحانه يجبر ما ورد عليه من الكفار والمنافقين، وقد قال العباس (عليه السلام) في يوم عاشوراء: «وأبشري برحمة الجبار» (2).

واختيار صفة «الملك» متجانسة تماماً مع صفة «الجبار»، فالنبي (صلى الله عليه وآله) حظى بأعلى درجة من القرب من المالك الحقيقي المطلق الذي بمقدوره أن يجبر ما أصابه بشكل مطلق.

وأى شيء أعظم وأعلى وأسمى من الوصول إلى مقام «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ» منه تعالى «أَوْ أَدْنَى» (3) من ذلك، فهذه الغاية من أرفع الغايات بل هي الآية القصوى والمقصد الأسمى، وإذا كان الجار تناله خيرات جاره عادة، فكيف بجوار الله سبحانه؟.

ومنه يعلم رجحان أن يكون الإنسان بحيث لو مات يحف بالملائكة الأبرار ورضوان الرب الغفار ومجاورة الملك الجبار، كما يعلم رجحان مجاورة العظماء، وقد سبق الكلام في ذلك كله (4).

ص: 257

1- سورة القمر: 55.

2- بحار الأنوار: ج 45 ص 40 ب 37.

3- سورة النجم: 9.

4- راجع المجلد الأول من كتاب من فقه الزهراء (عليها السلام).

التذكير بمنزلة الأنبياء (عليهم السلام) والمؤمنين في الآخرة

مسألة: كما سبق من استحباب ذكر كيفية قبضه تعالى لروحه (صلى الله عليه وآله)، يستحب ذكر منزلته (صلى الله عليه وآله) في الآخرة، وأنه (صلى الله عليه وآله) قد: «حُفَّ بالملائكة الأبرار...» وغير ذلك، وكذلك ذكر منزلة الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) في الجنة، ويستحب أيضاً ذكر مكانة المؤمن فيها وما أعد الله له من النعيم المقيم.

فإن التذكير بذلك يوجب مزيداً من رغبة الناس من الإيمان بالله سبحانه واليوم الآخر والالتزام بأوامره جل وعلا، فيكون من المستحب، بل قد يجب إذا توقف إيمان الناس على مثل ذلك.

والآيات والروايات التي تتعرض لوصف نعيم أهل الجنة كثيرة (1).

غفران الخطايا

مسألة: يستحب غفران خطايا الآخرين؛ لأنه من التخلق بأخلاق الله سبحانه وتعالى، كما ورد في الحديث (2) من استحبابه كأصل إلا ما خرج بالدليل.

وفي القرآن الحكيم: «وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» (3).

ص: 258

- 1- راجع كتاب: (الجنة والنار في القرآن) للإمام المؤلف (قدس سره)، و(بحار الأنوار) مبحث الجنة والنار، و(كفاية الموحدين) وغيرها. قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إن الجنة توجد ريحها من مسيرة ألف عام، وإن أدنى أهل الجنة منزلاً لو نزل به الثقلان الجن الإنس لوسعهم طعاماً وشراباً، ولا ينقص مما عنده شيء» - بحار الأنوار: ج 8 ص 120 ب 23 ح 11 -.
- 2- أي قوله: «تخلقوا بأخلاق الله» - بحار الأنوار: ج 58 ص 129 ب 42 تتميم -.
- 3- سورة الشورى: 43.

وقال سبحانه : «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»(1).

وفي الحديث أنه: قام رجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يخطب. فقال: يا أمير المؤمنين. صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه؟. فقال(عليه السلام): «... يستر العيب، ويحفظ الغيب، ويقيل العثرة، ويغفر الزلة»(2). إضافة إلى ما للغفران من الأثر الوضعي على حياة الإنسان ومستقبله، ثم إنه يسبب محبوبة الإنسان مما يعينه على الوصول إلى أهدافه بشكل أيسر، إضافة إلى أنه يحافظ على سلامة جسمه وأعصابه كما هو ثابت في الطب وعلم النفس.

هذا ومن اللازم عدم الاغترار بغفاريته تعالى وعدم الاستناد إليها والاعتماد عليها في التجري(3) على المعاصي أو في تبرير ارتكابها، إذ هو تعالى: «شَدِيدُ الْعِقَابِ»(4) أيضاً.

بل الواجب أن يكون الإنسان بين الخوف والرجاء دائماً(5)، كما قال تعالى: «اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»(6)، ولذا كانوا(عليهم السلام) ييكون من خشيته تعالى وترتعد فرائصهم خوفاً منه سبحانه(7).

ص: 259

1- سورة الجاثية: 14.

2- الكافي: ج 2 ص 229 باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح 1.

3- بالمعنى اللغوي.

4- سورة البقرة: 196 و 211، ومواضع أخرى من القرآن.

5- راجع بحار الأنوار: ج 67 ص 323 ب 59.

6- سورة المائدة: 98.

7- راجع بحار الأنوار: ج 41 ص 11 ب 101.

الدعاء للأب

مسألة: يستحب الدعاء للأب، بل ولسائر الأقارب والأصدقاء والجيران والمؤمنين والمؤمنات، في حال الحياة وبعد الممات.

وقد روي عن مولانا فاطمة (صلوات الله عليها) أنها كانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها، فقيل لها في ذلك، فقالت: «الجار ثم الدار»⁽¹⁾.

وفي الحديث: «إن دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب، ويدّر الرزق، ويدفع المكروه»⁽²⁾.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «من دعا لأخيه المؤمن بظهر الغيب ناداه ملك من سماء الدنيا: يا عبد الله لك مائة ألف مثل ما سألت...»⁽³⁾ الحديث.

وعن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن العبد ليكون باراً بوالديه فيحياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما دينهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عزوجل عاقاً، وأنه ليكون عاقاً في حياتهما غير بارّ بهما فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عزوجل باراً»⁽⁴⁾.

ص: 260

1- وسائل الشيعة: ج7 ص113 ب42 ح8885.

2- بحار الأنوار: ج90 ص383 ب26 ح1.

3- مستدرک الوسائل: ج5 ص245-426 ب40 ح5791.

4- الكافي: ج2 ص163 باب البر بالوالدين ح21.

وهذا مما يكشف عن الترابط الوثيق بين العالمين، وليس هناك إلا حجاب يحول دون أن نرى ونسمع ما يجري هناك، ولو وصل الإنسان إلى بعض مراتب الكمال الروحي لرفع عنه الحجاب، ولهذا البحث تفصيل نتركه لمطائه.

قولها (عليها السلام): «صلى الله على أبي نبيه»، إنشاء بلفظ الإخبار وهو دعاء، وكونه بلفظ الماضي للدلالة على قطعية الوقوع (1) إذ الماضي وضع حتى يدل على الزمان المنصرم.

الصلوات على النبي (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) بعد ذكر اسمه الشريف.

والظاهر أن استحباب الصلوات عند ذكر اسمه ليس خاصاً بكلمة محمد (صلى الله عليه وآله) كما هو المشهور بين الناس، بل كل اسم من أسمائه، أو لقبه، أو كنيته، كأحمد والمصطفى وأبي القاسم وغير ذلك؛ لإطلاق أدلته وشمول حكمته، بل إذا ذكر الضمير الراجع إليه (صلى الله عليه وآله) أيضاً كان الحكم كذلك.

فعنه (صلى الله عليه وآله): «البخيل حقاً من ذُكرتُ عنده فلم يصلّ عليّ» (2).

وعنه (صلى الله عليه وآله): «من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب» (3).

ص: 261

1- راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف (قدس سره).

2- معاني الأخبار: ص 246 باب معنى البخيل والشح ح 8.

3- بحار الأنوار: ج 91 ص 71 ب 29 ح 65.

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): «من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدماً»(1).

وعن أحدهما (عليهما السلام)، قال: «أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة على محمد وعلى أهل بيته»(2).

وعن الصادق (عليه السلام): «ما من عمل أفضل يوم الجمعة من الصلاة على محمد وآله»(3).

وعن أبي الحسن العسكري (عليه السلام)، قال: «إنما اتخذ الله إبراهيم (عليه السلام) خليلاً لكثرة صلواته على محمد وأهل بيته»(4).

ص: 262

1- وسائل الشيعة: ج 7 ص 194 ب 34 ح 9093.

2- بحار الأنوار: ج 91 ص 49 ب 29 ح 9.

3- روضة الواعظين: ج 2 ص 392 مجلس في ذكر الأوقات وما يتعلق بها.

4- بحار الأنوار: ج 91 ص 54 ب 29 ح 23.

الأمين المصطفى

مسألة: ينبغي إرشاد العباد إلى أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان أميناً وصفيماً وخيراً من الخلق بقول مطلق، أي من جميع الأبعاد والحيثيات وفي كل الجهات، وأنه (صلى الله عليه وآله) كان المثل الأعلى في الأمانة، وأكمل من اصطفاهم الله، وخير خيرته على الإطلاق. ورغم أن ذكر بعض هذه الصفات (1) يغني عن ذكر الأخريات، إلا أن ذكر الجميع سبب لمزيد من التوضيح والتركيز، وذلك يوجب التفاف الناس حول الرسول (صلى الله عليه وآله) أكثر فأكثر.

ومنه يعرف استحباب مثل ذلك بالنسبة إلى سائر أولياء الله (عليهم السلام) بالملاك، وقد ورد في الزيارات: «سلام عليك يا أمين الله» (2)، و«السلام عليك يا أمين الله» (3).

عصمة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)

مسألة: ربما يمكن الاستدلال بـ «أمينه» و«خيرته من الخلق» الوارد في كلامها (عليها السلام) وفي أحاديث شريفة كثيرة، على عصمة الرسول (صلى الله عليه وآله).

ص: 263

1- النبي (صلى الله عليه وآله) أمين ومختار بالضرورة لذا يغني ذكره عن ذكرهما، أما ذكر الأمين والمختار فلا يغني عن ذكر النبي، إذ ليس كل أمين ومختار نبياً، لذا قال الإمام المؤلف (قدس سره): إن ذكر بعضها يغني عن ذكر الأخريات.

2- بحار الأنوار: ج 83 ص 105 ب 41 ح 8.

3- تهذيب الأحكام: ج 6 ص 6 ب 3 ح 2.

.....
لأن الأمين بقول مطلق هو المعصوم، وكذلك الخيرة من الخلق، نظراً للإطلاق الأحوالي والأزماني(1)، وللانصراف في مثل المورد للفرد الأكمل، ولا يحسن من القادر الحكيم نصب غير الأمين من كل الجهات، وغير المعصوم من مختلف الحثيات نيباً وحجة على العباد(2). إضافة إلى الأدلة العقلية الدالة على ذلك كقدرته على نصب الأمين المطلق، وفياتيته، والحاجة إلى ذلك وعدم وجود المحذور، وما أشبه(3).

النبي الأمين (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يجب الاعتقاد بأنه (صلى الله عليه وآله) النبي الأمين على الوحي، قال تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (عليهم السلام) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»(4)، وإن ما جاء (صلى الله عليه وآله) به هو ما أمره تعالى بذلك لا يزيد ولا ينقص(5).

ص: 264

- 1- فالأمين له إطلاق من حيث الزمان فهو أمين في كل الأزمنة، وإطلاق من حيث الأحوال فهو أمين في كل الأحوال، في العسر واليسر وهكذا، واستفادة الإطالقين أمر عقلائي عرفي في كل لفظة لم تكن هناك قرينة على تقييدها بزمن خاص أو جهة معينة.
- 2- خاصة مع ملاحظة أن قول وفعل وتقرير الرسول (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) يؤثر في حياة الناس وسلوكهم كما هو واضح، على أنه المرجع النهائي والمقياس الإلهي الأول والأخير، لا لفئة خاصة فحسب بل لكل البشرية على مر الأعصار.
- 3- راجع حول العصمة: كتاب (الألفين) للعلامة الحلبي (قدس سره)، وكتاب (القول السديد في شرح التجريد): ص 333 للإمام المؤلف (قدس سره).

4- سورة النجم: 3-4.

- 5- هذا وقد ورد في تفسير الآية المباركة عن ابن عباس: ... فأنزل الله تبارك وتعالى: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ» يعني: في محبة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، «وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ» يعني: في شأنه، «إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» بحار الأنوار: ج 35 ص 272 ب 8 ح 1.

فهو (صلى الله عليه وآله) الرابط وحلقة الوصل، وهو الوسيط الأمين بين الخالق والخلق، قال تعالى: «مُطَاعِ ثُمَّ أَمِينٍ» (1). وقال (عليه السلام): «أرسله (صلى الله عليه وآله) بالحق واتممنه على الوحي» (2). وهذا (3) أكبر أقسام الأمانة؛ لأن السعادة البشرية في الدنيا والآخرة متوقفة عليه، بل أن عظمة الأمانة قد تكون لعظمة غايتها وفوائدها، وقد تكون لقيمتها الذاتية، وقد تكون لإضافتها وانتسابها للعظيم فاعلاً أو قابلاً، وهذه كلها مجتمعة في (الوحي) وهو الكتاب التشريعي الذي ائتمن الله رسوله (صلى الله عليه وآله) عليه كما لا يخفى.

قولها (عليها السلام): «وصفيّه» اصطفاؤه واختاره، فهو المصطفى فاعلاً أو قابلاً، كما ورد: «وأن محمداً عبده ورسوله، وأمينه وصفيّه، وصفوته من خلقه، وسيد المرسلين، وخاتم النبيين، وأفضل العالمين» (4). وانتخاب الله تعالى له (صلى الله عليه وآله) دون سائر الخلق صفيّاً مع لحاظ علمه تعالى المطلق بكافة أبعاد النفس الإنسانية، وإحاطته بسلوكه العملي وشبه ذلك في كافة لحظات حياته (صلى الله عليه وآله) دليل على خلوصه (صلى الله عليه وآله) من كل نقص ونزاهته من كل عيب.

قولها (عليها السلام): «وخيرته من الخلق» اختاره ورضيه: ارتضاه. ولا يخفى أن مادتي (الاصطفاء والارتضاء) تدلان على أمرين، تقول: (صفي يصفو فهو صاف)، و(رضي يرضى فهو راض وذاك مرضي)، كما تقول: ذاك (مصطفى) وهذا (مرتضى).

ص: 265

1- سورة التكوير: 21.

2- شرح نهج البلاغة: ج 16 ص 40 ترجمة الحسن بن علي (عليه السلام) وذكر بعض أخباره.

3- أي الائتمان على الوحي.

4- تحف العقول: ص 416 جوابه (عليه السلام) للمأمون في جوامع الشريعة لما سأله جمع ذلك.

الدعاء للأولياء والصالحين

مسألة: يستحب طلب الرحمة والبركة من الله تعالى للرسول (صلى الله عليه وآله) سراً وجهاً، في مختلف الحالات والأوقات، وكذلك السلام عليه (صلى الله عليه وآله)؛ فإن الله سبحانه وتعالى وعد بالإجابة حيث قال سبحانه: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (2)، ومن المعلوم أن الدعاء للرسول (صلى الله عليه وآله) مستجاب خصوصاً من مثل الزهراء (عليها السلام)، بل روي عن علي (عليه السلام): «كل دعاء محجوب عن السماء حتى يُصلّى على محمد وآل محمد» (3).

وذلك (4) يوجب الخير بالنسبة إلى الداعي في الدنيا والآخرة بنحو الأثر الوضعي، وهو أيضاً نوع من الإيحاء والتلقين فيزيد الإنسان تعلقاً بالرسول (صلى الله عليه وآله) وآله الأطهار (عليهم السلام) وبسائر الصلحاء ويشده إليهم.

إضافة إلى ما لهذه الدعوات من تركيز المفاهيم والمعاني الروحية في الإنسان بشكل أعمق، بالإضافة إلى ما أشير إليه من أنه تعالى سيتفضل به على الرسول (صلى الله عليه وآله) وآله (عليهم السلام) وأتباعه من الكرامة المتزايدة.

ص: 266

1- راجع وسائل الشيعة: ج 7 ص 192 ب 34.

2- سورة غافر: 60.

3- جامع الأخبار: ج 61 ف 28.

4- أي الصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

إذ من الثابت أن الله سبحانه وتعالى يجعل لكل شيء سبباً، فكما قرر تعالى من أسباب رفعة درجات المؤمنين وفي طليعتهم الرسل والأوصياء (عليهم السلام) تحمل الأذى في سبيله والصبر والاستقامة وما أشبهه، كذلك لا يبعد أن يقرر سبحانه من أسباب رفعة الدرجات وزيادة المثوبة والبركة، دعوات الناس لهم (عليهم الصلاة والسلام).

و(البركة) معناها: الثبات والاستمرار(1).

قال تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا»(2). أي: ثابت ودائم.

ولا ثابت بالقول المطلق إلا الله سبحانه وتعالى؛ فإن كل شيء سواه ممكن وفي حال التغير والتبدل ولو ذاتاً - بناء على الحركة الجوهرية - أو في كافة أعراضه، بخلافه سبحانه حيث إن البركة الحقيقية فيه.

وما يقال: من أن في النعمة الفلانية بركة أو ما أشبه ذلك، يراد به الدوام النسبي والثبات بالقياس إلى الغير، على أن بركته عرضية مكتسبة أي أنها بالغير لا بالذات(3).

وفي الدعاء: «وارزقني السلامة والعافية، والبركة في جميع ما رزقتني»(4).

ص: 267

1- برك الإبل: أي جلس واستقر على الأرض. وفي لسان العرب: ج10 ص396 مادة برك: (وفي حديث الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله): وبارك على محمد وعلى آل محمد، أي: اثبت له وأدم ما أعطيته من التشرف والكرامة، وهو من برك البعير: إذا أناخ في موضعه فلزمه).

2- سورة الفرقان: 1.

3- ومن معاني البركة: النماء والزيادة. - راجع لسان العرب: ج10 ص395 مادة برك -.

4- بحار الأنوار: ج95 ص331 ب7 ضمن ح1.

.....
و: «اللهم اجعلني من أهل الجنة التي حشوها البركة»(1).

و«السلام عليه»: دعاء له (صلى الله عليه وآله) بالسلامة في الآخرة، فإن السلامة حقيقة مشككة ذات مراتب ودرجات(2)، هذا بالإضافة إلى أن هذه اللفظة تستخدم للتحية والإكرام أيضاً.

ولعل الفرق بالإنفراد في (الرحمة) والجمع في (البركات) في كلامها (عليها السلام) كما في القرآن الكريم: «رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ»(3) بلحاظ اعتباره، حيث لوحظ في (الرحمة) الغامرية، قال تعالى: «رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ»(4)، فهي تغمر الإنسان فلا تعدد فيها، بخلاف (البركات) التي لوحظ فيها الانتساب للقابل، فبركة في العمر وبركة في المال وبركة في الرزق وما أشبهه، وفي الآخرة أيضاً بركات واستمرارات لمختلف الشؤون والأبعاد بنحو اللامتناهي اللاتقفي نظراً للخلود.

وبعبارة أخرى هناك نسبة للخالق ونسبة للمخلوق، فعندما تلاحظ النسبة للخالق فلا تعدد، وعندما تلاحظ النسبة للمخلوق يتعدد(5).

لا يقال: هو (صلى الله عليه وآله) في السلامة، سواء طلب أو لم يطلب، فهذا طلب للحاصل؟.

ص: 268

-
- 1- وسائل الشيعة: ج7 ص399 ب48 ح9683.
 - 2- هذا الكلام من الإمام المصنف (قدس سره) إشارة لدفع إشكال سيأتي بيانه.
 - 3- سورة هود: 73.
 - 4- سورة الأعراف: 156.
 - 5- وذلك كأشعة الشمس التي قد تنسب للشمس فهي واحدة، وقد تنسب للقابل كالشجر والحجر والمدبر والإنسان والكرات الأخرى... فتكون متعددة.

لأنه يقال: للسلامة درجات ومراتب، وكونه (صلى الله عليه وآله) في مرتبة منها لا ينافي طلب أن يكون في مرتبة أرفع.

هذا بالإضافة إلى إمكان أن يكون المراد الاستمرار بامتداد الزمن، فإن السلامة تتجدد وتوجد آنأفاناً، كما قال (عليه الصلاة والسلام) في «أهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»⁽¹⁾: «أدم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا»⁽²⁾؛ لأن الهداية في كل لحظة، فالهداية في اللحظة السابقة لا تنافي عدم الهداية في اللحظة الثانية وهكذا، فتأمل.

وفي الحديث عن علي (عليه السلام): «الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبي (صلى الله عليه وآله) أفضل من عتق الرقاب»⁽³⁾.

السلام على الأموات

مسألة: يستحب السلام على الأموات، سواء عند زيارة الإنسان للمقابر، أم في سائر الأوقات، وذلك يستلزم تذكير الإنسان بالعالم الآخر، وإزالة الحجب الفكرية والنفسية والشهوانية التي تحول دون أن يستعد الإنسان لهذا السفر الأبدي.

ص: 269

1- سورة الفاتحة: 6.

2- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 44 أعظم الطاعات ح 20. وفي تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان ج 1: (الهداية هو إرشاد الطريق، فإن الإنسان في كل آن يحتاج إلى من يرشده ويهديه وإن كان مهتدياً).

3- وسائل الشيعة: ج 7 ص 195 ب 34 ح 9096.

.....
قال علي (عليه السلام) عندما أشرف على المقابر: «يا أهل التربة ويا أهل الغربة، أما الدور فقد سدّ كنت، وأما الأزواج فقد نُكحت، وأما الأموال فقد قُسمت، فهذا خير ما عندنا فما خير ما عندكم - ثم التفت (عليه السلام) إلى أصحابه فقال: - لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم: أن خير الزاد التقوى»(1).

وفي وصية لقمان لابنه: «يا بني... احضر الجنائز، وزر المقابر، وتذكر الموت وما بعده من الأهوال فتأخذ حذرک»(2).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «زوروا موتاكم، وصلّوا عليهم، وسلموا عليهم فإن لكم فيها عبرة»(3).

فالسّلام على الأموات يعد من أسباب هداية الإنسان، إضافة إلى ما ينتجه من اللطف الإلهي بالمرسل لهم السّلام، وهو كاشف أيضاً عن شدة الترابط بين العالمين كما سبق. ولذا نجد في أنواع السّلام المقررة في الشريعة للأموات تذكيراً بالمبدأ والمعاد وما أشبهه، كما ورد: «بسم الله الرحمن الرحيم، السّلام على أهل لا إله إلا الله، من أهل لا إله إلا الله، يا أهل لا إله إلا الله، بحق لا إله إلا الله، كيف وجدتم قول لا-إله إلا الله، من لا إله إلا الله، يا لا إله إلا الله، بحق لا إله إلا الله، اغفر لمن قال: لا إله إلا الله، واحشرونا في زمرة من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله»(4).

ص: 270

1- نهج البلاغة، قصار الحكم: 130.

2- إرشاد القلوب: ص 72 ب 18.

3- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 288 بيان زيارة القبور والدعاء للميت.

4- بحار الأنوار: ج 99 ص 301 ب 6 ضمن ح 31.

.....

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «إذا بعدت عليك الشقة ونأت بك الدار فلتعل على أعلى منزلك، ولتصل ركعتين فلتؤم بالسلام إلى قبورنا؛ فإن ذلك يصل إلينا»(1). وعنه (عليه السلام): «إذا نظرت إلى المقابر فقل: السلام عليكم يا أهل المقابر من المؤمنين والمؤمنات، أنتم السلف نحن لكم تبع، ونحن على آثاركم واردون، نسأل الله الصلاة على محمد وآله محمد والمغفرة لنا ولكم»(2).

ذكر محاسن الأموات

مسألة: يستحب ذكر محاسن الميت، قال علي (عليه السلام): «اذكروا محاسن موتاكم»(3)، وفي حديث آخر: «لا تقولوا في موتاكم إلا خيراً»(4).

الترحم على الأموات

مسألة: يستحب الترحم على الأموات والدعاء لهم، ففي الحديث:

«الموتى يأتون في كل جمعة من شهر رمضان، فيقفون وينادي كل واحد منهم بصوت حزين باكياً: يا أهلاه، ويا ولداه، ويا قرابته، اعطفوا علينا بشيء يرحمكم الله، واذكرونا ولا تنسوننا بالدعاء، وارحموا علينا وعلى غربتنا؛ فإننا

ص: 271

1- مستدرک الوسائل: ج 10 ص 369 ب 75 ح 12199.

2- جامع الأخبار: ص 168 ف 134.

3- بحار الأنوار: ج 72 ص 239 ب 66.

4- غوالي اللآلي: ج 1 ص 439 ب 1 المسلك الثالث ح 158.

.....
قد بقينا في سجن ضيق، وغم طويل وشدة، فأرحمونا ولا تبخلوا بالدعاء والصدقة لنا، لعل الله يرحمنا قبل أن نكونوا مثلنا. فوا حسرتاه قد كنا قادرين مثل ما أنتم قادرون، فيا عباد الله اسمعوا كلامنا ولا تنسونا؛ فإنكم ستعلمون غداً، فإن الفضول التي بأيديكم كانت بأيدينا، فكنا لا ننفق في طاعة الله، ومنعنا عن الحق فصار وبالاً علينا ومنفعة لغيرنا، اعطفوا علينا بدرهم أو رغيف أو بكسرة، ثم ينادون: ما أسرع ما تبكون على أنفسكم ولا ينفعكم كما نحن نبكي ولا ينفعنا، فاجتهدوا قبل أن تكونوا مثلنا»(1).

وفي بعض الأحاديث: «إن أرواح المؤمنين تأتي كل جمعة وينادي كل واحد منهم مثل هذا النداء»(2).

وعنه (صلى الله عليه وآله): «إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما، فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله منالبارين»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «اهدوا لموتاكم». فقيل: وما هدية الأموات؟ قال: «الصدقة والدعاء»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ألا من أعطف لميت بصدقة فله عند الله من الأجر مثل أحد، ويكون يوم القيامة في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظل العرش»(5).

ص: 272

1- مستدرك الوسائل: ج2 ص162-163 ب39 ح1697.

2- جامع الأخبار: ص169 ف134.

3- إرشاد القلوب: ج1 ص195 ب52.

4- مستدرك الوسائل: ج2 ص484 ب79 ح2524.

5- جامع الأخبار: ص169 ف134.

المراد بالالتفات

مسألة: الظاهر أن المراد بالالتفات هنا التوجه لا النظر، خاصة بلحاظ ما سبق: «فنيطت دونها ملاءة»، وإن كان النظر جائزاً بشروط مذكورة في كتاب النكاح.

فإن الإنسان قد يخطب بلا توجه إليجهة خاصة، وقد يخطب مع التوجه إليها، مع نظر ورؤية أم بدونها.

وكأنها (عليها السلام) كانت تتكلم بكلماتها السابقة وهي غير ملتفتة إلى جهة خاصة، نظراً لعدم المقتضي لذلك، باعتبار كون البداية حمداً لله تعالى وشكراً له وشهادة لله بالوحدانية ولمحمد (صلى الله عليه وآله) بالنبوة... فلما أرادت أن توجه الخطاب إليهم التفتت إلى جانبهم، فإن الالتفات يوجب توجه الصوت أكثر فأكثر، وإن كان بينها وبينهم ستر.

إضافة إلى أن في الالتفات بعد عدمه مزيداً من الالتفات كما لا يخفى (1).

ص: 273

عباد الله

مسألة: يستحب تنبيه الناس - دائماً - على أنهم عباد الله تعالى وذلك بأساليب شتى، منها الخطاب بتضمينه في مطلعته ونهايته، بل تحويل ذلك أو ما بمعناه، إلى مرتكز كلامي يكرر في رأس كل مقطع منه حسب مقتضى الحال(1).

وقولها (عليها السلام): «عباد الله» تذكير لهم بأنهم عبيد، ولا بد أن يطيعوا أمر المولى، وإلا كانوا معرضين للعقاب؛ فإن التنبيه على ذلك يوجب الإيحاء النفسي للطرف على وجوب طاعته تعالى، وقد ورد في القرآن:

قوله تعالى: «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ»(2). وقوله سبحانه: «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ»(3).

وقوله عز وجل: «قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ»(4).

وقوله تعالى: «وَقُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»(5).

ص: 274

1- كما نجد ذلك في الصلاة، حيث تتضمنه بدأً ووسطاً وختماً: (... رب العالمين ... إياك نعبد ... سبحانه ربي العظيم ... سبحانه ربي الأعلى ... أشهد أن لا إله إلا الله ... أشهد أن محمداً عبده ... السلام علينا وعلى عباد الله ...)، وكذلك في القرآن الحكيم حيث لا يخلو - عادةً - من الإشارة إلى ذلك مرة واحدة أو مراراً عديدة، في كل صفحة.

2- سورة الإنسان: 6.

3- سورة الصافات: 40 و74 و128 و160.

4- سورة إبراهيم: 31.

5- سورة الإسراء: 53.

وقوله سبحانه: «ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ»(1).

وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ»(2).

وقوله سبحانه: «لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا»(3).

ونقرأ في كل يوم في الصلوات المفروضة والمستحبة: «أشهد أن محمداً عبده ورسوله»، و«السلام علينا وعليباد الله الصالحين»، كما نقرأ في الركعتين الأوليين: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»(4) إلى غير ذلك.

وقد ورد كثيراً في الروايات: «اعلموا عباد الله»(5)، و«ابشروا عباد

الله»(6)، و«أوصيكم عباد الله»(7)، و«يا عباد الله»(8)، وما أشبهه.

قال (صلى الله عليه وآله) في خطبته في حجة الوداع: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله»(9).

وقال (صلى الله عليه وآله): «أحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعباده»(10).

ص: 275

1- سورة الزمر: 16.

2- سورة الأعراف: 194.

3- سورة النساء: 172.

4- سورة الفاتحة: 5.

5- الكافي: ج 8 ص 75 كلام علي بن الحسين (عليه السلام) ح 29.

6- وسائل الشيعة: ج 10 ص 245 ب 1 ح 13323.

7- من لا يحضره الفقيه: ج 1 ص 515 باب صلاة العيدين ح 1482.

8- تهذيب الأحكام: ج 4 ص 96 ب 29 ح 8.

9- تحف العقول: ص 30 خطبته (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع.

10- بحار الأنوار: ج 74 ص 154 ب 7 ح 110.

وإذا كان على العبد - عرفاً - أن يطيع المولى المجازي، فبالضرورة يجب على العبد - عقلاً - أن يطيع المولى الحقيقي، إذ الإنسان عبد خاضع (1) ومملوك من جميع الجهات، في ذاته وأعراضه وحدوثه وبقائه و... لله تعالى.

مما ينبغي التذكير به

مسألة: ينبغي تذكير الناس بوظائفهم ومسؤولياتهم والأدوار الملقاة على عواتقهم، وما يتوقع منهم في حياتهم الفردية والعائلية والاجتماعية.. وأنهم من هم؟. ولِمَ هم؟ (2). وكيف كانوا؟. وإلى مَ صاروا؟. وما الذي سيكونون عليه؟ (3). والعلل الباعثة على ذلك التحول وهذا التغيير؟. ومواصفات القيادة وما صنعت له وما أرادته منهم؟. والفلسفة في قرارات وآراء وأحكام القائد (4) والصفات الإيجابية والسلبية، وآثارها الدنيوية والأخروية؟ وهكذا.

وكل ذلك نجده بأروع تعبير وأدق مضمون، متجلياً في خطبتها (صلوات الله عليها) من أولها إلى آخرها. قال تعالى: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ» (5).

ص: 276

- 1- إشارة إلى ما ذكر في كتب اللغة من أن (أصل العبودية: الخضوع والتذلل) - راجع لسان العرب: ج3 ص273 مادة عبد - وفيه: ومعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد إذا كان مذلاً بكثرة الوطء... والمعبد: المذل، والتعبد: التذلل، والتعبيد: التذليل.
- 2- إشارة للعللة الغائية لخلقهم.
- 3- أي الماضي والحاضر والمستقبل.
- 4- إذ يوجب ذلك مزيداً من اندفاع الناس لتنفيذ القرارات وإتباع الأحكام، كما ينمي حالة التدبر والتأمل فيهم، وقد سبق من الإمام المؤلف (قدس سره) تفصيل ذلك.
- 5- سورة الطارق: 5.

مسؤوليات العباد

1: امتثال الأوامر والنواهي

مسألة: انتقلت (سلام الله عليها) من الحديث عن المرسل وغايته من الخلقة ومن البعثة، وعن الرسول (صلى الله عليه وآله) وما حققه من الأهداف، إلى الحديث عن المرسل إليهم.

ويستفاد من كلمة «نصب أمره ونهيه» أن الهدف الأساسي المتوخى من العباد هو قيامهم بامتثال الأوامر والنواهي الإلهية، قال سبحانه: «فَاتِّمَّا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا» (1)، فالمخاطبون من قبل الله تعالى بواسطة الأنبياء (عليهم السلام) يتحملون هذا الأمر العظيم، وقال سبحانه: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا» (2).

هذا، وتفصيل بحث الخطاب ومن إليه الخطاب في علم الأصول، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ» (3). قولها (عليها السلام): «نصب أمره ونهيه»، أي المنصوبون والمقامون (4) لتنفيذ أوامره ونواهي، إماماً إلى لزوم أن يطيعوه تعالى في أمر الخلافة وغيرها، وإلا كانوا معرضين لانتقامه وسخطه، كما أشارت إلى ذلك بعد كلام لها (عليها السلام).

ص: 277

1- سورة النور: 54.

2- سورة الجمعة: 5.

3- سورة إبراهيم: 4.

4- تقول: نصبه أي أقامه، وينصبون أي يقيمون.

2: حمل راية الدين والوحي

مسألة: يجب حمل وإعلاء راية الدين والوحي، فإن دينه تعالى أنزل عليهم، قال سبحانه: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» (1).

ومصداق الأمانة الأتم زمن ختم النبوة هو: رسالته (صلى الله عليه وآله) والتكليف بالأوامر والنواهي وولاية علي (عليه السلام)، كما في التفاسير (2).

ص: 278

1- سورة الأحزاب: 72.

2- راجع مستدرك سفينة البحار: ج 7 ص 207 عرض الأمانة على السماوات، وفيه: عن معاني الأخبار، عن المفضل، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم (صلوات الله عليهم)، فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم. فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبال: هؤلاء أحبائي وأوليائي وحججي على خلقي وأئمة بريتي، ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منهم، لهم ولمن تولاهم خلقت جنتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري، فمن ادعى منزلتهم مني ومحلمهم من عظمتي عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين وجعلته من المشركين في أسفل درك من ناري، ومن أقر بولايتهم ولم يدع منزلتهم مني ومكانهم من عظمتي جعلته معهم في روضات جناتي، وكان لهم فيها ما يشاؤون عندي، وأبحتهم كرامتي، وأحللتهم جوارِي، وشفعتهم في المذنبين من عبادي وإمائي، فولايتهم أمانة عند خلقي، فأكرم يحملها بأثقالها ويدعيها لنفسه دون خيرتي، فأبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن من ادعاء منزلتها وتمني محلها من عظمة ربها...»، الحديث. وراجع أيضاً: معاني الأخبار ص 108 باب معنى الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها حملها الإنسان.

وقال تعالى: «عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ» (1). و(الدين) قد يكون أعم من الوحي، كما يكون الوحي كذلك، وقد تتغير النسبة بتغير الإعتبارات المختلفة، فالدين يشمل سيرته الطاهرة (صلى الله عليه وآله) والأحكام التكليفية (2) والأحكام الوضعية، وغيرها (3).

قال تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً» (4).

وفي الحديث عن أبي جعفر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً» قال: «الولاية» (5). وفي الرضوي (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) في تفسير الآية: «هو لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين» (6).

و(الوحي): أعم من القرآن، فيشمل الأحاديث القدسية وغيرها أيضاً، قال الشيخ المفيد (قدس سره) (7):

ص: 279

1- سورة النور: 54.

2- الواجبات والمحرمات والمندوبات والمكروهات والمباحات.

3- ربما يكون المراد من «وغيرها» ما ذكره الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من قصص الأنبياء الماضين (عليهم السلام) ومواعظهم وحكمهم، وكذا أحداث الأمم الغابرة والأخبارات المستقبلية (ما كان وما يكون وما هو كائن)، فمن مسؤوليات المسلم إيصال المعلومات الصحيحة عن كل ذلك كما بينه (صلى الله عليه وآله) للناس.

4- سورة الروم: 30.

5- بحار الأنوار: ج 3 ص 277 ب 11 ح 2.

6- تفسير القمي: ج 2 ص 154 سورة الروم مكية.

7- أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري الملقب بالشيخ المفيد (رحمة الله). من أجل مشايخ الشيعة، وُلد (قدس سره) في عام 336هـ بأطراف بغداد، في أسرة عريقة في التشيع معروفة بالإحسان والطهارة. وقد أنهى دراساته الابتدائية في أسرته ومسقط رأسه، ثم سافر إلى بغداد واشتغل بتحصيل العلم عند الأساتذة والعلماء ليصبح بعد ذلك المقدم في علم الكلام والفقهاء والأصول، وكان من تلامذة ابن عقيل. وفضله أشهر من أن يوصف انتهت رئاسة الإمامية إليه في وقته. من أساتذته: ابن قولويه القمي، والشيخ الصدوق، وابن وليد القمي، وأبو غالب الزراري، وابن الجنيد الإسكافي، وأبو علي الصولي البصري، وأبو عبد الله الصفواني. ومن تلامذته: السيد المرتضى علم الهدى، والسيد الرضي، والشيخ الطوسي، والنجاشي، وأبو الفتح الكراچي، وأبو يعلى جعفر بن سالار. بلغت مؤلفات الشيخ المفيد طبقاً لما ذكر تلميذه البارز الشيخ الطوسي (رحمة الله) 200 مؤلف منها: المقنعة، الفرائض الشرعية، أحكام النساء، الكلام في دلائل القرآن، وجوه إعجاز القرآن، النصر في فضل القرآن، أوائل المقالات، نقض فضيلة المعتزلة، الإفصاح، الإيضاح. توفي الشيخ المفيد (رحمة الله) في عام 413 هـ ببغداد عن 75 عاماً قضاهما بالعلم والعمل، ودفن في الحرم المطهر بجوار الإمام الجواد (عليه السلام) قريباً من قبر أستاذه ابن قولويه. وقد حظي بتعظيم الناس وتقدير العلماء والفضلاء. يذكر الشيخ الطوسي (رحمة الله) الذي حضر تشييعه: بأن يوم وفاته كان يوماً لا نظير له، لكثرة من حضر لأداء الصلاة على جنازته، والبكاء عليه من الصديق والعدو، حيث شيعه ثمانون ألفاً وصلى عليه السيد المرتضى علم الهدى (رحمة الله).

(أصل الوحي هو الكلام الخفي، ثم قد يطلق على كل شيء قصد به إلى إفهام المخاطب على الستر له عن غيره، والتخصيص له بدون من سواه، وإذا أضيف إلى الله تعالى كان فيما يخص به الرسل - صلى الله عليهم أجمعين - خاصة دون من سواهم)(1).

هذا والكلام في الوحي وكيفيته وأقسامه وأنه هل يختص بالنبى (عليه السلام) أو لا، مفصل مذكور في علم الكلام.

ثم إنه ينبغي بيان ذلك للناس، أي أنهم حملة الدين والوحي، قال (صلى الله عليه وآله): «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(2).

ص: 280

1- تصحيح الاعتقاد: ص 120 فصل في كيفية نزول الوحي.

2- جامع الأخبار: ص 119 ف 75.

.....
وفي الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام) - في خلق العالم - قال: «فقال الله لهم: من ربكم؟. فكان أول من نطق رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة (عليهم السلام)، فقالوا: أنت ربنا. فحملهم العلم والدين - ثم قال للملائكة - هؤلاء حملة علمي وديني وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون»⁽¹⁾.

كما أنه يلزم الاهتمام بالقرآن؛ فإن حملة⁽²⁾ واجب كفائي، كما ألمعنا إليه في كتاب (الفقه: حول القرآن الحكيم)⁽³⁾، وسيأتي البحث عن ذلك إن شاء الله تعالى.

قال (صلى الله عليه وآله): «أشرف أمتي حملة القرآن»⁽⁴⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «حملة القرآن عرفاء أهل الجنة»⁽⁵⁾.

ص: 281

1- بحار الأنوار: ج 3 ص 334 ب 14 ح 43، والبحار: ج 26 ص 277 ب 6 ح 19.

2- أي حفظه ونشره وما أشبهه.

3- راجع موسوعة الفقه: ج 98 كتاب (حول القرآن الكريم).

4- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 399 ومن ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الموجزة التي لم يسبق إليها ح 5855.

5- الكافي: ج 2 ص 606 باب فضل حامل القرآن ح 11.

3: وقاية النفس والائتمان عليها

مسألة: تجب وقاية النفس والحفاظ عليها من الأخطار والأقذار، الدنيوية والأخروية، كما قالت (عليها السلام): «وأمناء الله على أنفسكم»، أي أن الله جعل أنفسكم أمانة عندكم، فيشملة قوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ»⁽¹⁾، فهم أمناء وهم الأمانة باعتبارين كالطبيب يطبب نفسه.

قال تعالى: «فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا»⁽²⁾.

وقال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ»⁽³⁾.

وفي الحديث عنه (صلى الله عليه وآله): «أوصيك بنفسك ومالك خيراً»⁽⁴⁾.

والمراد: إن الواجب عليكم أن لا تخونوا في الأمانة بمخالفة أوامر الله سبحانه، فإن الخيانة مع النفس أيضاً خيانة، وهي داخلة في عمومات الأدلة، بل الخيانة مع النفس من أشد الخيانات، وهي تؤدي إلى الخسارة الكبرى الأبدية له، ولأهله في كثير من الأحيان⁽⁵⁾، قال تعالى: «قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽⁶⁾.

ص: 282

1- سورة المؤمنون: 8، سورة المعارج: 32.

2- سورة التحريم: 6.

3- سورة المائدة: 105.

4- الأنوار: ص 290 سبب خروج النبي (صلى الله عليه وآله) بتجارة خديجة إلى الشام.

5- إذ خسارة النفس عبر الانسياق وراء الشهوات والأهواء كثيراً ما تؤدي إلى خسران الأهل أيضاً، فإن لسيرة الإنسان وتفكيره الأثر الكبير على أسرته كما لا يخفى.

6- سورة الزمر: 15.

.....
أما حفظ أمانة الغير وأداؤها إليه فهي واجبة شرعاً كما قرر في محله (1)، قال سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» (2).

وقال (عليه السلام): «عليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر» (3).

وقال (عليه السلام): «أصل الدين أداء الأمانة والوفاء بالعهود» (4).

مسائل أخرى

مسألة: ويمكن - في الجملة - استنباط مسائل عديدة أخرى من قولها (عليها السلام)، كـ 1: وجوب حفظ النفس.

2: وحرمة الانتحار.

3: وحرمة الإضرار البالغ بالجسم أو الروح كإذهاب قوة أو قطع عضو أو ما أشبهه، مما فصلناه في مبحث (لا ضرر).

قال تعالى: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» (5).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام» (6).

فإذا كانت النفس أمانة إلهية بيد الإنسان فلا يجوز له أي إفراط وتفریط فيها، كما لا يجوز أي تصرف فيها إلا بإذنه تعالى ولو بشكل عام، فدقق.

ص: 283

1- راجع موسوعة الفقه: ج 56 كتاب الوديعة.

2- سورة النساء: 58.

3- بحار الأنوار: ج 100 ص 92 ب 1 ح 6.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 86 ق 1 ب 2 ف 5 قواعد الدين ح 1407.

5- سورة البقرة: 195.

6- وسائل الشيعة: ج 26 ص 14 ب 1 ح 32382.

4: تبليغ وهداية الأمم

مسألة: يجب تبليغ رسالات الله إلى الناس، وهو أكبر مسؤولية تحمل أعباءها الأنبياء والرسل (عليهم السلام).

قال تعالى: «بُلِّغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي» (1).

وقال سبحانه: «وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» (2).

وقال تعالى: «الَّذِينَ يَبُلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ» (3).

وهو واجب كفاية على كل مكلف قادر على إرشاد الجاهل وتنبية الغافل وبيان مسؤوليات الناس لهم، في الجملة (4).

قال سبحانه بالنسبة إلى نبيه (صلى الله عليه وآله): «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» (5)، وهو (صلى الله عليه وآله) أسوة فيجب إتباعه.

ص: 284

1- سورة الأعراف: 62 و68.

2- سورة النور: 54، وسورة العنكبوت: 18.

3- سورة الأحزاب: 39.

4- قد يكون المراد ب (في الجملة) أن الإرشاد إلى المستحبات والأخلاقيات وشبهها مستحب إلا ما خرج من باب المقدمة أو شبهها كحفظ معالم الدين، أما الإرشاد في شؤون أصول الدين وفروعه الواجبة وما أشبه فواجب.

5- سورة المائدة: 67.

.....
وفي الصحيفة السجادية، قال (عليه السلام) في وصفه (صلى الله عليه وآله): «وأدأب نفسه في تبليغ رسالتك، وأتعبها بالدعاء إلى ملتك، وشغلها بالنصح لأهل دعوتك»(1).

هذا بالإضافة إلى ما دل على وجوب تبليغ الدين أصوله وفروعه، فقد سبق أن: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(2)، كما قاله الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله). نعم تختلف الرعية، فالحاكم مثلاً رعيته كل الشعب، بينما الرجل رعيته عائلته.

وإذا اجتمعت شرائط التبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أكثر ممن هو في دائرته فهو مكلف بذلك أيضاً، وفي القرآن الحكيم: «وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ»(3).

وقال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»(4).

وقال جل وعلا: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»(5).

ص: 285

1- الصحيفة السجادية الكاملة: ص 40 الدعاء رقم 2، وكان من دعائه (عليه السلام) بعد هذا التحميد الصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

2- جامع الأخبار: ص 119 ف 75.

3- سورة العصر: 3.

4- سورة التوبة: 71.

5- سورة آل عمران: 104.

ويحتمل كون من في الآية نشوية (1) لا بمعنى البعض، وإن قال به جمع (2)، بقرينة قوله سبحانه في آخرها: «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» الظاهر في أن غيرهم لا يكون مفلحاً، فتأمل.

ولقد كان من أسرار الانتشار السريع الهائل للإسلام هو أن عامة المسلمين (3) اضطلعوا بمهمة تبليغ الإسلام في أقصى البلاد، وتحملوا في ذلك شتى الصعاب حتى اجتتوا أفضل الثمار.

عكس ما عليه الآن الكثير من المسلمين، حيث يتوهمون أن مهمة التبليغ هي مسؤولية فئة خاصة فحسب.

قولها (عليها السلام): «ويبلغاؤه»، أي: أنتم مبلغون أحكام الله إلى سائر الأمم؛ لأنهم تحملوا الدين وعاصروا الرسول (صلى الله عليه وآله) وعرفوا سنته وقد أمرهم الله بذلك، قال تعالى: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» (4).

ص: 286

- 1- أي ولتكن أمة ناشئة منكم أي مصدرها أنتم، كما في قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» سورة فاطر: 11.
- 2- راجع تفسير التبيان: ج 2 ص 548 في تفسير الآية الكريمة، وفيه: (من ههنا للتبويض على قول أكثر المفسرين). وفي تفسير جوامع الجامع: ج 1 ص 315، وفيه: (قيل: إن من هنا للتبويض... وقيل: إن من للتبيين). وفي تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان: ج 4 ص 19، وفيه: (أي يجب أن تكون منكم جماعة).
- 3- لا فرق في ذلك بين التاجر والعامل ورجل الدين والمزارع والجندي وغيره، راجع كتاب كيف انتشر الإسلام؟ للإمام المؤلف (قدس سره).
- 4- سورة التوبة: 122.

وفي كلامها (عليها السلام) هذا إشارة إلى أنكم إذا انحرفتم وأقررتم غضب الخلافة ستحملون وزر الانحراف الذاتي، ووزر إضاعة أمانة الله التي كلفكم بإبلاغها إلى سائر الأمم، قال سبحانه: «لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ»(1).

قولها (عليها السلام): «الأمم»، فإن كل جماعة لها لون خاص من قومية أو لغة أو لون أو ما أشبه ذلك تعد أمة من الأمم، وإن كان البشر مجموعاً أمة واحدة في قبال الملك والجن وأقسام الحيوانات، قال سبحانه: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ أُمَّتَالِكُمْ»(2).

وقال تعالى: «وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَمًا»(3).

وهل يشمل وجوب البلاغ الأمم المتعقلة غير البشر - لدى الإمكان - سواء من الجن لأنهم مكلفون أيضاً، أو من الأمم الأخرى الساكنة في سائر الكرات والعوالم؟. احتمالان.

ففي الحديث عن الرضا (عليه السلام)، قال: «ولله عزوجل وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجن والإنس»(4)، الحديث.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «... لعلك ترى أن الله عزوجل إنما خلق هذا العالم الواحد، أو ترى أن الله عزوجل لم يخلق بشراً غيركم، بلى والله لقد خلق

ص: 287

1- سورة النحل: 25.

2- سورة الأنعام: 38

3- سورة الأعراف: 160.

4- بصائر الدرجات: ص 492 ب 14 ح 7.

.....
الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم...» (1) الحديث.

وعنه (عليه السلام): «هل أدلك على رجل قد مر منذ دخلت علينا في أربعة آلاف عالم؟» (2)، وفي بعض الروايات: «أربعة عشر ألف عالم» (3).

الأجيال القادمة

مسألة: يجب بلاغ الأجيال القادمة أيضاً، للإطلاق الأزمني في قولها (عليها السلام): «الأمم»، وشمول سائر الأدلة له عموماً، أو إطلاقاً، أو ملاكاً. فمن كان بمقدوره هداية الأجيال القادمة (4) وجب عليه ذلك وجوباً كفاً.

فعن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «أيا عبد من عباد الله سن سنة هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من أجرهم شيء» (5).

كما يجب بلاغ الأمم المعاصرة من غير المسلمين ومن المخالفين، ولذا أرسل النبي (صلى الله عليه وآله) إلى ملوك العجم والروم، كما أرسل إلى مختلف العشائر والقبائل (6).

ص: 288

-
- 1- الخصال: ج2 ص652 خلق الله عز وجل ألف ألف عالم وألف ألف آدم ح54.
 - 2- بحار الأنوار: ج46 ص42 ب3 ح40.
 - 3- دلائل الإمامة: ص91 ذكر شيء من معجزاته (عليه السلام).
 - 4- عبر حفظ كتب الأحاديث والتفاسير وغيرها، أو عبر تربية ثلة تقوم بتربية ثلة من جيل لاحق، أو عبر استخدام الأجهزة الحديثة حالياً أو ما أشبه.
 - 5- وسائل الشيعة: ج16 ص173-174 ب16 ح21274.
 - 6- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج2 ص20 تحت عنوان: النبي (صلى الله عليه وآله) يتفرغ لإبلاغ الرسالة، وص195 تحت عنوان: عام الرسل والوفود، للإمام المؤلف (قدس سره).

فإنه (صلى الله عليه وآله) أرسل في السنة السادسة حاطب بن بلتعة إلى المقوقس، ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، وعبد الله بن حذافة إلى كسرى، وعمرو بن أمية الضميرى إلى النجاشي، وشجاع بن وهب إلى الحارث الغساني، وسليط بن عمرو العامري إلى هودة بن النخعي(1).

كما تجب معرفة طرق وأساليب أعداء الإسلام في صددهم عن انتشار الدعوة؛ فإن معرفة الداء نصف الدواء، وعليه يتوقف التبليغ والبلاغ في الجملة، قال تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ»(2).

وكذلك تجب - في الجملة - معرفة لغات وعادات وتقاليد وخصوصيات الأمم الأخرى، بالقدر الذي يتوقف عليه التبليغ، فإن الحديث بلسان كل قوم يتوقف على ذلك إجمالاً، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ»(3).

ولذا ترى أنهم (عليهم السلام) يعلمون جميع الألسن واللغات ويتكلمون بها، كما ورد عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، والإمام الصادق (عليه السلام)، والإمام الكاظم (عليه السلام)، والإمام الرضا (عليه السلام)، وغيرهم(4).

ص: 289

1- راجع بحار الأنوار: ج 22 ص 250 ب 5.

2- سورة الأنفال: 60.

3- سورة إبراهيم: 4.

4- راجع بحار الأنوار: ج 26 ص 190 ب 14.

زعيم حق له فيكم(1)،

القرآن هو الزعيم

القرآن هو الزعيم(2)

مسألة: يجب جعل القرآن زعيماً في كافة شؤون الحياة، وزعيم القوم: رئيسهم وسيدهم والمتأمر عليهم(3).

فإن النجاة بالعمل بالقرآن الحكيم، والاهتداء بهديه والامتثال لتعاليمه، وإلا فمن يقرأ القرآن ويعلم تفسيره وتجويده وما أشبه ذلك ثم لا يعمل به لا ينفعه القرآن، بل يكون القرآن عليه حجة ووبالاً.

قال سبحانه: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (عليهم السلام) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً (عليهم السلام) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى»(4).

ص: 290

1- وفي بعض النسخ: «وزعمتم حق لكم لله فيكم».

2- راجع حول هذا المبحث والمباحث اللاحقة: (الفقه: حول القرآن الحكيم)، و (التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، و (الفقه: الآداب والسنن)، و (الفقه: الواجبات والمحرمات)، للإمام المؤلف (قدس سره). وبعض البحوث الآتية تجدها في أماكنها المناسبة في موسوعة الفقه مثلاً: الاستماع للقرآن الكريم وشبهه تجده في (الفقه: حول القرآن الحكيم)، وهكذا غالب العناوين اللاحقة تراها في تفسير الآيات الكريمة المناسبة في تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان) للإمام المؤلف (قدس سره).

3- راجع (القاموس المحيط)، و (مجمع البحرين) مادة زعم، وقال في لسان العرب: ج 12 ص 266 مادة زعم: (زعيم القوم: رئيسهم وسيدهم، وقيل: رئيسهم المتكلم عنهم).

4- سورة طه: 124-126.

وقال (صلى الله عليه وآله): «رب تال القرآن والقرآن يلعنه»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «القرآن غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن هذا القرآن حبل الله، وهو النور البين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه»(3).

وقال علي (عليه السلام): «سلوا الله الإيمان، واعملوا بموجب القرآن»(4). وقال (عليه السلام): «ليس لأحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن غنى»(5).

وقال (عليه السلام): «يأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه، ولا من الإسلام إلا اسمه»(6).

بل إن من يعرف تفسير القرآن ولا يعمل به أكثر أو أشد عذاباً من الجاهل به، إذا كان جاهلاً مقصراً، أما الجاهل القاصر فلا عذاب عليه وإنما يجري امتحانه في يوم القيامة كما يستفاد من الروايات.

ص: 291

1- مستدرک الوسائل: ج4 ص249 ب7 ح4616.

2- وسائل الشيعة: ج6 ص168 ب1 ح7646.

3- وسائل الشيعة: ج6 ص168 ب1 ح7648.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص111 ق1 ب4 ف4 العمل بالقرآن ح1979.

5- نهج البلاغة، الخطب: 176، ومن خطبة له (عليه السلام) وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة.

6- نهج البلاغة: قصار الحكم 369.

زعيم حق

مسألة: يجب أن يكون الزعيم زعيم حق لا- باطل، كما ينبغي أن يكون الزعيم في الناس لا- خارجاً عنهم، كما قالت (عليها السلام): «فيكم».

وقولها (صلوات الله عليها): «زعيم حق»؛ لأن القرآن حق فهو زعيم بالحق، والزعيم بمعنى القائد(1).

وفي الحديث: «المؤمن زعيم أهل بيته»(2).

وقد يأتي بمعنى الكفيل(3)، قال تعالى: «وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ»(4).

وقال سبحانه: «سَأَلُهُمْ آيَهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ»(5). وقال (صلى الله عليه وآله): «أنا زعيم بيت في الجنة...»، الحديث(6).

وله معان أخرى مذكورة في كتب اللغة(7).

ص: 292

1- وفي لسان العرب: ج 12 ص 266 مادة زعم: (وزعيم القوم: رئيسهم وسيدهم... والجمع زعماء، والزعامة: السيادة والرياسة).

2- بحار الأنوار: ج 64 ص 71 ب 1 ح 33.

3- وفي لسان العرب: ج 12 ص 266 مادة زعم: (والزعيم: الكفيل، زعم به يزعم زعماً وزعامة، أي كفل).

4- سورة يوسف: 72.

5- سورة القلم: 40.

6- مشكاة الأنوار: ص 70 ب 2 ف 3.

7- وفي لسان العرب: ج 12 ص 265 مادة زعم: (قال ابن بري: الزعم قد يأتي بمعنى الكفالة والضمان... وبمعنى القول والذكر... وبمعنى الوعد... وبمعنى الظن).

«فيكم»، أي: القرآن في متناول أيديكم، وليس بعيداً بحيث لا يمكن الاسترشاد به، وقد نص على الخلافة في آيات عديدة (1)..

وعلى قصة فدك في سورة الحشر (2)..

وسورة الإسراء (3)..

وسورة الروم (4). و«له»: أي لله سبحانه.

ص: 293

1- كقوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» سورة المائدة: 55، وغيرها من الآيات العديدة .

2- سورة الحشر: 6-7.

3- قال تعالى: «وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ» - سورة الإسراء: 26 - ففي التفاسير أنها نزلت في إعطائه (صلى الله عليه وآله) فدك لفاطمة (عليها السلام).

4- قال تعالى: «فَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ» - سورة الروم: 38 - ففي التفاسير أنها نزلت في إعطائه (صلى الله عليه وآله) فدك لفاطمة (عليها السلام).

القرآن عهد إلهي

مسألة: يجب الاعتقاد بأن القرآن الحكيم من الله تعالى وأنه عهده، قال تعالى: «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»⁽¹⁾.

وقال سبحانه: «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»⁽²⁾.

كما يلزم التأكيد على ذلك؛ فإن جماعة من الكفار - منذ ذلك اليوم وإلى اليوم - يقولون: إن القرآن من صنع رسول الله (صلى الله عليه و آله)، بل «قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»⁽³⁾.

وفي آية أخرى: «إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ»⁽⁴⁾.

والعهد: هو الأمر المؤكد الذي يلتقى في عهدة الإنسان؛ فإن هناك فرقاً بين العهد والوعد، فالعهد هو ما يكون القلب مؤكداً عليه كل تأكيد، أما الوعد فليس كذلك⁽⁵⁾.

ص: 294

1- سورة غافر: 2.

2- سورة الزمر: 1، سورة الجاثية: 2، سورة الأحقاف: 2.

3- سورة الفرقان: 5.

4- سورة النحل: 103.

5- وفي لسان العرب: ج3 ص311 مادة عهد: (العهد: الموثق).

وكذلك هناك فرق بين العقد والعهد(1)، ولذا يقال: (المعاهدات الدولية) دون (المعاهدات الدولية)، ويقال: (عقد البيع) دون (عهد البيع). قال سبحانه: «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ»(2) ولم يقل: (أوفوا بالعهود)(3) وإن فسره بعض المفسرين بذلك(4).

قولها (عليها السلام): «وعهد»؛ لأن الله عهد إليهم بالقرآن، قال تعالى: «لَتَبَيَّنَّهَ لِلنَّاسِ»(5) أي: فكيف لا تبينونه؟.

عدم تحريف القرآن

مسألة: يجب الاعتقاد بكون القرآن لم يزد فيه ولم ينقص منه شيئاً، ولم ينله يد التحريف إطلاقاً، وربما يستفاد ذلك من قولها (عليها السلام): «عهد قدمه إليكم

ص: 295

1- وفي تفسير مجمع البيان ج3 ص258 سورة المائدة: (والفرق بين العقد والعهد: إن العقد فيه معنى الاستيثاق والشد، ولا يكون إلا بين متعاقدين. والعهد قد ينفرد به الواحد، فكل عهد عقد، ولا يكون كل عقد عهداً). وفي تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان) في تفسير الآية المباركة: (أوفوا بالعقود، الجمع المحلى يفيد العموم، أي كل العقود، وعقود جمع عقد، وهو كل التزام وميثاق بين جانبيين، فتشمل عقود الناس بعضهم مع بعض، والمعاهدات الدولية، والمواثيق التي بين الله وبين خلقه).

2- سورة المائدة: 1.

3- راجع للتفصيل كتاب موسوعة الفقه: كتاب البيع المجلد الأول ص 79-82 قسم المعاطاة، تحت عنوان: آية العقود.

4- راجع تفسير القمي: ج1 ص160 سورة المائدة. وتفسير العياشي: ج1 ص289 سورة المائدة ح5، وتفسير التبيان: ج3 ص414 سورة المائدة.

5- سورة آل عمران: 187.

وبقية...»، وإلا لم يكن (عهداً قدمه إلينا)، و(لا بقية استخلفه علينا). وقد صرح بعدم تحريف القرآن كبار علماء الشيعة (1).

ص: 296

1- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج 2 ص 243-249، و(الفقه: حول القرآن الحكيم) للإمام المؤلف (قدس سره)، وسيأتي البحث عن ذلك بعد قليل. ومن المناسب أن نذكر هنا نص ما كتبه الإمام الشيرازي (قدس سره) في كتابه (ولأول مرة في تاريخ العالم) لأهميته وتميماً للفائدة: الوحي وآخر آية من القرآن في (المناقب) عن ابن عباس، أنه قال: لما نزل قوله تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» - سورة الزمر: 30 - قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ليتني أعلم متى يكون ذلك». هذا وهو (صلى الله عليه وآله) يعلم الغيب بإذنه تعالى ووحيه - فنزلت سورة النصر، فكان بعد نزولها يسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين التكبير والقراءة ثم يقول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه». فقيل له في ذلك؟ فقال: «أما أن نفسي نعت إلي»، ثم بكى بكاءً شديداً. فقيل: يا رسول الله، أوتبكي من الموت وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال (صلى الله عليه وآله): «فأين هول المطلع، وأين ضيقة القبر، وظلمة اللحد، وأين القيامة والأهوال؟! - أراد النبي (صلى الله عليه وآله) الإلماع إلى الأهوال لا أنه (صلى الله عليه وآله) يبتلى بها - ثم قال: فعاش (صلى الله عليه وآله) بعد نزول هذه السورة عاماً. - راجع المناقب: ج 1 ص 234 فصل في وفاته (صلى الله عليه وآله) - ثم نزلت آيات وآيات حتى إذا لم يبق على ارتحال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من هذه الدنيا سوى سبعة أيام نزلت: «وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» سورة البقرة: 281 فكانت هذه الآية - على بعض الروايات - هي آخر آية من القرآن الكريم نزل بها جبرائيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال له: «ضعها في رأس المائتين والثمانين من سورة البقرة» - تفسير شبر: ص 83 - كما أن أول آية من القرآن كان قد نزل بها جبرائيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) هي قوله تعالى: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» - سورة العلق: 1- الآيات. فأول آية من القرآن ابتداء بأول يوم من البعثة النبوية الشريفة، وآخر آية من آيات القرآن اختتمت الأيام الأخيرة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وما بينهما من فترة كان نزول ما بين هاتين الآيتين، وتلك الفترة استغرقت مدة ثلاث وعشرين سنة. من جمع القرآن؟ وهنا ما يلفت النظر ويجلب الانتباه وهو قول جبرائيل للنبي (صلى الله عليه وآله) عند نزوله بالآية الأخيرة - كما في الرواية - «ضعها في رأس المائتين والثمانين من سورة البقرة»، فإنه صريح في أن الله تعالى أمر نبيه (صلى الله عليه وآله) بجمع القرآن وبترتيبه ترتيباً دقيقاً حتى في مثل ترقيم الآيات، وقد فعل النبي (صلى الله عليه وآله) وآله ذلك في حياته (صلى الله عليه وآله) كما أمره الله تعالى، ولم يكن (صلى الله عليه وآله) يترك القرآن متفرقاً حتى يجمع من بعده. وهل يمكن للرسول (صلى الله عليه وآله) مع كبير اهتمامه وكثير حرصه على القرآن الكريم أن لا يقوم بجمع القرآن وترتيبه! وأن يتركه مبعثراً في أيدي المسلمين ويوكل جمعه إليهم، مع أن الوحي أخبره بقوله: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» - سورة الزمر: 30 - فهل يصح أن يكون (صلى الله عليه وآله) حريصاً على القرآن من جهة - حتى أنه (صلى الله عليه وآله) كان يأمر بحفظ القرآن والاهتمام به والتحريض على تلاوته والعمل به وخاصة في أيامه الأخيرة، حيث كان يقول مراراً: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» - وأن لا يجمع القرآن ويتركه مبعثراً من جهة أخرى؟. بل ليس القرآن هو دستور الإسلام الخالد، ومعجزته الباقية على مر القرون والأعصار إلى يوم القيامة؟. ومعه هل يصح أن يتركه النبي (صلى الله عليه وآله) مبعثراً من دون أن يجمعه؟! أم كيف يأذن الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) بأن لا يقوم بجمعه مع أنه تعالى يقول: «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ» - سورة القيامة: 17 - ويقول تعالى أيضاً: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» - سورة الحجر: 9 - فعلى النبي (صلى الله عليه وآله) إبلاغ القرآن مجموعاً ومرتباً إلى الناس كافة كما جمعه الله تعالى ورتبه. إذن فهذا القرآن الذي هو بأيدينا على ترتيبه وجمعه، وترقيم آياته، وترتيب

سوره وأجزائه، هو بعينه القرآن الذي رتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجمعه للمسلمين في حياته (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى، لم يطرأ عليه أي تغيير وتحريف، أو تبديل وتعديل، أو زيادة ونقصان. ويؤيده ما روي عن تفسير علي بن إبراهيم، عن الإمام الصادق (عليه السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه أمر علياً (عليه السلام) بجمع القرآن وقال (صلى الله عليه وآله): «يا علي، القرآن خلف فراشي في المصحف والحريير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة»، فانطلق علي (عليه السلام) فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه. - تفسير القمي: ج2 ص451 سورة الناس - . وفي (مجمع البيان) نقلاً عن السيد المرتضى (قدس سره) أنه قال: إن القرآن جمع في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالشكل الذي هو اليوم بأيدينا. وقال بمقالته قبله الشيخ الصدوق (قدس سره) والشيخ المفيد (قدس سره). وقال بمقالته بعده شيخ الطائفة الشيخ الطوسي (قدس سره)، والمفسر الكبير الشيخ الطبري (قدس سره) المتوفى سنة 548، وباقي علمائنا الأبرار إلى يومنا هذا. وعن زيد بن ثابت، أنه قال: (كنا نجمع القطع المتفرقة من آيات القرآن ونجعلها بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مكانها المناسب ولكن مع ذلك كانت الآيات متفرقة، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) أن يجمعها في مكان واحد وحذرنا من تضييعها). وعن الشعبي، أنه قال: جمع القرآن في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قبل ستة نفر من الأنصار. وعن قتادة، أنه قال: سألت أنساً عن أنه من جمع القرآن في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقال: أربعة نفر من الأنصار ثم ذكر أسماءهم. وعن علي بن رباح: إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) جمع القرآن هو وأبي بن كعب في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله). الشواهد الأخرى هذا بالإضافة إلى شواهد ومؤيدات أخرى تدل على أن القرآن الذي هو بأيدينا هو نفسه الذي جمع ورتب في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من غير زيادة ولا نقصان. منها: تسمية سورة الحمد بسورة الفاتحة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يعني أنها فاتحة القرآن مع أنها لم تكن السورة ولا الآيات الأولى التي نزل بها الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فتسميتها بفاتحة الكتاب في عهده (صلى الله عليه وآله) يشير إلى أن الكتاب كان مجموعاً بهذا الشكل الموجود بأيدينا اليوم، وسورة الحمد فاتحته كما هو اليوم فاتحته أيضاً. ومنها: إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يقول في حديث الثقلين المروي عن الفريقين متواتراً: «إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»، فالكتاب المجموع والمرتب يخلفه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمته لا الآيات المتفرقة، إذ لا يطلق عليها الكتاب وقد سبق الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وآله) في هذا التعبير حيث أطلق مراراً وفي آيات متعددة كلمة (الكتاب) على القرآن، إشارة إلى أنه مجموع ومرتب عنده تعالى في اللوح المحفوظ - كما قال به بعض المفسرين - وأنه تعالى أطلع رسوله (صلى الله عليه وآله) على جمعه وترتيبه لديه وأمره بأن يجمع القرآن على ما هو مجموع في اللوح المحفوظ ويرتبه وفق ترتيبه، وفعل النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك. ومنها: ما ورد من أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بختم القرآن في شهر رمضان وفي غيره من سائر الأيام، وبيان ما لختمه من الفضيلة والثواب حتى أن عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما قد ختموا القرآن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) عدة مرات، ولولا أن القرآن مجموع ومرتب لم يكن لختم القرآن معنى؛ لأن الختم يقال لما يبدأ من أوله وينتهي بآخره. ومنها: روايات تأمر بعرض الأحاديث المروية عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وعن أهل بيته (عليهم السلام) لمعرفة غنها من سمينها على القرآن الكريم، وتقول: ما وافق كتاب الله فقد قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقاله أهل البيت (عليهم السلام)، وما خالف الكتاب فهو زخرف وباطل وأنهم لم يقولوه، فقد أحالتنا هذه الروايات إلى هذا القرآن الذي هو بأيدينا لمعرفة الحق من الباطل مما يدل على سلامته من كل زيادة ونقصان وتبديل وتحريف، وإلا لم يصلح أن يكون مرجعاً لمعرفة الحق من الباطل. ومنها: ما ورد من أن القرآن كله كان مكتوباً موضوعاً بين المحراب والمنبر وكان المسلمون يكتبون منه. ومنها: ما ورد من أن جبرائيل (عليه السلام) كان يعرض القرآن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل عام مرة، وعرضه عليه (صلى الله عليه وآله) في عامه الأخير مرتين. ومنها: ما روي من أن جماعة من الصحابة كانوا قد حفظوا القرآن كله في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله). ولا يخفى ذلك على من راجع تفسير القرآن للعلامة البلاغي (قدس سره)، ولوالدي (رحمة الله) - آية الله العظمى السيد ميرزا مهدي الشيرازي (قدس سره) - كلمة حول ذلك طبع في إحدى أعداد (أجوبة

المسائل الدينية) في كربلاء المقدسة. هذا بالإضافة إلى أن هناك آيات وروايات تشير إلى أن القرآن نزل على رسول الله (صلى الله عليه و آله) مرتين: مرة نزل بمجموعه على قلب رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما قال تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» - سورة القدر: 1 - ومرة نزل عليه نجوماً ومتفرقاً عبر ثلاث وعشرين سنة في المناسبات والقضايا المتفرقة، والنبى (صلى الله عليه و آله) قد وعى قلبه القرآن الذي نزل عليه أولاً - مجموعاً ومرتباً، فجمع القرآن الذي نزل عليه ثانياً نجوماً ومتفرقاً حسب جمع القرآن الأول، ورتبه وفق ترتيبه، وهو بعينه القرآن الذي هو اليوم بأيدينا. إلى غير ذلك مما يشير بمجموعه إلى أن هذا القرآن الذي هو اليوم بأيدينا هو القرآن الذي جمع بأمر من الله ورسوله (صلى الله عليه و آله) في عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) لم يزد حرفاً ولم ينقص حرفاً، ولم يتغير شيء منه ولم يتبدل أبداً، كيف وقد قال تعالى: «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ» - سورة فصلت: 42 -، انتهى.

القرآن خليفة الله في الأرض

مسألة: يجب أن يكون منهج التعامل مع القرآن الحكيم بحيث يعكس على جوانح الإنسان وجوارحه خلافته لله تعالى في الأرض.

كما يجب حفظ القرآن وتعظيمه واحترامه والاهتمام به (1).

إذ قولها: «استخلفها عليكم»، أي: اتخذها خليفة لنفسه.

وكما يجب تعظيم الله سبحانه وتوقيره، كذلك يجب تعظيم خليفته - وهو القرآن - وتوقيره والالتزام بأوامره ومناهجه.

ص: 300

1- راجع وسائل الشيعة: ج 6 ص 165 ب 1، والوسائل: ج 6 ص 169 ب 2، والوسائل: ج 6 ص 170 ب 3، والوسائل: ج 6 ص 174 ب 4، والوسائل: ج 6 ص 176 ب 5، والوسائل: ج 6 ص 177 ب 6، والوسائل: ج 6 ص 179 ب 7، و...

ولا يخفى أن اتخاذ الخليفة لا ينحصر بحالة غياب المستخلف بل يكون مع وجوده أيضاً، كما في قوله تعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» (1) فتأمل.

وقالت (صلوات الله عليها): «وبقية»... وفي القرآن الحكيم: «بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ» (2)؛ لأن القرآن الباقي من آثار الله، فقد وقع التحريف في سائر كتب الله (3). قال تعالى: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ» (4).

وقد جعل الله سبحانه القرآن خليفته على الناس (5)، قال تعالى: «مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ» (6) كما جعل أهل البيت (عليهم السلام) خليفة عليهم.

وفي بعض النسخ: «وبقية استخلفنا عليكم»، فيكون المراد بالبقية: أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام). ولعل باب الاستفعال من جهة دلالته على الطلب فالأمر مطلوب، فكأنه قال: (خلافة نشأت عن الطلب الإرادي)، أو (بقية مطلوب إقرار خلافتها)، وقد يأتي باب الاستفعال بمعنى الفعل المجرد (7).

ص: 301

1- سورة البقرة: 30.

2- سورة هود: 86.

3- راجع كتاب ماذا في كتب النصارى؟ للإمام المؤلف (قدس سره).

4- سورة النساء: 46، سورة المائدة: 13.

5- قال في مجمع البحرين: ج 5 ص 51-55 مادة خلف: (الخليفة يقال ل:... المدبر للأمر من قبل غيره، والخليفة: السلطان الأعظم وكذلك من يقوم مقام الذهاب ويسد مسده، واللهم أنت الخليفة في السفر، أي: أنت الذي أرجوه وأعتد عليه في غيبتني عن أهلي أن تلم شعثهم وتقوم اردهم...)، ويأتي بمعنى الوكيل والنائب كما ذكره بعض المفسرين في آية: «مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ» - سورة الحديد: 7 -.

6- سورة الحديد: 7.

7- راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف (قدس سره).

وصف القرآن بجميل الصفات

مسألة: يستحب أن يشفع التلفظ ب (القرآن) وكذا كتابته بوصف من أوصافه، كما قالت (عليها السلام): «كتاب الله الناطق والقرآن الصادق...».

قال تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ»(1).

وقال سبحانه: «طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ»(2).

وقال تعالى: «ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ»(3).

وقال سبحانه: «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ»(4).

وقال تعالى: «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ»(5).

فإن ذكر الأوصاف الحسنة يوجب التحبيب والتوجيه نحو الشيء، كما أن ذكر الأوصاف السيئة بعكس ذلك يوجب التنفير عن الشيء.

ومن الواضح أن ذكر الأوصاف الإيجابية للشخص أو الشيء يوجب الالتفاف حوله أكثر فأكثر، وذكر السلبيات يستلزم انفضاض الناس وابتعادهم عنه.

واعتبار كون القرآن ناطقاً بلحاظ كونه في مقابل الكتاب التكويني لله

ص: 302

1- سورة الحجر: 87.

2- سورة النمل: 1.

3- سورة ق: 1.

4- سورة يونس: 1، سورة لقمان: 2.

5- سورة يوسف: 1، سورة الشعراء: 2، سورة القصص: 2.

سبحانه وتعالى، وهو ليس بهذه المنزلة؛ فإن القرآن كتاب الله التشريعي والكون كتاب الله التكويني، ولذا قال سبحانه وتعالى: «مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (1) على تقدير إرادة الكتاب التكويني - كما ذهب إليه البعض - فإنه احتوى على كل شيء له قابلية الوجود، فإن الله سبحانه وتعالى يمنح الوجود لمن تقضي الحكمة بوجوده أو يكون الأفضل وجوده (2) وإن كان يحتمل إرادة القرآن الكريم (3). فلذا لا منافاة بين أن يكون الكتاب ناطقاً وأن يكون صامتاً من جهتين، فقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «أنا كتاب الله الناطق» في واقعة صفين حينما أمر معاوية برفع المصاحف على الرماح (4) إنما هو في مقابل القرآن الصامت الذي لا ينطق ولا يتكلم حسب المعنى المعهود المتعارف. هذا ومن المعلوم أن نطق كل شيء بحسبه؛ لأن النطق يفيد معنى البيان (5).

ص: 303

1- سورة الأنعام: 38.

2- ربما يكون مقصود الإمام المؤلف (قدس سره) ب: (لمن تقضي الحكمة بوجوده) ما هو خير محض، وب (أو يكون الأفضل وجوده) ما خيره أكثر، من الأقسام الخمسة المذكورة في علم الكلام.

3- وقد احتتمل إرادة اللوح المحفوظ - راجع تفسير الجواهر الثمين: ج 2 ص 255، وتفسير شبر: ص 132، وكنز الدقائق: ج 4 ص 321 -، واحتتمل في بعض التفاسير إرادة الأعم من التكويني والتشريعي. وفي (تقريب القرآن إلى الأذهان) في تفسير الآية المباركة: (أي كتاب الكون، فإن الكون كتاب الله والموجودات كلماته).

4- راجع كشف الغمة: ج 1 ص 254 فأما حروبه في زمن خلافته (عليه السلام)، وفي إرشاد القلوب: ج 2 ص 249، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا بن أبي سفيان أنت تدعوني إلى العمل بكتاب الله وأنا كتابه الناطق».

5- قد يستفاد هذا من بعض كتب اللغة، فمثلاً قال في لسان العرب: ج 10 ص 354 مادة نطق: (وكتاب ناطق: بيّن).

صدق القرآن

مسألة: يجب الاعتقاد بأن القرآن صادق صادق مصدق، حدوثاً وبقاءً(1)؛ فإن القرآن صادق في أحكامه وقصصه وفي كل ما ذكره تفصيلاً أو إجمالاً وليس بالكذب ولا- بالهزل حتى في كلمة من كلماته. قال تعالى: «وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ»(2). وقال سبحانه: «وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ»(3).

ويمكن الاستشهاد بهذه الجملة من خطبتها (عليها السلام) أيضاً على عدم تحريف القرآن، خاصة مع لحاظ ما سبق من كونه زعيم الحق فيكم، وكونه عهداً إليكم ومستخلفاً عليكم، ومع لحاظ (أل) العهدية في (القرآن) كما نعتقده.

فإن القرآن الذي بين أيدينا هو القرآن الذي أنزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بلا زيادة حرف أو كلمة ولا تقيصة، بل ولا زيادة فتحة أو كسرة أو نقطة أو غيرها، كما أشرنا إلى ذلك في كتاب (الفقه: حول القرآن الحكيم)(4).

ص: 304

1- يظهر مما سيأتي أن المراد من (بقاء) الإشارة إلى عدم تحريفه وإنه لا ينحرف أبداً، قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» سورة الحجر: 9.

2- سورة فاطر: 31.

3- سورة الأحقاف: 12.

4- راجع موسوعة الفقه: ج 98 كتاب (حول القرآن الحكيم)، وكتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج 2 ص 243-249 كما مر.

.....
(و) هو (القرآن الصادق) وهاتان الجملتان (1) تبيان للجمل الثلاثة السابقة (2).

تحري الصدق

مسألة: يجب تحري الصدق واتخاذ شعاراً ودثاراً في الحياة، وفي مثل هذه الجملة تحريض على الصدق، قال سبحانه: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ» (3).

ومن الواضح أن الصدق في مورد الوجوب واجب، كما أنه في مورد الاستحباب مستحب، وأما الكذب فقد قال علي (عليه السلام): «لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده» (4).

وفي رواية: «لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع الكذب هزله وجده» (5).

حيث إن ذكر خلاف الواقع في الهزل ليس محرماً، كما قال به جمع من الفقهاء (6).

ص: 305

1- أي (كتاب الله الناطق)، و(القرآن الساطع).

2- أي: (زعيم حق...)، و(عهد قدمه...)، و(بقية استخلفها...).

3- سورة الزمر: 33.

4- الكافي: ج 2 ص 340 باب الكذب ح 11.

5- بحار الأنوار: ج 69 ص 262 ب 114 ح 41.

6- راجع (موسوعة الفقه): ج 2 ص 33 كتاب (المكاسب المحرمة)، وفيه: (مستثنيات الكذب مسألة: ثم إنه يستثنى من الكذب موضوعاً أو

حكماً أمور: الأول: الهزل، والهزل ليس بكذب حتى في غير الإنشاء - إذا كانت قرينته - أما في الإنشاء فلخروجه موضوعاً مع القرينة، وأما

في الأخبار فلخروجه حكماً. نعم قد يكون حراماً من جهة الإيذاء أو الإغراء أو ما أشبهه، فالتفصيل بين الإنشاء فلا حرمة، والأخبار ففيه

الحرمة غير ظاهر، إذ في الإنشاء إذا لم تكن قرينة مما ظاهره الأخبار، كقوله: هذا بطل، أيضاً يكون كذلك، ولذا لا يرمى المخبر هزلاً بأنه

كاذب. نعم، لا إشكال في أن الأفضل تركه، كما في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر، وخبر الخصال عنه (عليه السلام): «أنا

زعيم بيت في أعلى الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في رياض الجنة، لمن ترك المرء ولو كان محققاً، ولمن ترك الكذب وإن كان هازلاً،

ولمن حسن خلقه» - انظر بحار الأنوار: ج 69 ص 261 ب 114 ح 32 ط بيروت. وخبر الأصبع عن علي (عليه السلام): «لا يجد عبد طعم

الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده» - وسائل الشيعة: ج 12 ص 250 ب 140 ح 16226 - إلى غيرها كأخبار حارث وسيف - وسائل

الشيعة: ج 12 ص 250 ب 140 ح 16225 - وغيرهما. نعم، لا - إشكال في حرمة الكذب هزلاً - بالنسبة إلى من هو خلاف شأنه مثل

المعصومين (عليهم السلام) حتى إذا كان من قسم الإنشاء فتأمل. ولا فرق فيما ذكرناه من القول أو الفعل أو الإشارة، كما أنه كذلك بالنسبة

إلى الكذب الحرام. نعم قد لا يسمى اصطلاحاً هزلاً بل لطيفة أو مزاحاً كما فعله الرسول (صلى الله عليه وآله) مع علي (عليه السلام) في

قصة جعل النواة أمامه وقوله (عليه السلام): «الذي أكل مع النواة» وشبيهه قوله (صلى الله عليه وآله): «جري ذيلاً كذيل العروس» بحار

الأنوار: ج 16 ص 295 ب 10 ح 1، و «أركبك على ولد ناقة» بحار الأنوار: ج 16 ص 295 ب 10 ح 1 وفيه: «أنا حاملوك على ولد ناقة» وما

أشبهه. لكن الظاهر أن ما رووه - بطريق غير صحيح - من أنه (صلى الله عليه وآله) قال: «العجوز والشيخ والأسود لا يدخل الجنة» - بحار الأنوار: ج 16 ص 295 ب 10 ح 1 - محل نظر؛ فإنه على ما رووا إيذاء وإن لم يكن كذباً، والرسول (صلى الله عليه وآله) معصوم عن مثله قطعاً.

النور الإلهي

مسألة: القرآن الكريم نور ساطع وضياء لامع بنفسه، إلا أن الأعمال والأقوال والمناهج غير السليمة لأتباعه تكون كالحجاب الساتر والغمام المتكاثر الذي يحجب أشعة الشمس، كما أن أقوالهم وأعمالهم لو كانت قويمه مستقيمة فإنها ستسمح لنوره بالسطوع. فكان من الواجب الحفاظ - قولياً وعملياً - على هذا النور الساطع والضياء اللامع، كي يتجلى على البشرية بأبهى الصور وأكمل الأنحاء، وأي ظلم بل جريمة - أكبر وأقسى عن إسدال الستائر على هذا النور الساطع الإلهي والضياء اللامع الرباني؟ وقد ورد: «إن القرآن حق ونور»⁽¹⁾.

كما ورد عنه (عليه السلام): «إنا أهل بيت عندنا معاقل العلم وضياء الأمر»⁽²⁾.

القرآن نور وضياء

القرآن نور وضياء⁽³⁾

مسألة: يجب الاستتارة والاستتاءة بالقرآن الحكيم في ظلمات الحياة ومشاكلها، قال تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً»⁽⁴⁾.

ص: 307

1- بحار الأنوار: ج 33 ص 155 ب 16 ح 421.

2- مستدرک الوسائل: ج 17 ص 339 ب 14 ح 21526.

3- وفي كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص 214 ب 29: (وعلى سبيل التوسع قيل: إن القرآن نور؛ لأن الناس يهتدون به في دينهم كما يهتدون بالضياء في مسالكهم، ولهذا المعنى كان النبي (صلى الله عليه وآله) منيراً)، فتأمل.

4- سورة طه: 124.

وقال علي (عليه السلام): «الله الله في القرآن فلا يسبقنكم بالعمل بهغيركم»(1).

ولعل الجمع بين النور والضياء - مع لحاظ أن الضياء عادة يكون نابغاً من الذات، والنور عادة(2) يكون مكتسباً من الغير(3) - هو أن القرآن يضيء القلوب والأرواح والحياة، وأنه قد اكتسب نوره من الله سبحانه، وفي الأوصاف يكفي وجود نسبة ما، فلا يقال: إن الضياء في النفس، والنور في الغير (لا غير)، كما قال سبحانه: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا»(4) والمعنا إلى ذلك فيما سبق.

وقد يقال: إن (الضياء) بلحاظ أن النورانية ذاتية له كما هي للشمس(5)، فهو نور بنفسه.

و(النور) بلحاظ اكتسابها ولو بجعل منشأ الانتزاع(6) من الغير وهو البارئ جل وعلا.

وكلاهما لوحظ فيه كونه منيراً ومضيئاً للقلوب والأرواح والحياة، لمكان الوصف ب (الساطع) و(اللامع)(7)، فالقرآن نور لأنه ينير سبيل العقيدة والشريعة

ص: 308

1- نهج البلاغة، الرسائل: 47 ومن وصية له (عليه السلام) للحسن والحسين (عليهما السلام) لما ضربه ابن ملجم.

2- قيد (عادة) لقوله تعالى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» - سورة النور: 35 - فدقق.

3- راجع مجمع البحرين: ج 1 ص 272 مادة (ضوا).

4- سورة يونس: 5.

5- وكما أن الزوجية ذاتية للأربعة، والدسومة ذاتية للدهن.

6- كما في ذاتي باب البرهان وذاتي باب إيساغوجي (الكليات الخمس).

7- الساطع: اللامع المرتفع، واللامع: المضئيء، لمع أي: أضاء - مجمع البحرين: ج 4 ص 345 مادة سطم، والمجمع: ج 4 ص 388 مادة لمع.

والدنيا والآخرة، وليس متحدداً في بقعة صغيرة بل هو ساطع يشرق على العالم. وأما (اللامع) فإنه يفهم من معنى التحرك أيضاً؛ فإن النور يأتي لمعه لمعة وموجاً موجاً (1).

وها هنا نقطة يجدر الإشارة إليها وهي: إن لكل شيء خلقه الله تعالى نوراً، بمعنى أن له - من داخله - دليلاً يرشد إليه، وقد جعله الله بحيث يكون بنفسه كاشفاً عن نفسه (2) وبتجلياته مرشداً إلى حقيقة ذاته.

والقرآن الكريم «نور ساطع، وضياء لامع»، فكاشفاته لذاته في أجلى درجات الوضوح، ودلالته على حقايقته وعلى استخلاف الله تعالى له ... بأشد وأكمل أنحاء الدلالة. فهو الفرد الأكمل لما ورد في الحديث الشريف: «إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً» (3).

هداية الناس وإرشادهم

مسألة: ينبغي أن يكون الإنسان هادياً ومرشداً وسراجاً مضيئاً للمجتمع، فإن وصف القرآن الكريم بالنور والضياء إلماع إلى فضيلة هذين الأمرين وقيمتيهما

ص: 309

- 1- قد تكون استفادة هذا المعنى بالنظر لموارد الاستعمال المختلفة التي يفيد بعضها ذلك - راجع لسان العرب: ج 8 ص 324 مادة لمع - وقد تكون للقرينة المقامية أو المتفاهم العرفي.
- 2- فمثلاً الأ-مواج الصوتية والتموجات الفكرية والإشعاعات والأشعة والإفرازات الكيماوية وغيرها كلها تكشف عن الشيء وتوضح خصوصياته ومواصفاته، بل وأحياناً حتى كنهه، فتأمل.
- 3- الكافي: ج 2 ص 54 باب حقيقة الإيمان واليقين ح 4.

الكبيرة، وإلى فضيلة من وما يتحلى بهما (1) خاصة مع ملاحظة وصف النبي (صلى الله عليه وآله) ب: «كان خلقه القرآن» (2). وقال سبحانه: «وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ» (3). وقال تعالى: «وَسِرَاجًا مُنِيرًا» (4).

وبالنسبة إلى الكفار ونحوهم يقول الله سبحانه وتعالى حكاية عنهم في المحشر: «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا» (5).

فإن محل اكتساب النور الرباني هو الدنيا، أما الآخرة فإن الإنسان يحصد فيها ما كان قد زرع في دنياه من نور وظلمة، كما ورد في الروايات: «اتقوا الظلم؛ فإنه ظلمات يوم القيامة» (6).

وقال (عليه السلام): «الدنيا مزرعة الآخرة» (7).

فالنور والظلمة المعنويان (8) يصبغان في يوم القيامة نوراً وظلمة ماديين أيضاً، بمعنى أنهما يتجليان - فيما يتجليان - بهذا النحو من التجلي أيضاً.

ص: 310

1- التعدية بلحاظ إلغاء الخصوصية وفهم المناط عقلاً وعرفاً، وربما يقال: بأن كل أخبار من هذا القبيل يتضمن، أو يستلزم إنشاء من ذلك القبيل.

2- شرح نهج البلاغة: ج 6 ص 340 نبذ وأقوال في حسن الخلق ومدحه.

3- سورة الأنعام: 122.

4- سورة الأحزاب: 46.

5- سورة الحديد: 13.

6- الكافي: ج 2 ص 332 باب الظلم ح 10.

7- غوالي اللآلي: ج 1 ص 267 ف 10 ح 66.

8- أي الفضائل والردائل.

البصائر البينة

مسألة: ينبغي أن تكون البصائر والحجج بينة وواضحة، وقد جعل الله سبحانه القرآن كذلك، وذلك إتماماً للحجة ومقدمةً للهداية.

ونرى ذلك بوضوح في الكتاب الحكيم، وفي كلمات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) وفي خطبة الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

قال تعالى: «أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» (1). وقال سبحانه: «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» (2).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» (3).

قولها (عليها السلام): «بينة»، أي: واضحة ظاهرة، من البيان والظهور. و(البصائر): جمع (بصيرة) فعيل بمعنى الفاعل أي المبصرات، أي حججه وبراهينه ودلائله.

حجية ظواهر الكتاب

مسألة: ظواهر الكتاب حجة، ويدل على ذلك أدلة كثيرة مذكورة في مظانها (4)، وهذه الجمل وما سبقها وما سيلحقها من كلمات السيدة الزهراء (عليها السلام) من الأدلة على ذلك.

ص: 311

1- سورة إبراهيم: 10.

2- سورة البلد: 10.

3- المناقب: ج 1 ص 56 فصل فيما لاقى (صلى الله عليه وآله) من الكفار في رسالته، وفيه: (طارق المحاربي: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) في سوقة ذي الحجاز عليه حلة حمراء وهو يقول: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، وأبو لهب يتبعه ويرميه بالحجارة، وقد أدمى كعبيه وعرقويه وهو يقول: يا أيها الناس، لاتطيعوه فإنه كذاب!).

4- راجع (الوسائل إلى الرسائل) بحث حجية ظواهر الكتاب، و(الأصول) للإمام المؤلف (قدس سره).

وكيف لا يكون حجةً مع أن بصائره بينة وظواهره منجلية؟.

وكيف لا يكون حجةً وهو الضياء الساطع والنور اللامع؟.

وكيف لا يكون حجةً مع أن به تنال حجج الله المنورة؟.

وكيف لا يكون حجةً مع أن به تنال شرائعه المكتوبة؟.

فظواهر القرآن حجةً مطلقاً.

وما ليس له ظاهر فليس حجة، مثل: المتشابه وفواتح السور ونحو ذلك، فإن علمه عند أهله (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

وهناك التلازم بين الظهور وبين الحجية؛ لأن الظهور هو طريق فهم العقلاء مقاصد المتكلمين كما بين في (الأصول) مفصلاً (1).

و(السرائر): جمع (سريرة) من السرّ، فإن الأسرار الخفية من القرآن منكشفة لمن تدبر فيها واستعان بمن نزل القرآن في بيوتهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، ولذلك كانت دعوته سبحانه للتدبر فيه: قال الله تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ» (2). وقال سبحانه: «لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» (3).

فعمقه يظهر لمن تدبر فيه وليس من قبيل الطلاسم والغوامض والأحاجي والألغاز، كما يستعملها الكهان.

(منجلية): ظاهرة (ظواهره) فليس مثل الأشياء المستورة فلا غطاء عليه، وليس مثل كتب الفلسفة المعقدة بل هو كالشمس المشرقة في رابعة النهار.

ص: 312

1- راجع (الوصائل إلى الرسائل) للإمام المؤلف (قدس سره).

2- سورة النساء: 82، سورة محمد: 24.

3- سورة النساء: 83.

من هم أشياع القرآن؟

مسألة: يصدق (أشياع القرآن) حقيقة على من شايعه مطلقاً، إذ المراد بالأشياع: الأتباع، والأتباع الحقيقيون بقول مطلق: هم الذين يتبعون منهج قائدهم في كل صغيرة وكبيرة.

فيجب على الناس أن يجعلوا القرآن أمامهم وإمامهم، في الأصول والفروع، في السياسة والاقتصاد، وكافة مناحي الحياة، فإن المصداق الكامل لمشياع القرآن هو من كان كذلك، وإن أطلق أيضاً - من باب التسامح أو من باب الكلي المشكك - على من امتثل أوامره غالباً.

أما في المستحبات فالإتباع مستحب.

وكذلك بالنسبة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وفي التاريخ:

إن المرأة التي طلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) منها الرجوع إلى زوجها، قالت: يا رسول الله أ تأمرني؟ فقال (صلى الله عليه وآله): «لا، إنما أنا شافع»(1).

ص: 313

قولها (عليها السلام): «مغتبطة به أشياعه»، فإن الناس يغبطون(1) أتباع القرآن، وما هم عليه من العلم والفضيلة والعزة وسائر الفضائل ومقومات الحياة السعيدة بسبب عملهم بالقرآن.

وفي الدعاء: «واجعلني من أشياعه وأتباعه»(2).

وفي الحديث عنه (صلى الله عليه وآله): «... اللهم اغفر لعليّ وذريته ومحبيه وأشياعه وأتباعه»(3).

هذا على قراءته بنحو اسم المفعول وهو الأظهر.

ويمكن أن يُقرأ على اسم الفاعل والمعنى حينئذ: فرحة ومسرورة به أشياعه(4).

ص: 314

1- غبطته: إذا تمنيت مثل ما له من غير أن تريد زواله منه.

2- بحار الأنوار: ج 91 ص 266 ب 42 ح 1.

3- بحار الأنوار: ج 39 ص 98 ب 76 ضمن ح 9.

4- من معاني الغبطة: الفرح والسرور وحسن الحال، راجع لسان العرب: ج 7 ص 358 مادة غبط .

إتباع تعاليم القرآن

مسألة: يجب إتباع تعاليم القرآن في جميع جوانب الحياة؛ لأنه يقود إلى الجنة والرضوان، إضافة إلى أنه نوع شكر للمنعم، فيلزم - بحكم العقل - إتباعه.

نعم، الوجوب إنما هو في الواجبات، الأعم من أن يكون الفعل واجباً أو تركه.

أما إتباع القرآن في مستحباته فهو من المستحب كما هو واضح.

هذا وفي زيارة الجامعة: «بكم يسلك إلى الرضوان»⁽¹⁾؛ فإنهم (عليهم السلام) عدل القرآن⁽²⁾.

و(الرضوان) هو أعلى مراتب الرضا، والمراد به: رضا الله سبحانه، أو رضاهم (أي: الرضا النفسي).. قال تعالى: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (عليهم السلام) اذْجِعي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً»⁽³⁾.

ص: 315

1- من لا يحضره الفقيه: ج2 ص616 زيارة جامعة لجميع الأئمة (عليهم السلام) ح3213.

2- وسائل الشيعة: ج27 ص33-34 ب5 ح33144.

3- سورة الفجر: 27-28.

حرمة إتباع غير القرآن

مسألة: يحرم إتباع غير القرآن، أو تقديمه على القرآن؛ لأنه القائد الإلهي الوحيد الذي يضمن السعادة في الدارين.

وإثبات الشيء وإن كان لا ينفي ما عداه بما هو هو، إلا أن القرائن المقامية وكذا السياق قد تفيد الحصر والنفي، كما في هذه الجملة من كلامها (عليها السلام). فالقرآن هو النور وما عداه الظلمة، أما الرسول (صلى الله عليه وآله) والعترة (صلوات الله عليهم أجمعين) فهم حملة القرآن ومفسروه، كما ورد في الأحاديث بمضامين شتى(1).

مسؤوليات القائد

مسألة: يجب أن يكون القائد بحيث يقود أتباعه إلى الرضوان وإلى السعادة وفي الحديث عنه (صلى الله عليه وآله) قال: «يا علي، سألت ربي فيك... أن يجعلك قائد أمتي إلى الجنة فأعطاني»(2).

وعن علي (عليه السلام)، قال: «وأنا قائد المؤمنين إلى الجنة»(3).

ص: 316

1- راجع بصائر الدرجات: ج1 ص 38 ب19، والبصائر: ج4 ص 194 ب7.

2- بحار الأنوار: ج40 ص 71 ب91 ح106.

3- التوحيد: ص 165 ب22 ح2.

الاستماع للقرآن الكريم

مسألة: يستحب الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم، قال سبحانه: «وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا» (1)، وفي دعاء ختم القرآن عن الإمام زين العابدين (عليه السلام): «جعلته نوراً نهتدي به من ظلم الضلالة والجهالة بإتباعه، وشفاءً لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه» (2).

وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): «يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وغيرها، وإذا قرء عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع» (3).

وإنما جاء تعالى بلفظين (4) لإمكان أن يستمع الإنسان وهو يتكلم بلا إنصات (5)، فاللازم الاستماع والإنصات معاً.

ص: 317

1- سورة الأعراف: 204.

2- الصحيفة السجادية الكاملة: الدعاء 42 وكان من دعائه (عليه السلام) عند ختم القرآن.

3- وسائل الشيعة: ج 6 ص 215 ب 26 ح 7767.

4- في قوله سبحانه: «وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا» - سورة الأعراف: 204 - حيث الاستماع والإنصات. وفي تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان): الإنصات هو السكوت، ومن المعلوم أن الإنصات أخص من الاستماع، فإن الإنسان ربما يستمع إلى الكلام وهو يتكلم ولذا نص عليه، فإن الأدب أن يستمع الإنسان ولا يتكلم، وهذا الأمر للاستحباب ككثير من أوامر القرآن الكريم، كقوله: «فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا» - سورة النور: 33 - كما دلت على ذلك الأحاديث، انتهى.

5- الإنصات هو: الاستماع مع سكوت، أو توطين النفس على السماع مع السكوت، راجع التفاسير في تفسير الآية الشريفة، مثلاً: في تفسير مجمع البيان: ج 4 ص 418: (الإنصات: السكوت مع استماع، قال ابن الأعرابي: نصت وأنصت وانتصت: استمع الحديث وسكت). وراجع أيضاً مجمع البحرين: ج 2 ص 226 مادة (نصت) وغير ذلك. وفي لسان العرب: ج 2 ص 99 مادة (نصت): (الإنصات: هو السكوت والاستماع للحديث... أنصت ينصت إنصاتاً: إذا سكت سكوت المستمع).

ولذا ورد عنه (صلى الله عليه وآله): «العلم الإنصات، ثم الاستماع له، ثم الحفظ له، ثم العمل به، ثم نشره»(1).

أما وجوب الاستماع: فهو عند قراءة الإمام في الصلاة الجهرية حسب المسألة الفقهية المشهورة والتي ورد عليها الدليل، فتأمل.

و(استماعه): مصدر (استمع)، فإن أريد به المعنى المعهود من الاستماع، فقولها (عليها السلام): «مؤد إلى النجاة استماعه» بنحو المقتضي، إذ استماع الحق يسوق الإنسان نحو الالتزام به كثيراً ما.

ولكن قد يراد به المعنى الكنائسي وهو العمل، بأن يكون الاستماع كناية عن العمل، فمن عمل بالقرآن ينجو في الدنيا من المشاكل، وفي الآخرة من العذاب والعقاب، ويؤيد هذا المعنى موارد الاستعمال المتكثرة والآيات الشريفة(2).

ص: 318

1- راجع الكافي: ج 1 ص 48 باب النوادر ح 4.

2- فمثلاً: فسرت «سَمَاعُونَ لَهُمْ» - سورة التوبة: 47 - أي: مطيعون، و«غَيْرَ مُسْمَعٍ» - سورة النساء: 46 - أي: غير مجاب إلى ما تدعو إليه، و«فَإِنَّكَ لَا تُسْمَعُ الْمَوْتَى» - سورة الروم: 52 - أي: لا- تقدر أن توفق الكفار لقبول الحق، و(أعوذ بك من دعاء لا يُسمع) أي: لا يستجاب ولا يعتد... وهكذا، راجع (مجمع البيان) و(تقريب القرآن إلى الأذهان) وغيرهما من التفاسير. وفي الكلام العربي: (استمع إلى فلان) أي: أطعه. وفي (لسان العرب): ج 8 ص 162 مادة سمع: (قوله تعالى: «إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا» أي ما تسمع إلا من يؤمن بها، وأراد بالإسماع ها هنا: القبول والعمل بما يسمع؛ لأنه إذا لم يقبل ولم يعمل فهو بمنزلة من لم يسمع.. ومنه قولهم: (سمع الله لمن حمده) أي أجاب حمده وتقبله، يقال: (اسمع دعائي): أي أجب؛ لأن غرض السائل الإجابة والقبول.

التزام بين الاستماع والقراءة

مسألة: إذا تراحم الاستماع للقرآن مع تلاوة الإنسان نفسه، فقد يكون المقدم هو الأول في الجملة، بأن يترك القراءة ويستمع لما فيه من الاحترام الأكثر والتأثر الأكثر أيضاً، فتأمل.

وقد سبق أن ذلك المنافق (ابن الكوا) لما قرأ القرآن وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) في الصلاة، توقف الإمام (عليه السلام) عن القراءة حتى إذا انتهى عاد (عليه السلام) إلى القراءة، فلما قرأ ذلك المنافق القرآن مرة أخرى سكت الإمام (عليه السلام) ثم عاد إلى القراءة (1).

توجيه الآخرين نحو الاستماع

مسألة: يستحب تنبيه الآخرين على مطلوبة الاستماع إلى القرآن، خاصة إذا تلي في المجالس العامة كالفواتح وغيرها، هذا من الأمر المستحب، وقد قرر في

ص: 319

1- راجع مستدرك الوسائل: ج 4 ص 275 ب 21 ح 4687، وفيه: «كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يصلي وابن الكواء خلفه وأمير المؤمنين (عليه السلام) يقرأ. فقال ابن الكواء: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» - سورة الزمر: 5 - فسكت أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى سكت ابن الكواء، ثم عاد (عليه السلام) في قراءته حتى فعل ذلك ابن الكواء ثلاث مرات، فلما كان في الثالثة قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسُدَّ تَخَفُّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ» سورة الروم: 60.

باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن المعروف إذا كان مستحباً والمنكر إذا كان مكروهاً استحَب الأمر بالأول والنهي عن الثاني(1)، وقد قالت (عليها السلام): «مؤد إلى النجاة استماعه».

هذا والاستماع بما هو هو ينقسم إلى الأحكام الخمسة:

فالواجب: كالاستماع إلى الحق في موارد وجوبه.

والمستحب: كالاستماع إلى القرآن الكريم، وكقوله (عليه السلام): «من ترك الاستماع من ذوي العقول مات عقله»(2) فتأمل، وقال (عليه السلام): «عوّد أذنك حسن الاستماع»(3).

والمكروه: كالاستماع إلى اللغو غير المحرم منه، قال تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ»(4).

وقال سبحانه: «وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ»(5).

وقال علي (عليه السلام): «ولا تصغ إلى ما لا يزيد في صلاحك استماعه؛ فإن ذلك يصدي القلوب ويوجب المذام»(6).

والحرام: كالاستماع للغناء والغيبة.

فقد «نهى (صلى الله عليه وآله) عن الغيبة والاستماع إليها، ونهى عن النميمة والاستماع

ص: 320

1- راجع موسوعة الفقه: ج 48 ص 173 كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المسألة 2.

2- مستدرک الوسائل: ج 11 ص 207 ب 8 ضمن ح 12751.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 215 ق 3 ب 1 ف 1 متفرقات ح 4211.

4- سورة المؤمنون: 3.

5- سورة القصص: 55.

6- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 215 ق 3 ب 1 ف 1 متفرقات ح 4211.

إليها»(1).

والمباح: غير ذلك.

وهل هناك فرق بين السماع والاستماع حكماً؟

ذكرنا تفصيله في الفقه(2).

كراهة الانشغال عن الاستماع

مسألة: يكره التكلم وكذا الانشغال بسائر الأعمال عن الاستماع للقرآن عند قراءته، اللهم إلا لضرورة أو أمر أهم(3).

والكراهة إنما تستفاد بمعونة الخارج، وإلا فلا تلازم بين كراهة الفعل واستحباب الترك أو العكس، كما ذكرنا في مبحث المستحبات والمكروهات، وإن قيل بين الواجب والحرام نحو هذا التلازم(4)، فإذا وجب شيء حرم تركه، وإذا حرم شيء وجب تركه، وهذا ليس بمعنى حكيم في موضوع واحد، وإنما الحكم واحد فعلاً، وجوباً أو تحريماً، والآخر منتزع منه أو ظل له.

ص: 321

1- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 7 باب ذكر جمل من مناهي النبي (صلى الله عليه وآله) ح 4968.

2- راجع موسوعة الفقه، كتاب المكاسب المحرمة: ج 1 ص 254.

3- إن صح التعبير.

4- العقلي، فدقق.

التدبر في القرآن الحكيم

التدبر في القرآن الحكيم (1)

مسألة: يستحب التدبر في الآيات القرآنية حين وإثر استماعها بل مطلقاً، قال تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» (2).

وقال علي (عليه السلام): «تدبروا آيات القرآن واعتبروا به فإنه أبلغ العبر» (3).

ولعلّ هذا من علل الحثّ على الاستماع - في الروايات - إذ بالتدبر في الكتاب ينال الإنسان العديد من حجج الله تعالى مما لا يكتشف في بادي النظر، وبالتدبر تنال مجموعة كبيرة من (عزائمه) وما لحقها مما ذكر في كلامها (عليها السلام) إلى قولها: «شرائعه المكتوبة».

ويتضح ذلك أكثر بملاحظة قضاء أمير المؤمنين (عليه السلام)، بل بملاحظة الموارد الكثيرة التي استند فيها المعصومون (عليهم السلام) إلى القرآن الكريم (4).

ص: 322

1- حول هذا المبحث وكثير من المباحث السابقة واللاحقة يراجع (الفقه: حول القرآن الحكيم)، وكتب التفاسير للإمام المؤلف (قدس سره)، وكتاب (خواطري عن القرآن) لآية الله المعظم الشهيد السيد حسن الشيرازي (قدس سره)، وكتاب (كيف نفهم القرآن؟) و(التدبر في القرآن) لآية الله السيد محمد رضا الشيرازي K، وغير ذلك.

2- سورة محمد: 24.

3- غرر الحكم ودرر الحكم: ص 111 ق 1 ب 4 ف 4 التدبير في القرآن ح 1985.

4- مثلاً في قصة قطع يد السارق حيث استند الإمام الجواد (عليه السلام) إلى قوله تعالى: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» - سورة الجن: 18- راجع وسائل الشيعة: ج 28 ص 252-253 ب 4 ح 34690. وكذلك تحديد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أدنى مدة الحمل عبر الرجوع إلى آيتين من آيات القرآن: الآية الأولى هي: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» سورة البقرة: 233. والآية الثانية: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» - سورة الأحقاف: 15 - حيث إن عمر أمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر! فنبهه علي (عليه السلام)... راجع وسائل الشيعة: ج 21 ص 382 ب 17 ح 27360. وكذلك إجابة الإمام الصادق (عليه السلام) لمن سأله وقال: عثرت فانقطع ظفري فجعلت على إصبعي مرارة فكيف أصنع بالوضوء؟. قال (عليه السلام): «يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله قال عز وجل: «مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» - سورة الحج: 78 - امسح عليه». راجع تهذيب الأحكام: ج 1 ص 363 ب 16 ح 27.

وهناك الكثير ممن الأحكام الفقهية التي استند الفقهاء في استكشافها إلى التدبر في القرآن الكريم، كما يظهر ذلك من مراجعة كتب (الفقه) و(آيات الأحكام)(1)، كما أن هناك الكثير من البحوث الكلامية والأصولية بل والاجتماعية والاقتصادية(2) وغيرها التي استنبطت من (كتاب الله) عبر التدبر والتأمل والتفكير. هذا وقد ورد في روايات كثيرة الحض على ذلك، فمنها:

قوله (عليه السلام): «آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما

ص: 323

1- مثلاً قوله تعالى: «أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ» - سورة البقرة: 275 -، وقوله سبحانه: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ» - سورة النساء: 29 - وغيرهما حيث تدبروا في (البيع) وغيره. راجع للتفاصيل (المكاسب، البيع) للشيخ الأنصاري (قدس سره)، و(الفقه: البيع) للإمام المؤلف (قدس سره).

2- مثلاً قوله تعالى: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» - سورة الأنبياء: 22 -، و«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» - سورة المائدة: 55 -، و«لِيَذُوبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ» - سورة الأحزاب: 33 - و«فَلَكُمْ رُءُوسٌ أَمْوَالِكُمْ» - سورة البقرة: 279 -، و«تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ» - سورة آل عمران: 140 -، و«وَحَسِبُوا إِلَّا تَكُونُ فِتْنَةً» - سورة المائدة: 71 - و«لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» - سورة البقرة: 256 -.

.....
فيها»(1).

بل ربما أمكن القول باستفادة رجحان التدبر واستحبابه من هذه الجملة من خطبتها (عليها السلام): «مؤد إلى النجاة استماعه»؛ فإن الأمر بالاستماع يفيد ذلك عرفاً، مع لحاظ الفرق بين السماع والاستماع ولحاظ المقدمة.

بل قد يقال: بكون التدبر أكمل أفراد الاستماع، فتأمل.

هذا بالإضافة إلى ما ورد من قوله سبحانه: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»(2)، فتكون هذه الآية وشبهها مؤيدة لهذه الاستفادة العرفية.

القراءة بصوت حسن مؤثر

مسألة: يستحب قراءة القرآن بأحسن الأصوات وأشدّها تأثيراً؛ فإنها أدعى للتعاظ والاعتبار والخشوع.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ؛ فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حَسَنًا»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ حَلِيَّةٌ، وَحَلِيَّةُ الْقُرْآنِ الصَّوْتُ الْحَسَنُ»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إِنْ حَسَنَ الصَّوْتِ زِينَةُ الْقُرْآنِ»(5).

ص: 324

1- مستدرک الوسائل: ج4 ص238 ب3 ح4592.

2- سورة محمد: 24.

3- وسائل الشيعة: ج6 ص212 ب24 ح7759.

4- الكافي: ج2 ص615 باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ح9.

5- مستدرک الوسائل: ج4 ص273 ب20 ح4679.

وهذا كالبحت الآنف أيضاً مما يستفاد من كلماتها (عليها السلام) عرفاً أو مقدمة، مؤيداً بما ورد من «قراءة القرآن بألحان العرب»⁽¹⁾، وما أشبه ذلك⁽²⁾ من قراءتهم (عليهم الصلاة والسلام) القرآن بأصوات حسنة، فقد ورد: «إن علي بن الحسين (عليه السلام) كان أحسن الناس صوتاً، وكان يرفع صوته حتى يسمعه أهل الدار»⁽³⁾.

و: «إن علي بن الحسين (عليه السلام) كان يقرأ فربما مر به المار فصعق من حسن صوته»⁽⁴⁾.

و: «إن أبا جعفر (عليه السلام) كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان إذا قام في الليل وقرأ رفع صوته، فيمر به مار الطريق من الساقين وغيرهم فيقومون فيستمعون إلى قراءته»⁽⁵⁾.

و: «كان (عليه السلام) أحسن الناس صوتاً بالقرآن، فكان إذا قرأ يحزن وبكى السامعون لتلاوته»⁽⁶⁾.

ومنه يعرف أرجحية كل شيء من زمان أو مكان أو خصوصيات، أو جب الاستماع الأكثر أو مهّد الأرضية لذلك.

ص: 325

1- راجع الكافي: ج 2 ص 614 باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ح 3.

2- ك «اقرأ كما يقرأ الناس» - وسائل الشيعة: ج 6 ص 163 ب 74 ح 7630 -.

3- بحار الأنوار: ج 46 ب 70 ب 5 ح 45.

4- الكافي: ج 2 ص 615 باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ح 4.

5- مستطرفات السرائر: ص 604.

6- المناقب: ج 4 ص 318 فصل في معالي أموره (عليه السلام).

استخراج الحجج من القرآن

مسألة: ينبغي استخراج الحجج من القرآن الحكيم، وجعله محوراً للرد والاستدلال والحديث والحوار.

قال علي (عليه السلام): «إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب»⁽¹⁾.

وقد ذكر العلماء: إنه يمكن استكشاف العديد من العلوم عبر القرآن الكريم، منها: علم المحاجة؛ لأن القرآن بين حججاً قوية وكثيرة، يمكن أن نتعلم منها مناهج الاحتجاج، وهي ترشد إلى مصاديق فريدة له أيضاً، سواء حججه في العقيدة أو في الشريعة، فإن كل أصل أو فرع ذكر في القرآن الكريم علل بحجة وعقب بدليل - عادة - مثل قوله تعالى: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا»⁽²⁾.

وقوله سبحانه: «فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ»⁽³⁾.

ص: 326

1- نهج البلاغة، الخطب: 176 ومن خطبة له (عليه السلام) وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة.

2- سورة الأنبياء: 22.

3- سورة البقرة: 258.

وقال تعالى في الصلاة: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي»(1).

وفي الحج: «لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ»(2).

وفي الصوم: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»(3).

وفي الزكاة: «تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ»(4)، إلى غيرها.

فغالب ما في القرآن معلل ومستدل عليه بدليل عقلي فطري، تصريحاً أو تلميحاً أو تلويحاً (5) ولو في موضع آخر.

ص: 327

1- سورة طه: 14.

2- سورة الحج: 33.

3- سورة البقرة: 183.

4- سورة التوبة: 103.

5- فمثلاً: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» - سورة الفاتحة: 2-3 - فإن «رَبِّ الْعَالَمِينَ...» إلى آخره، يتضمن التعليل لـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» فلماذا نحمد الله؟. لأنه «رَبِّ الْعَالَمِينَ»، ولأنه «الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، ولأنه «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» أي: لأنه المبدأ لنا والمتفضل علينا، وييده مصيرنا ومآلنا... وهكذا - . للتفصيل الأكثر راجع (الفقه: حول القرآن الحكيم) للإمام المؤلف (قدس سره)، وكيف نفهم القرآن؟) لنجمله الفاضل.

عزائم القرآن و فرائضه

مسألة: يجب اتخاذ القرآن المصدر الأول لنيل عزائم الله وفرائضه.

كما يجب اتخاذ السنة النبوية (صلى الله عليه وآله) وكلمات المعصومين (عليهم السلام) مصدراً للتفسير والإيضاح.

قال علي (عليه السلام): «تمسك بحبل القرآن وانتصحه، وحلل حلاله وحرّم حرامه، واعمل بعزائمه وأحكامه»⁽¹⁾.

والعزيمة) تتضمن معنى اللزوم، وتطلق على ما يلزم فعله أو يلزم تركه⁽²⁾، ولذا يقال: هو عزيمة أو رخصة؟، وتفسيرها بالأخص تفسير بالمصداق⁽³⁾، نعم إذا ذكرت في مقابل المحارم أريد بها الواجبات فقط.

قولها (عليها السلام): «عزائمه» جمع عزيمة أي فرائضه.

و«المفسرة»: أي التي فسرها الرسول (صلى الله عليه وآله) وأوضح أنها عزائم وليست رخصاً؛ لأن القرآن يحتوي على الواجب والمستحب والحرام والمكروه والمباح، فالعزائم تحتاج إلى التفسير، وقد فسرها النبي (صلى الله عليه وآله) وآله الأطهار (عليهم السلام) بكلماتهم الوضاعة.

ص: 328

1- نهج البلاغة، الرسائل: 69 ومن كتاب له (عليه السلام) إلى الحارث الهمداني.

2- العزيمة: الأمر المقطوع عليه بلا- شبهة أو نسخ، والمراد بالأمر الأعم من الفعل والترك وغيرهما كما لا يخفى. مجمع البحرين: ج6 ص114 مادة عزم.

3- مثلاً تفسيرها ب: إرادة الفعل والقطع عليه.

وقد يكون المراد من «عزائمه المفسرة» المفسرة كنهاً، أي التي فسرهما الرسول (صلى الله عليه وآله) وأوضح ماهيتها وحقيقتها؛ لأن القرآن الكريم يشير عادة إلى عناوين الواجبات لا إلى تفاصيلها، فمثلاً قوله تعالى: «أَقِمِ الصَّلَاةَ»⁽¹⁾، فالصلاة عزيمة قرآنية أوضح الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن المراد منها تكبير وركوع وسجود وتشهد و... بالنحو الخاص، حيث قال (صلى الله عليه وآله): «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»⁽²⁾.

وفي هذه الجملة إشارة لطيفة إلى ضرورة شفع الكتاب الكريم بالسنة، إذ «به تنال... عزائمه»، ولكن أية عزيمة؟.

وما هي؟.

هي: (المفسرة) بأقوال النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة الهداة (عليهم السلام).

ص: 329

1- سورة العنكبوت: 45.

2- بحار الأنوار: ج 82 ص 279 ب 34.

ترك المحرمات

مسألة: يجب التقيد بترك ما ذكر في القرآن الكريم من المحرمات، كما يجب تحذير المجتمع من ارتكابها بمختلف أنواعها: القمار، شرب الخمر، الزنا، النزاع بالباطل، الغيبة، وغير ذلك.

قال تعالى: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» (1).

وقال سبحانه: «وَلَا يَعْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (2).

وقال تعالى: «لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (3).

وقال سبحانه: «لَا تَنَارَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ» (4).

وقال (عليه السلام): «الإيمان لا يكمل إلا بالكف عن المحارم» (5).

وقال (عليه السلام): «يا عباد الله، اتقوا المحرمات كلها» (6).

ص: 330

1- سورة المائدة: 90.

2- سورة الحجرات: 12.

3- سورة طه: 131.

4- سورة الأنفال: 46.

5- علل الشرائع: ج 1 ص 249 ب 182 ح 5.

6- بحار الأنوار: ج 26 ص 234 ب 3 ح 1.

وقال (عليه السلام): «من أشفق من النار اجتنب المحرمات»⁽¹⁾.

ولا يخفى أن هناك فرقاً بين جملة «أشياعه» وبين جملتي «به تنال عزائمه... ومحارمه»؛ لأن الأشياح هم الأتباع في الأعم من العزائم والمحارم وغيرهما، إذ القرآن مشتمل على القصص والتاريخ والعقائد وقضايا أخرى، فليس خاصاً بالعزائم والمحارم، وكون الأشياح مفيداً للعموم لا ينافي ذكر الخصوص؛ لأهمية الخصوص، وعلى الاصطلاح هذا من ذكر الخاص بعد العام.

التخصص في آيات الأحكام

مسألة: يستحب أن تتخصص ثلة في تفسير عزائمه وأحكامه وفي استكشاف المصاديق. كما يجب على الجميع بنحو الوجوب الكفائي تفسير عزائمه وأحكامه.

والاستحباب والوجوب يختلفان حسب اختلاف ما يفسر ويذكر، واستحباب التخصص ووجوبه تابع لكونه مقدمة لنيل العزائم والأحكام الأخرى.

قال تعالى: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»⁽²⁾.

ص: 331

1- روضة الواعظين: ج 1 ص 43 باب في فضل التوحيد.

2- سورة التوبة: 122.

الرجوع إلى المفسرين

مسألة: حيث إن غالب الناس ليس بمقدورهم عادة الوصول إلى عزائم الكتاب وفرائضه وما أشبه، لذلك كان من الواجب أن يبحثوا عن من يفسر لهم عزائم الكتاب وأن يرجعوا إليه. ف (نيلها) أعم من كونه بالمباشرة أو بالواسطة.

والمفسرون الحقيقيون هم أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، فقد ورد بأنهم (عليهم السلام) أعطوا تفسير القرآن الكريم وتأويله (1).

قال تعالى: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» (2).

وقال (عليه السلام): «نحن نعلمه» (3)، وإلا فالتفسير بالرأي من أشد المحرمات، قال (صلى الله عليه وآله): «من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب» (4).

وقال (عليه السلام): «ليس شيء أبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن» (5).

وعنه (عليه السلام): «من فسّر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر» (6).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» (7).

ص: 332

1- راجع بصائر الدرجات: ج4 ص194 ب7.

2- سورة آل عمران: 7.

3- وسائل الشيعة: ج27 ص196-197 ب13 ح33580.

4- العدد القوية: ص89 نبذة من أحوال الإمام الحجة (عليه السلام).

5- بحار الأنوار: ج89 ص100 ب8 ح72.

6- وسائل الشيعة: ج27 ص60 ب6 ح33195.

7- غوالي اللآلي ج4 ص104 الجملة الثانية ح154.

التحذير من المحرمات

مسألة: يستفاد كثيراً ما - حسب القرائن المقامية ومناسبة الحكم والموضوع - من الوصف بشيء مطلوبيته، والمقام من صغريات ذلك، فيستحب التحذير بعد بيان المحرمات لا مجرد ذكرها فقط، بل يجب ذلك في مورد يوجب التحذير الاجتناب، ولذا قال سبحانه: «لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»(1).

وقال تعالى: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ»(2).

والمراد: الأعم من المحرم فعله أو المحرم تركه؛ فإن الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، كما ورد في الحديث(3).

قولها (عليها السلام): «المحذرة»، أي: التي تحذر الإنسان عن ارتكابها مما يوجب شر الدنيا والآخرة.

ص: 333

1- سورة التوبة: 122.

2- سورة النور: 63.

3- نهج البلاغة، قصار الحكم: 78.

وبيّناته الجالية(1), وبراهينه الكافية(2)،

الاعتماد على الأدلة الجلية

مسألة: في التحاوور ينبغي الاستعانة ب (البيّنات الجلية) و(البراهين الكافية) - كما في القرآن الحكيم - فإن غير الجلي وغير الوافي من الأدلة قد يشعر الطرف بالعجز أو النقص، وقد يزيده تشكيكاً، ولا يكفي كونه برهاناً في مرحلة الثبوت، بل يجب أن يكون كافياً في مرحلة الإثبات أيضاً.

وكل ذلك في المورد المستحب مستحب، وقد يكون واجباً كما ذكرنا مثل ذلك في كثير من الجمل السابقة.

قال تعالى: «وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ»(3).

وقال سبحانه: «فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ»(4).

وقال عزوجل: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ سَمْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ»(5).

ص: 334

1- وفي بعض النسخ: «وبيّناته الجالية» راجع الاحتجاج: ص 99 احتجاج فاطمة الزهراء (عليها السلام) على القوم لما منعوها فذك. وفي بعضها: «وتبيّانه الجالية» راجع بلاغات النساء: ص 28 كلام فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

2- وفي بعض النسخ: «وجمله الكافية» راجع بلاغات النساء: ص 28 كلام فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

3- سورة يونس: 15، سورة مريم: 73، سورة الحج: 72، سورة سبأ: 43، سورة الجاثية: 25، سورة الأحقاف: 7.

4- سورة آل عمران: 97.

5- سورة الإسراء: 101.

كما ورد بالنسبة إليه (صلى الله عليه وآله): «والذي بعثه بالآيات المحكمة، والبراهين الواضحة»⁽¹⁾.

و(البيّنات) أي: الأدلة، ولعل الفرق بين (البرهان) و(البيّنة) أن البرهان هو الدليل، والدليل قد يكون بيّناً وقد لا يكون بيّناً، فهو في نفسه برهان وفي صفته بيّن، وإن عرفه البعض بأنه: الحجة الفاصلة البيّنة⁽²⁾.

و(الجلية) أي: التي تجلو الحق، وهي الواضحة، وهي قيد توضيحي لا احترازي، وكذلك (الكافية).

و(براهينه): أدلته (الكافية) فليس فيها نقص أو عجز عن إثبات المراد، والبرهان هو الحجة على الشيء فقد يكون واضحاً فيسمى (بيّنة)، وقد يكون غامضاً، فتأمل.

ص: 335

1- من لا يحضره الفقيه: ج2 ص250 من أراد الكعبة بسوء ح2325.

2- لسان العرب: ج13 ص51 مادة برهن، وأما القاموس المحيط: ج4 ص201 فقد ذكر البرهان - بالضم - : الحجة.

الدعوة إلى الفضائل

مسألة: يستحب - وربما وجب - النذب إلى فضائل الكتاب (1).

والمراد بها: الأعم من الواجبات والمستحبات (المندوبة) إليها والمدعوة إليها؛ فإن القرآن يدعو الناس إلى الإتيان بالفضائل.

ولعل المراد ب (الفضائل): المستحبات فقط، بقريئة ذكر الواجبات قبل ذلك في قولها: «عزائمه» وبقريئة ما يأتي من الرخص.

ولعل عدم ذكر المكروه؛ لأن تركه فضيلة أيضاً (2)، وإن قال الفقهاء: لا تلازم بين كون الفعل مكروهاً والترك مستحباً، وكذا بين استحباب الفعل وكراهة الترك.

فقد ذكرت (عليها السلام) الواجبات: «عزائمه»، والمحرمات: «محرامه»، والمستحبات وترك المكروهات: «فضائله»، والمباحات: «رخصه»، وربما أدرجت المكروهات في حيث رخص الله في فعلها على ما فيها من الكراهة.

ص: 336

1- فإن الإطلاقات الدالة على ذلك كثيرة، وفي قولها (عليها السلام): «المندوبة» دلالة على ذلك بلحاظ أدلة التأسّي وغيرها.

2- وربما يكون الوجه: التفريق بين الفضيلة والاستحباب، فتأمل.

التعرف على المباحات

مسألة: ينبغي أن يتعلم الإنسان ما رخص فيه الله، ويدل على ذلك - مطلقاً أو في الجملة - أو يؤيده: ذكرها في الكتاب والسنة، لوضوح إن الذكر لأجل المعرفة والعمل، قال تعالى: «إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى»⁽¹⁾.

وقولها (عليها السلام): «به تنال... رخصه الموهوبة» مما يفيد رجحان نيلها، ولربما توقف تجنب الحرام على ذلك، وربما منع ذلك من إدخال ما ليس من الدين فيه، ولما في ذلك من التسبب لشكر المنعم جل وعلا، وقد أشارت (عليها السلام) إليه بـ «الموهوبة».

و«رخصه الموهوبة» أي: التي وهبها الله سبحانه، فلم يلزم بها لا وجوباً ولا تحريماً.

ومن الممكن أن يراد بالرخص: الأعم من المباحات والمكروهات؛ لأن المكروه أيضاً رخصة، كما أشرنا إلى ذلك. قال علي (عليه السلام): «يا كميل، لا رخصة في فرض ولا شدة في نافلة»⁽²⁾.

ص: 337

1- سورة طه: 3.

2- مستدرک الوسائل: ج 1 ص 145 ب 24 ح 219، والمستدرک: ج 11 ص 281 ب 24 ح 13019.

شمولية القانون

مسألة: يلزم أن يكون القانون شاملاً، متضمناً للمندوبات والمكروهات والمباحات أيضاً، لا أن يقتصر على الواجبات والمحرمات فحسب، وقد أشارت (عليها السلام) في الجمل السابقة إلى شمولية القرآن الكريم من هذا الحيث أيضاً.

فإن القانون الكامل هو الذي يشتمل على هذه الأحكام الخمسة، لوضوح أن الفعل يأمر به مع المنع من النقيض أو بدون منع منه مع الرجحان، وكذلك الترك في القسمين، وهناك مباح لا يرجح فعله ولا تركه.

وبعبارة أخرى:

المصلحة أو المفسدة قد تكون في الفعل، وقد تكون في الترك، وكل منهما قد تكون المصلحة فيه بحد الإلزام أو الرجحان فقط، فهذه أربعة أقسام، والخامس ما لا مصلحة أو مفسدة فيه.

وهنا بحوث أصولية وحكومية تراجع في مظانها.

وبذلك يظهر النقص في الدساتير التي لا تتطرق إلا للواجبات والمحرمات فقط (1).

ص: 338

1- راجع (الفقه: القانون) للإمام المؤلف (قدس سره).

القرآن والأحكام الشرعية

مسألة: يجب استنباط الأحكام الشرعية من القرآن.

ولا يخفى أن الاستنباط قد يكون بالدلالة المطابقة، أو التضمنية، أو الإلزامية، أو دلالة الاقتضاء، مثل الجمع بين آيتي: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» (1)، وقوله تعالى: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» (2)، حيث يعرف بجمعها: أن أقل الحمل ستة أشهر (3).

وقد يكون دلالة عرفية، خارجة من الدلالات المذكورة، كما ألمعنا إلى بعض ذلك في المباحث السابقة.

وجوب التقييد بشرائع الله

مسألة: يجب الالتزام بشرائع الله تعالى، أما العدول عنها إلى الشرائع الوضعية فمن المحرمات المؤكدة.

قال تعالى: «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» (4).

ص: 339

1- سورة البقرة: 233.

2- سورة الأحقاف: 15.

3- راجع وسائل الشيعة: ج 21 ص 382 ب 17 ح 27360.

4- سورة المائدة: 44.

وقال سبحانه: «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (1). وقال عز وجل: «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (2).

فما يرى في هذا اليوم من كثرة القوانين الوضعية المخالفة للشرع المبين فهو من أشد المحرمات كقوانين الجمارك و...

و(الشرائع) جمع شريعة، وهي: السنة والطريقة. و«شرائعه المكتوبة»: أي التي كتبها الله على عباده وألزمهم بالسير على حذوها.

وقد يكون المراد بها هنا (3) الإرث والقضاء والحدود وما أشبه، أو يكون المراد منها: الأعم الشامل لكل الأحكام الوضعية، كالبيع والرهن والإجارة والنكاح والطلاق وغيرها، من حيث الشرائط والموانع والصحة و...

ولقد تحدثت (صلوات الله وسلامه عليها) - حتى الآن - عن الباري جل وعلا وصفاته ونعمائه والخلقة والهدف منها، ثم تحدثت عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وحكمة بعثته وعظيم فضله وهدايته (صلى الله عليه وآله)، وألفتهم إلى ثقل مسؤوليتهم، وتحدثت عن القرآن الحكيم ومكانته ومحوريته ومواصفاته.

ثم انتقلت إلى هذا المقطع الذي بين يابجاز مذهب واف: فلسفة جملة من أحكام العقيدة والشريعة، ومنها الإمامة كما سيجيء، فقالت (عليها السلام): «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك»...

ص: 340

1- سورة المائدة: 45.

2- سورة المائدة: 47.

3- يبدو أن التقييد ب (هنا) لإفادة أن الشريعة لغة وعرفاً تطلق على الأعم، أي: على ما سنه الله وشرعه، ف(الشريعة) هي الدين، المنهاج، السنة... والتخصيص بما ذكر في المتن بملاحظة سياق كلامها (عليها السلام) وما سبقه من الجمل.

فجعل (1) الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك،

تطهير الباطن

تطهير الباطن (2)

مسألة: يستحب تطهير الباطن عن النوايا الخبيثة، كما يستحب تطهيره عن الملكات الرذيلة، وربما وجب ذلك - عقلاً، أو شرعاً أيضاً - من باب المقدمة.

كما يجب تطهيره عن العقائد المنحرفة؛ فإن القلب يتنجس كما يتنجس البدن، ونجاسة الباطن على أنواع، فهناك نجاسة العقائد الفاسدة، ونجاسة الملكات الرذيلة، ونجاسة النوايا الخبيثة.

والبدن إذا تنجس بالقذارات الظاهرية كان تطهيره بالماء وشبهه (3)، كما أن بعض القذارات يكون تطهيرها وتنظيفها من الميكروبات بالمعقمات المادية.

أما القلب والباطن فتطهيره يتم بشكل آخر، فلو غسل من يحمل في قلبه الحقد أو الحسد بكل مياه الدنيا لم يطهر، بل اللازم استعمال مطهر خاص من نمط معين، لكل واحد من نجاسات الباطن، ولذا كان: «مرض القلب أعضل، وعلاجه أعسر، ودواؤه أعز، وأطباؤه أقل» (4).

ص: 341

1- وفي بعض النسخ: «فترض» - راجع كشف الغمة: ج 1 ص 483 فاطمة (عليها السلام)، ودلائل الإمامة: ص 32 حديث فدك، وبلغات النساء: ص 28 كلام فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

2- حول هذا المبحث راجع (الفضيلة الإسلامية)، و(الفقه: الآداب والسنن) للإمام المؤلف (قدس سره).

3- كطهارة باطن القدم بالأرض، وكالتطهير بالشمس والأحجار وما أشبهه، راجع موسوعة الفقه: ج 5 ص 419-443، وج 6 ص 7-407 كتاب الطهارة مبحث المطهرات.

4- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 24.

وقال (صلى الله عليه وآله): «يكون الإيمان تطهيراً عن الشرك»⁽¹⁾.

وقال علي (عليه السلام): «فرض الله سبحانه الإيمان تطهيراً من الشرك»⁽²⁾.

فالإيمان تطهير عن رجس الشرك والكفر بالله تعالى، وإنكار المبدأ والمعاد والرسالة والرسول (صلى الله عليه وآله) والخلافة والخليفة (عليه السلام)، وما إلى ذلك من العقائد.

ولذا قال سبحانه: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ»⁽³⁾.

وقال تعالى: «إِنَّهُمْ رَجَسٌ»⁽⁴⁾. وقال سبحانه: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ»⁽⁵⁾ - بناءً على إرادة نجاسة المشرك المعنوية لا النجاسة البدنية -.

كما أن تطهير القلب من الملكات الرذيلة إنما يتم بتنقيتها وتحليتها بالملكات الحسنة، وهذا مما يستدعي غالباً طول عناء.

أما تطهير القلب عن النوايا الخبيثة فبمجاهدة النفس لإخراج تلك النوايا عنه، ولذا قال (صلى الله عليه وآله): «فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة»⁽⁶⁾، وفي القرآن الحكيم: «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»⁽⁷⁾.

ثم إن القلب المتنجس يفرز آثاره السيئة من الأضرار على الإنسان نفسه،

ص: 342

1- جامع الأخبار: ص 123 ف 80.

2- نهج البلاغة، قصار الحكم: 252.

3- سورة الحج: 30.

4- سورة التوبة: 95.

5- سورة التوبة: 28.

6- وسائل الشيعة: ج 10 ص 313 ب 18 ح 13494.

7- سورة الشعراء: 89.

بالإضافة إلى الإضرار بغيره غالباً، وقد ورد عن علي (عليه السلام): «لله در الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله»(1). وقال(2):

اصبر على حسد الحسود *** فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل نفسها *** إن لم تجد ما تأكله

فالحسود - مثلاً - يضرب نفسه، كما يلحق الأذى بالمحسود غالباً، نفسياً أو فكرياً أو مادياً.

والبخيل يضيق على نفسه ويفقد مكانته واحترامه، كما يمنع العطاء عن الغير.

والجبان يفقد كثيراً من فرص التقدم، كما يسبب الهزيمة للآخرين، إلى غير ذلك.

وفي الآخرة قال سبحانه: «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ»(3).

ولا يخفى أن الإنسان يحاسب حتى على نياته - في الدنيا - إذا اطلع عليها غيره، ولذا من يعرف أن فلاناً يريد سرقة لا يصاحبه، أو يريد الفجور بنسائه فإنه يتجنبه، بل للنوايا السيئة أثرها الوضعي وإن لم يطلع عليها أحد، كما أشرنا إليه سابقاً.

ص: 343

1- شرح نهج البلاغة: ج 1 ص 316 فصل في ذم الحاسد والحسد.

2- الشاعر ابن المعتز عبد الله بن محمد (247-296هـ).

3- سورة الهمزة: 6-7.

و(في الآخرة) أيضاً، قال سبحانه: «إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(1).

والتنزه عن النوايا الخبيثة والملكات الرذيلة قد يجب وقد يستحب، فمثلاً: يستحب التنزه عن الحسد الذي لا يظهر على الجوارح، ويجب التنزه عن الحسد المظهر أو ما كان منه مقدمة للحرام(2)، فتأمل. وكذلك البخل غير الظاهر فإن التنزه عنه فضيلة، أما البخل العملي الذي يؤدي إلى منع الحقوق المالية، كالخمس والزكاة وأداء الدين والقيام بشؤون النفقة الواجبة وشبه ذلك فإنه حرام(3)، وهكذا الأمر بالنسبة إلى كثير من الصفات المذكورة في علم الأخلاق.

ص: 344

1- سورة البقرة: 284.

2- راجع موسوعة الفقه: ج 93 كتاب المحرمات ص 103، وفيه: (الظاهر أن الحسد إذا لم يظهره الإنسان بيد ولا لسان لم يكن حراماً وإنما رذيلة نفسية ينبغي التخلص منها، ولذا قال سبحانه: «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» - سورة الفلق: 5 -، أما ما في صحيحة محمد بن مسلم، قال أبو جعفر (عليه السلام): «إن الرجل ليأتي بأدنى بادرة فيكفر، وإن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب» - وسائل الشيعة: ج 15 ص 365 ب 55 ح 20754 -، وفي صحيحة معاوية بن وهب قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «آفة الدين الحسد والعجب والفخر» - وسائل الشيعة: ج 15 ص 366 ب 55 ح 20758 - فالظاهر منهما ومن غيرهما الحسد الذي يظهر لا الحسد الذي لا يظهر وإنما هي صفة نفسية، ويؤيده ما في رواية الرفع من أن الحسد مرفوع ما لم يظهر بيد ولا لسان - وسائل الشيعة: ج 15 ص 370 ب 56 ح 20771 - وقد ذكر الفقهاء وعلماء الأخلاق الحسد في كتاب الشهادات وفي باب من كتب الأخلاق، والتفصيل مرجوع إليهما).

3- راجع موسوعة الفقه: ج 93 كتاب المحرمات ص 42، وفيه: (يحرم البخل في الجملة، وهو ما كان عن حق واجب، أما البخل عن المستحب فهو رذيلة وليس بحرام. قال سبحانه: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» - سورة آل عمران: 180 - وقد فسرت الآية في جملة من الروايات بمنع الزكاة، وفي صحيحة محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»؟. فقال: «يا أبا محمد، ما من أحد يمنع زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من النار مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفزع من الحساب - قال - وهو قول الله عز وجل: «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يعني: ما بخلوا من الزكاة» - تفسير العياشي: ج 1 ص 207 من سورة آل عمران ح 158 -.

علل الأحكام

مسألة: يستحب تطرق حملة راية التبليغ والإرشاد والهداية - سواء كانوا كتّاباً أو خطباءً أو مدرسين أو غير ذلك، بل كل من يأتي منه ذلك - لبيان فلسفة الأحكام والقوانين الإلهية الواردة في الكتاب والسنة، تأسياً بها (صلوات الله وسلامه عليها)، حيث أشارت (عليها السلام) إلى العلة في جملة مما أوجبه الباري (جل وعلا) أو ندب إليه من أصول الدين وفروعه وغيرهما، بل يجب ذلك أحياناً.

فإن القرآن والمعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) ذكروا وجه الحكمة أو العلة والفلسفة للكثير من المباحث والأحكام الإلهية، في الأصول والفروع والأخلاقيات والثواب والعقاب وغير ذلك، كما يظهر ذلك لمن تدبر القرآن الحكيم وكلمات الأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) (1).

ص: 345

1- راجع مثلاً كتاب (علل الشرائع) للصدوق (قدس سره)، و(موسوعة الفقه): ج 94-97 كتاب الآداب والسنن للإمام المؤلف (قدس سره)، وقد تطرق العلامة المجلسي (قدس سره) في (بحار الأنوار) للكثير من ذلك في كل موضوع مناسب.

وهذا يدل - بالإضافة إلى الكثير من الأدلة الأخرى المذكورة في مظانها (1) على أن الأحكام الشرعية والأصول والأخلاق إنما هي عقلية قبل أن تكون شرعية.

نعم، لا شك في أن جملة من الجزئيات داخلية في الكلّي العام، ولا يعلم اندراجها في الخصوصية.

مثلاً: قراءة القرآن واجبة في الصلاة، لكن هذا الكلّي ينطبق على الحمد والسورة، سواء في القيام أم الركوع أم السجود، والشارع رجح بعضها على بعض وقيدتها ببعض المصاديق، أما من جهة خصوصية في ذلك، بينها الشارع ولم تصل إلينا، أو لم يبينها وسيبينها الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) نظراً لا كتمال العقول عندئذ (2)، أو لا مطلقاً، أو من جهة أن العام يكتفى بفرد، إذ وجود الطبيعي يتحقق بتحقيق أحد أفرادها، ولم يخير الشارع المكلف بأن يقرأ في القيام أو في الركوع أو في أي موضع شاء رعاية للتنسيق العام، أو لجهة أخرى، فالجمع بين أمور عديدة أوجب هذا الجزئي الخاص، إلى غير ذلك.

الإيمان بالله

مسألة: يجب الإيمان بالله عز وجل وجوباً فطرياً وعقلياً ويحرم الشرك به (3).

ص: 346

1- يستند استدلال المؤلف (قدس سره) إلى البرهان الإنسي كما لا يخفى.

2- فعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، قال: «إذا قام قائمنا (عليه السلام) وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت بها أحلامهم». الكافي: ج 1 ص 25 كتاب العقل والجهل ح 21.

3- راجع (القول السديد في شرح التجريد): ص 274 المقصد الثالث الصانع تعالى، و(شرح المنظومة) للإمام المؤلف (قدس سره).

ويستفاد الوجوب من قولها: «فجعل...» على التقدير الثاني بوضوح.

والمراد بجعل (الإيمان) حيث قالت (صلوات الله عليها): «فجعل الإيمان» إما الجعل التكويني؛ لأنه أمر مجعول لله سبحانه وتعالى، إذ هو من مخلوقاته حيث إنه ليس عدماً ولا قديماً⁽¹⁾ ومن الواضح عدم التنافي بين المجعولية وبين الاختيار.

وإما الجعل التشريعي - ويؤيده السياق - أي أنه شرع على الناس أن يؤمنوا به عزوجل ولا يكفروا به وأنه حرم الشرك، وهذا الأمر والنهي إرشاد إلى حكم العقل، قال (عليه السلام): «إن الله هو العدل، وإنما بعث الرسل ليدعوا الناس إلى الإيمان بالله ولا يدعوا أحداً إلى الكفر»⁽²⁾.

هداية المشركين

مسألة: إذا كانت الغاية تطهير البشرية من الشرك، لقولها (عليها السلام):

«فجعل... تطهيراً لكم»، وقوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»⁽³⁾ كان من الواجب السعي لتحقيق هذه الغاية، أي السعي لهداية المشركين كلاً أو بعضاً هداية كاملة، كما وكيفاً، حسب المقدور والميسور، (فإن الميسور لا يسقط بالمعسور)⁽⁴⁾، و(ما لا يدرك كله لا يترك كله)⁽⁵⁾.

ص: 347

1- فيكون معنى (جعل الله الإيمان) أي أوجده، أما معنى الجعل التشريعي فهو: الأمر به.

2- بحار الأنوار: ج 11 ص 39 ب 1 ح 39.

3- سورة الذاريات: 56.

4- قاعدة فقهية، راجع (موسوعة الفقه) كتاب القواعد الفقهية للإمام المؤلف (قدس سره).

5- قاعدة فقهية، راجع (موسوعة الفقه) كتاب القواعد الفقهية للإمام المؤلف (قدس سره).

.....
والمراد بالمشركين: الأعم من الكافر الذي لا يعتقد بالله إطلاقاً، ومن المشرك الذي يجعل له سبحانه شريكاً، بقرينة المقام.

الطهارة من نجاسة الشرك

مسألة: إذا آمن المشرك طهر من نجاسة الشرك، كما قالت (عليها السلام): «تطهيراً».

فإن الكافر نجس نفساً، أو جسماً أيضاً - على القولين (1) - فإذا آمن طهر جسمه وطهرت نفسه؛ لأن من المطهرات: الإسلام كما ذكره الفقهاء في كتاب الطهارة (2).

إبلاغ الأحكام

مسألة: يلزم إبلاغ الناس أن الإيمان طهارة والشرك رجس، على عكس ما مني به بعض المسلمين من ضعف في النفس يحول بينهم وبين بيان كثير من الأحكام الشرعية، فإن الأحكام الإسلامية يجب إبلاغها للناس، كما أبلغت (عليها الصلاة والسلام) وفي ذلك تنفير من الشرك وتحبيب للإيمان، ففي مورد الوجوب يجب، وفي مورد الاستحباب يستحب، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ص: 348

-
- 1- ذهب الإمام المصنف (قدس سره) إلى طهارة الكتابي جسماً، راجع موسوعة الفقه: ج 4 ص 182-204 كتاب الطهارة، والمسائل الإسلامية: ص 89، المسألة 114، الطبعة 36، عام 1421هـ/2000م، مؤسسة المجتبى بيروت - لبنان.
 - 2- راجع موسوعة الفقه: ج 6 ص 283-335 كتاب الطهارة، مبحث المطهرات: الثامن.

.....
نعم يجب أن يكون بيان الأحكام مقروناً «بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»⁽¹⁾، مشفوعاً بالأدلة والشواهد والمقربات.

ولربما اقتضت الحكمة التدريجية أيضاً، فيما إذا كانت التدريجية الطريق نحو الإقناع وشبهه، لا من باب الجبن والخوف، كما قال تعالى: «الَّذِينَ يَبُلِّغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ»⁽²⁾.

التقدم الرتبي للإيمان

مسألة: الإيمان بالله مقدم في الرتبة على الصلاة والأحكام الفرعية الأخرى، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ»⁽³⁾ ولهذا ينبغي العمل - أولاً - على زرع الإيمان بالله في قلوب الناس وبذل الجهد في هذا السبيل.

وترى هذا المعنى واضحاً في خطبة الزهراء (عليها السلام) حيث قدمت (صلوات الله عليها) هذا البند على البنود الآتية، وقد ذكرنا أن الواو قد تدل على الترتيب إذا لم تكن قرينة على الخلاف، فتأمل.

والظاهر أن المراد بالإيمان هو الإيمان بأصول الدين كلها: التوحيد والنبوة والمعاد، إذ كل من لم يؤمن بأحد هذه الأصول يكون نجساً نفساً، أو جسماً أيضاً، فمن لم يؤمن بالله يكون كافراً، وكذا من لم يعتقد بالنبوة أو بالمعاد، أما

ص: 349

1- سورة النحل: 125.

2- سورة الأحزاب: 39.

3- سورة النساء: 48 و116.

من لا- يعتقد بالولاية فلا- يقبل منه الإيمان، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «علي أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وإمام المسلمين، لا يقبل الله الإيمان إلا بولايته وطاعته»(1).

الكفر كالشرك

مسألة: الكفر كالشرك في الحكم، على ما يستفاد من كلامها (عليها السلام) أيضاً بقرينة الموضوع والحكم، فإنه قد يتصرف في الموضوع بسبب الحكم، وقد يتصرف في الحكم بسبب الموضوع، كما حقق في علم الأصول(2).

حكم المتردد والشاك

مسألة: المتردد والشاك(3) نجس أيضاً - على أحد المعنيين أو كليهما -

لا- المنكر فحسب، كما دل عليه العقل والنقل، فقد قالت (عليها السلام): «جعل الله الإيمان تطهيراً»، والشاك كالمنكر ليس بمؤمن كما يشهد به اللغة والعرف، وأن الإيمان صفة ثبوتية وجودية وكلا المذكورين فاقد لها، فتأمل.

وقد قال (عليه الصلاة والسلام): «لا ترتابوا فتشكوا، ولا تشكوا فتكفروا»(4).

ص: 350

1- بحار الأنوار: ج 38 ص 90-91 ب 61 ح 3.

2- فيها هنا (الإيمان) وهو أعم من طارد (الكفر والشرك) يكون قرينة على أن متعلق (تطهيراً) أعم من الشرك أيضاً.

3- في الإيمان بالله تعالى.

4- الكافي: ج 1 ص 45 باب استعمال العلم ح 6، والكافي: ج 2 ص 399 باب الشك ح 2.

وفي القرآن الحكيم: «فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ»(1).

إلى غير ذلك مما دل على هذا المبحث، كما لا يخفى على من راجع الكتب الكلامية والأحاديث المتواترة الواردة في هذا الباب(2).

قال علي (عليه السلام): «شر القلوب الشاك في إيمانه»(3).

وقال (عليه السلام): «أهلك شيء الشك والارتباب»(4).

وقال (عليه السلام): «الشك يفسد اليقين ويبطل الدين»(5).

وقال (عليه السلام): «الشك يحبط الإيمان»(6). وقال (عليه السلام): «الشك كفر»(7).

وقال (عليه السلام): «ما آمن بالله من سكن قلبه الشك»(8).

ص: 351

1- سورة التوبة: 45.

2- راجع موسوعة الفقه، كتاب الطهارة: ج3 ص523 من الطبعة الأولى، طبع قم.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص67 ق1 ب1 ف13 القلب المذموم ح912.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص71 ق1 ب1 ف15 ذم الشك ح1039.

5- غرر الحكم ودرر الكلم: ص71 ق1 ب1 ف15 الشك يفسد اليقين ح1046.

6- غرر الحكم ودرر الكلم: ص72 ق1 ب1 ف15 الشك يفسد الدين ح1051.

7- غرر الحكم ودرر الكلم: ص72 ق1 ب1 ف15 الشك يوجب الشرك ح1058.

8- غرر الحكم ودرر الكلم: ص87 ق1 ب2 ف6 أهمية الإيمان ح1464.

رجحان الصلاة

مسألة: الصلاة بمعناها الاصطلاحي (1) واجبة (2)، وبمعناها الأعم (3) راجحة مطلقاً. فإن الصلاة عطف وميل وتوجه نحو الله سبحانه و تعالى، وهي بين واجبة وبين مستحبة، أما حرمة الصلاة في بعض الأحيان مثل صلاة الجنب والحائض (4) وما أشبهه، فلمقارن لها أوجب مرجوحيتها إلى حد المنع من النقيض، وأما كراهة الصلاة كالصلاة في الحمام (5)، وصلاة المسافر إذا اقتدى بإمام ليس بمسافر أو بالعكس (6)، فالمقصود أقل ثواباً كما هو المقرر في محله.

تنزيه النفس

مسألة: ينبغي تنزيه النفس من الرذائل، وبعض مراتبها واجب، كما لا يخفى، قال تعالى: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (عليهم السلام) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (عليهم السلام) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (عليهم السلام) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» (7).

ص: 352

- 1- وهو: الصلاة المفروضة ذات الأركان الخاصة.
- 2- أي في الجملة، إذا كان المعنى الاصطلاحي أعم من المفروضة وشمل النوافل أيضاً.
- 3- وهو الدعاء وطلب نزول الرحمة الإلهية. وفي لسان العرب: ج 14 ص 464 مادة صلا: (الصلاة: الدعاء والاستغفار... والصلاة من الله الرحمة).
- 4- راجع موسوعة الفقه ج 10 و 11 كتاب الطهارة، في أحكام الجنب والحائض.
- 5- راجع المسائل الإسلامية: ص 237 المواضع التي تكره الصلاة فيها، المسألة: 959، الطبعة 36، عام 1421هـ/2000م، مؤسسة المجتبي بيروت - لبنان.
- 6- راجع المسائل الإسلامية: ص 334 المكروهات في صلاة الجماعة، المسألة: 1595.
- 7- سورة الشمس: 7-10.

التكبر

التكبر (1)

مسألة: تعليلها (عليها السلام) إقراره وجعله (جل وعلا) للصلاة بكونها منزهة عن الكبر، يفيد مرجوحية الكبر أو حرمة، وللحرمة درجات كالتكبر على الله (جل وعلا) وعلى رسله وأبيائه وأوليائه (عليهم السلام) وعلى سائر الناس (2). وقد فصلنا ذلك في الفقه (3).

ص: 353

- 1- راجع (الفضيلة الإسلامية)، و(الفقه: الآداب والسنن)، و(الأخلاق الإسلامية)، للإمام المؤلف (قدس سره).
- 2- وربما يكون بعض مراتبه مكروهاً، أما هل يكون بعض مصاديقه مستحباً؟ كما قيل: (التكبر على المتكبر عبادة)، وقال بعضهم: (من التواضع التكبر على الأغنياء) - تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج2 ص243 - بحاجة إلى تأمل.
- 3- راجع موسوعة الفقه: ج93 كتاب المحرمات ص321، وفيه: (يحرم الكبر مطلقاً سواء كان على الله وآياته، أو على رسله (عليهم السلام) أو على الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) أو على العلماء الراشدين الذين هم أمناؤهم، أو على المؤمن. قال سبحانه: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ» - سورة الأنعام: 93 - إلى غيرها من الآيات. وفي موثقة العلاء عن الصادق (عليه السلام)، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «العز رداء الله والكبر إزاره، فمن تناول شيئاً منه أكبه الله في جهنم» - وسائل الشيعة: ج15 ص374 ب58 ح20782 - إلى غيرها من الروايات المتواترة في هذا الباب، بل حرمة التكبر من البديهيّات. ومن أقسام الكبر الاستكبار عن الدعاء، فقد قال الباقر (عليه السلام) في صحيح زرارة: «إن الله عز وجل يقول: «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» - سورة غافر: 60 - قال: هو الدعاء» - تفسير البرهان: ج4 ص101 ح1 - إلى غيرها من الروايات.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إياكم والكبر! فإن إبليس حمله الكبر على ترك السجود لآدم (عليه السلام)» (1).

وقال (عليه السلام): «إن المتكبر ملعون... وإياكم والكبر؛ فإنه رداء الله عز وجل فمن نازعه رداءه قصمه الله» (2).

وقال (عليه السلام): «هلاك الناس في ثلاث: الكبر والحرص والحسد» (3).

وقال (عليه السلام): «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر» (4).

وإنما يكون الكبر في الله سبحانه وتعالى من صفات الجمال كما قال تعالى: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ» (5)؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الكبير المتعال ويقول مطلق، أما غيره فهو صغير فقير للغاية، بل قد يكون إطلاق الصغير والفقير عليه مسامحياً، إذ هو عين الفقر وصراف الربط والتعلق، فليس له من ذاته أي شيء على الإطلاق، ولا حق له في أن يتكبر، مهما كان له مال أو ولد أو حكومة أو عشيرة أو علم أو ما أشبه ذلك.

ص: 354

1- إرشاد القلوب: ص 129 ب 40.

2- دعائم الإسلام ج 2 ص 352 ف 1 ح 1297.

3- بحار الأنوار: ج 75 ص 111 ب 19 ضمن ح 6.

4- الكافي: ج 2 ص 310 باب الكبر ح 6.

5- سورة الحشر: 23.

هذا بالإضافة إلى أن التكبر في الإنسان يجره إلى سيئات أخرى، والله سبحانه منزه عن كل سيئة.

قولها (عليها السلام): «والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر»، حيث إن غفلة الإنسان عن الله سبحانه بنفسها تكبر، والغافل عنه - جهلاً أو تجاهلاً - متكبر حقيقة أو لباً(1)، والتكبر أساس للكثير من الرذائل، ولذا يظلم ويطغي ويفسد.

قال علي (عليه السلام): «التكبر يظهر الرذيلة»(2).

وقال (عليه السلام): «التكبر رأس الجهل»(3).

وقال (عليه السلام): «احذر الكبر؛ فإنه رأس الطغيان ومعصية الرحمان»(4).

وقال (عليه السلام): «الكبر داع إلى التعمم في الذنوب»(5).

وقد قال سبحانه: «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ»(6).

وقال تعالى: «فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ»(7)، حيث إن الكبر إذا صار ملكة في الإنسان فإنه يؤدي إلى المفسد والموبقات.

كما إن الإنسان المتواضع حيث صار التواضع ملكة له يتقدم؛ فإن التواضع من أسس التقدم ومن أهم أسباب التحلي بالفضائل والمحاسن.

ص: 355

1- اللف والنشر مشوش، فالمتجاهل غافل حقيقة، والجاهل لباً أي أنه غافل عملياً.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 310 ق 3 ب 3 ف 6 آثار التكبر ح 7151.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 248 ق 3 ب 2 ف 2 فضيلة التواضع ح 5137.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 309 ق 3 ب 3 ف 6 الكبر وذمه ح 7122.

5- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 310 ق 3 ب 3 ف 6 آثار التكبر ح 7152.

6- سورة البقرة: 10.

7- سورة الفتح: 26.

.....
وفي الحديث الشريف عن موسى بنجعفر (عليه السلام) في وصيته لهشام: «يا هشام، إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا،
فكذلك الحكمة تعمر في المتواضع ولا تعمر في المتكبر الجبار»(1).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة»(2).

وقال (عليه السلام): «التواضع رأس العقل»(3).

وقال (عليه السلام): «التواضع يرفع»(4).

وقال الشاعر(5):

تواضع تكن كالنجم لاح لعارض *** على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه *** إلى طبقات الجو وهو وضع

والصلاة تذكير دائم بالله «رَبِّ الْعَالَمِينَ»(6) العالم بدخائل الإنسان، المطمع سمعاً وبصراً وعلماً عليه.

ثم إنه سبحانه «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ»(7) وفي الصلاة أرقى صور التلقين والإيحاء النفسي، ولذا يتحول الإنسان المصلي من التكبر إلى التواضع،
وتتكرر الصلاة كل يوم خمس مرات كي يستمر هذا الإيحاء.

ص: 356

1- مستدرك الوسائل: ج 11 ص 299 ب 28 ح 13088.

2- منية المرید: ص 322 ب 3 ف 2.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 248 ق 3 ب 2 ف 2 فضيلة التواضع ح 5137.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 249 ق 3 ب 2 ف 2 بعض آثار التواضع ح 5158.

5- فرنسيس بن فتح الله بن نصر مراث (1252-1290هـ) مولده ووفاته في حلب.

6- سورة الفاتحة: 2.

7- سورة الفاتحة: 4.

.....
بالإضافة إلى أن فيها الركوع وهو خضوع للرب العظيم، والسجود وهو غاية الخضوع للرب الأعلى.

إلى غير ذلك من فلسفة الصلاة التي ذكرنا بعضها في كتاب (عبادات الإسلام) (1). هذا وفي الحديث: «إنما الكبر من تكبر عن ولايتنا وأنكر معرفتنا» (2).

ص: 357

1- من تأليفات سماحة الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) في كربلاء المقدسة، ويقع في 284 صفحة قياس 14x20. وقد تناول سماحته فيه فروع الدين: الصلاة، الصوم، الزكاة، الخمس، الحج، الجهاد، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، التولي، التبري وفلسفتها وبعض أحكامها. طبع في النجف الأشرف - العراق، كما طبع في بيروت - لبنان. قامت مؤسسة الفكر الإسلامي بيروت - لبنان بطبعه للمرة الثالثة عام 1414هـ/1993م. كما قامت بطبعه مكتبة الإمام الحسين (عليه السلام) - الكويت ضمن كتاب (هكذا الإسلام) عام 1399هـ/1979م. ترجمه إلى اللغة الفارسية تحت عنوان: (فروع دين) الشيخ مصطفى زماني (رحمة الله) في 311 صفحة قياس 14x20، وقد طبع مكرراً في قم المقدسة، كما طبع في أربعة أجزاء مستقلة أيضاً. وترجمه أيضاً إلى اللغة الفارسية تحت عنوان: (نقش عبادت در سازندكي انسان) العلامة السيد محمد باقر الفالي بتاريخ 1 رجب 1403هـ في 248 صفحة. كما ترجم الشيخ علي الكاظمي الفصل الأول منه تحت عنوان: (نماز)، طبع قم المقدسة. كما ترجم الشيخ مصطفى زماني (رحمة الله) الفصل الثاني منه تحت عنوان: (روزه).

2- مستدرک الوسائل ج 12 ص 35 ب 60 ح 13444.

الزكاة راجحة مطلقاً

مسألة: الزكاة راجحة مطلقاً، وقد تكون واجبة كما في الأمور التسعة المذكورة في الفقه(1)، والزكاة المستحبة كما في التجارات(2).

وفي الحديث عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: «إنما وضعت الزكاة قوتاً للفقراء، وتوفيراً لأموال الأغنياء»(3).

وعن الإمام الرضا (عليه السلام): «إن علة الزكاة من أجل قوت الفقراء، وتحصين أموال الأغنياء»(4).

وقال (عليه السلام): «إنما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء»(5). وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا منعوا الزكاة منعت الأرض

بركاتها»(6).

وقال علي (عليه السلام) في وصيته: «الله الله في الزكاة؛ فإنها تطفئ غضب ربكم»(7).

ص: 358

1- وهي: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، والذهب والفضة، والإبل والبقر والغنم.

2- راجع موسوعة الفقه: ج 29-32 كتاب الزكاة.

3- من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 4 باب علة وجوب الزكاة ح 1575.

4- وسائل الشيعة: ج 9 ص 12 ب 1 ح 11393.

5- غوالي اللآلي: ج 1 ص 370 ب 1 المسلك الثاني ح 74.

6- الكافي: ج 2 ص 374 باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح 2.

7- تهذيب الأحكام: ج 9 ص 177 ب 6 ح 14.

وهناك روايات كثيرة في ثواب إخراج الزكاة(1) وعقاب مانع الزكاة(2).

وقد يكون الزكاة المذكورة في القرآن الحكيم وكلمات المعصومين (عليهم السلام) - في ذي القرينة - يراد بها مطلق إعطاء المال الأعم من الخمس، فلا يقال: لماذا لم تذكر الخمس؟. وقد ورد في الأحاديث: «إن الخمس عوض من الزكاة»(3)، فالزكاة لغير السادة والخمس للسادة على تفصيل مذكور في الفقه، وقد ألمعنا إلى وجه هذا الفرق في كتاب (الفقه: الاقتصاد)(4)، و(الفقه: الزكاة)(5).

تزكية النفس

مسألة: لتزكية النفس مراتب بعضها واجب وبعضها مستحب، والتزكية لها هنا واجبة في الجملة، إذ لولا لزوم تزكية النفس لم تكن الزكاة واجبة، فتأمل.

وقد علّلت (عليها السلام) جعله سبحانه للزكاة بكونها تزكية للنفس، حيث إن الإنسان المزكي تطهر نفسه عن درن البخل والشح وعن حب الدنيا أو شدته، قال سبحانه: «وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»(6).

ص: 359

1- راجع ثواب الأعمال: ص 46 ثواب إخراج الزكاة ووضعها في موضعها.

2- راجع ثواب الأعمال: ص 234 عقاب مانع الزكاة.

3- راجع وسائل الشيعة: ج 9 ص 514-515 ب 1 ح 12608، وفيه: «الذين لا- تحل لهم الصدقة والزكاة عوضهم الله مكان ذلك بالخمس».

4- راجع موسوعة الفقه: ج 108 كتاب الاقتصاد ص 65.

5- راجع موسوعة الفقه: ج 31 كتاب الزكاة ص 248.

6- سورة الحشر: 9، سورة التغابن: 16.

فإن الحسنات بعضها آخذ بعنق بعض، وقد جعل الله تعالى لكل عمل صالح أثراً وضعياً وتكوينياً وأخروياً مجانساً له، وإذا صارت الزكاة والعطاء ملكة للإنسان ترققت النفس ولان القلب، والقلب اللين مبعث الخيرات ومنبع البركات ولذا ذم الله سبحانه وتعالى اليهود بقوله: «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ» (1).

وفي الحديث: «وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب» (2).

وقال (عليه السلام): «إن للمنافق أربع علامات: قساوة القلب، وجمود العين، والإصرار على الذنب، والحرص على الدنيا» (3).

وقال (عليه السلام): «ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب» (4).

ص: 360

1- سورة البقرة: 74.

2- روضة الواعظين: ج2 ص420 مجلس في الحث على مخالفة النفس والهوى.

3- الاختصاص: ص111 جزء فيه أخبار من روايات أصحابنا وغيرهم.

4- مستدرک الوسائل: ج12 ص93 ب76 ح13608.

إنماء الرزق

مسألة: إنماء الرزق والتوسع فيه مستحب عموماً، وقد يجب أحياناً كما لا يخفى.

وقد ورد في الدعاء: «وعظم ووسع رزقي ورزق عيالي»(1).

و: «ووسع رزقي وأدره علي»(2).

و: «ووسع رزقي أبداً ما أبقيتني»(3).

و: «ووسع علي في رزقي»(4).

وقد علل كثير من المستحبات وبعض الواجبات بزيادة الرزق، كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «ألا أنبئكم بعد ذلك بما يزيد في الرزق؟» ... فقال (عليه السلام): «الجمع بينالصلاتين يزيد في الرزق، والتعقيب بعد الغداة والعصر يزيد في الرزق، وصلة الرحم تزيد في الرزق، وكسح الفنا يزيد في الرزق، ومواساة الأخ في الله عزوجل يزيد في الرزق، والبكور في طلب الرزق يزيد في الرزق، والاستغفار يزيد في الرزق، وقول الحق يزيد في الرزق، وإجابة المؤذن يزيد في الرزق، وترك الكلام في الخلاء يزيد في الرزق، وترك الحرص يزيد في الرزق،

ص: 361

1- بحار الأنوار: ج 88 ص 78 ب 3 ح 3.

2- مهج الدعوات: ص 133 ومن ذلك دعاء لمولانا ومقتدانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الشدائد ونزول الحوادث وهو سريع الإجابة من الله تعالى.

3- جمال الأسبوع: ص 312 ف 31 الدعاء بعد هذه الصلاة.

4- الكافي: ج 2 ص 558 باب الدعاء للكرب والهم والحزن والخوف ح 8.

وشكر المنعم يزيد في الرزق، واجتناب اليمين الكاذبة يزيد في الرزق، والوضوء على الطعام يزيد في الرزق، وأكل ما يسقط من الخوان يزيد في الرزق» (1).

وأما كونها (2) «نماء في الرزق» فهو بجهة غيبية، حيث إن الله سبحانه ينمي رزق المزكي، كما سبق عنه (عليه السلام):

«إنما وضعت الزكاة... توفيراً لأموال الأغنياء» (3). بالإضافة إلى السبب الظاهر، حيث إن العطاء يوجب تقارب الأغنياء والفقراء، وتألفهم وتحاببهم وتعاونهم، والتعاون أساس كل فضيلة ومفتاح كل تقدم، هذا إضافة إلى أنها توجب تقوية القدرة الشرائية في الفقراء مما لا يخفى أثرها الاقتصادي، قال سبحانه: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا» (4). فالزكاة تطهير نفسي كما سبق، وتنمية في المال والمجتمع (5)، على عكس الربا حيث «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ» (6) ومن فلسفة ذلك أن الربا يوجب الحقد والتنازع والطغيان (7).

ص: 362

1- وسائل الشيعة: ج 15 ص 347-348 ب 49 ح 20704.

2- أي الزكاة.

3- من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 4 باب علة وجوب الزكاة ح 1575.

4- سورة التوبة: 103.

5- الزكاة إما مصدر (زكي) إذا نمي؛ لأنها تستجلب البركة في المال وتنمي، وإما مصدر (زكا) إذا طهر؛ لأنها تطهر المال من الخبث، والنفس البخيلة من البخل - راجع مجمع البحرين: ج 1 ص 205 مادة زكا.

6- سورة البقرة: 276.

7- راجع كتاب (الاقتصاد بين المشاكل والحلول)، و(الفقه: الاقتصاد) للإمام المؤلف (قدس سره).

..... الاهتمام بالأمر الديني

الاهتمام بالأمر الديني (1)

مسألة: يستحب الاهتمام بالأمر الديني عموماً، ومن مصاديقه إنماء الرزق، إلى جوار الاهتمام بالشؤون الأخروية.

والاستحباب إنما هو في المقدار المستحب، وإلا فالقدر الواجب واجب، وقد قال (عليه الصلاة والسلام): «ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه» (2).

وقال (عليه السلام): «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» (3).

وفي الحديث: «اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا» (4).

وقبل ذلك قال القرآن الحكيم: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» (5).

الإفناق

مسألة: يستحب الإفناق مطلقاً؛ فإن جامع الملاك الموجود في الزكاة على قسميه جار في مطلق الإفناق، هذا إن لم نقل بإرادة المعنى اللغوي منها، إضافة

ص: 363

1- راجع موسوعة الفقه: كتاب البيع، وكتاب الاقتصاد.

2- من لا يحضره الفقيه: ج3 ص156 باب المعاش والمكاسب والفوائد والصناعات ح3568.

3- وسائل الشيعة: ج17 ص76 ب28 ح22026.

4- مستدرک الوسائل: ج8 ص223 ب38 ح9309.

5- سورة البقرة: 201.

إلى الآيات والروايات الدالة على فضيلة الإنفاق مطلقاً.

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (1).

وقال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ» (2).

وقال عز وجل: «وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (3).

وقال جل ثناؤه: «وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ» (4).

وقال (عليه السلام): «إن من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار» (5).

نعم، إذا عارضته جهة منفرة إلى حد المنع من النقيض يكون محرماً، أو لا إلى ذلك فيكون مكروهاً.

ص: 364

1- سورة البقرة: 254.

2- سورة البقرة: 267.

3- سورة الحديد: 10.

4- سورة المنافقون: 10.

5- الكافي: ج 2 ص 241 باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح 36.

الصيام وفلسفته

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام): «جعل...» ومن السياق: وجوب الصوم، فتكون اللام للعهد المقصود به المصداق الخاص.

وأما على كونها للجنس فيكون قولها (عليها السلام) دالاً على رجحانه عموماً.

فإن من الصيام ما هو واجب، ومنه ما هو مستحب، أما الصوم المحرم كيوم العيدين، أو المكروه كصوم يوم عاشوراء، فلعارض، وقد ذكرنا وجه ذلك في الفقه(1).

قولها (عليها السلام): «والصيام تبييناً للإخلاص»، فإن الإخلاص الذي في الصوم عميق جداً، إذ إن الإنسان يستطيع - عادة - أن يتظاهر بالصوم ويرتكب المفطرات سرّاً، فالإخلاص يثبت ويتقوى بالصيام، حيث يروض الإنسان نفسه بالامتناع عن المفطرات مع شدة الشوق إليها. ولعل هذا هو سر قوله سبحانه في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي عليه»(2).

أي جزاؤه على الله سبحانه(3)، أو أن الله هو جزاؤه(4) كناية عن أنه

ص: 365

1- راجع موسوعة الفقه: ج 37 كتاب الصوم ص 63-116.

2- الكافي: ج 4 ص 63 باب ما جاء في فضل الصوم والصائم ح 6.

3- إذا قرأت هكذا: «أجزي» أي: على المبني للمعلوم.

4- إذا قرأت هكذا: «أجزي» أي: على المبني للمجهول.

سبحانه يحكم للصائم في الآخرة فيما يشاء، إذ مع امتناع الحقيقة فإن أقرب المجازات يكون هو المتعين.

هذا بالإضافة إلى سائر فوائد الصيام مما ذكر في القرآن الحكيم أو في السنة المطهرة، أو ثبت طبيياً واجتماعياً، وغير ذلك.

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (1).

وقال (عليه السلام): «فرض الله...الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق» (2).

الإخلاص في العبادة وغيرها

مسألة: يجب الإخلاص في العبادات، ويرجح في غيرها، فإن الإخلاص في الواجبات التعبدية واجب تكليفاً، وشرط للصحة وضعاً، وفي المستحبات التعبدية شرط للصحة، حيث إذا لم يكن إخلاص لم تكن عبادة.

أما الإخلاص في سائر الأمور فهو من المرجحات.

ويمكن أن يقوم الإنسان بكل عمل - كالواجبات التوصيلية والمباحات - بقصد القربة الخالصة له سبحانه وتعالى (3).

ص: 366

1- سورة البقرة: 183.

2- نهج البلاغة، قصار الحكم: 252.

3- راجع كتب الأخلاق كجامع السعادات، وقد سبق الإشارة إليه في هذا الكتاب.

والإخلاص لله تعالى - إضافة لآثاره الأخروية - من أكبر عوامل التقدم والنهوض بالأمة واستنقاذها من واقعها المرّ، فإن المخلص يضحى بوقته وصحته وماله ونفسه لخدمة الإسلام والمسلمين، أما غير المخلص فتراه يضحى بمصالح الدين والأمة لأجل أن يعيش حياة مرفهة.

وقد ورد في زيارتهم (عليهم السلام): «السلام على الإمام التقي، المخلص الصفي»⁽¹⁾.

وعنه (عليه السلام): «وأما علامة المخلص فأربعة: يسلم قلبه، وتسلم جوارحه، وبذل خيره، وكف شره»⁽²⁾.

وعنه (عليه السلام): «سادة أهل الجنة المخلصون»⁽³⁾.

ص: 367

1- بحار الأنوار: ج 97 ص 375 ب 5 ح 9.

2- تحف العقول: ص 21 ومن حكمه (صلى الله عليه وآله) وكلامه.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 197 ق 2 ب 2 ف 7 في أهمية الإخلاص ح 3904.

والحج تشييداً للدين(1)،

فريضة الحج والأهداف الربانية

مسألة: الحج منه واجب ومنه مستحب، وقد تطرأ الحرمة على الحج لسبب خارجي كحج الزوجة بدون إذن الزوج حجاً مستحباً، وكذلك حج العبد(2) وما أشبه ذلك(3).

وفي الحديث عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: «بني الإسلام على خمس دعائم: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده (عليهم السلام)»(4).

وقد جعل الله الحج تشييداً للدين كما ذكرته (صلوات الله عليها) حيث إنه - بالإضافة إلى جوانبه العبادية والاقتصادية وغيرهما - يعد مؤتمراً عاماً لكل المسلمين، حيث يجتمعون ويتعارفون، ويعالج بعضهم مشاكل بعض، وتذوب بينهم الفوارق الإقليمية واللونية واللغوية وغيرها(5)؛ فإن الحج يوجب إيجاد أرضية أو تقوية حالة (الشورى)، قال تعالى: «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ»(6).

ص: 368

1- وفي بعض النسخ: «والحج تسنية للدين». راجع علل الشرائع: ج 1 ص 248 ب 182 ح 2.

2- أي بدون إذن مولاه.

3- راجع موسوعة الفقه: ج 38-46 كتاب الحج، و(جامع مناسك الحج)، و(مناسك الحج) واستفتاءات في الحج، للإمام المؤلف (قدس سره).

4- وسائل الشيعة: ج 1 ص 25 ب 1 ح 29.

5- راجع مقدمة كتاب (الحاج في مكة والمدينة) للإمام المؤلف (قدس سره).

6- سورة الشورى: 38.

و(الحرية)، قال سبحانه: «يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» (1).

و(الامة الواحدة)، قال تعالى: «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» (2).

و(الأخوة)، قال سبحانه: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» (3).

و(شرائع الإسلام)، قال تعالى: «شَرَعَةً وَمِنْهَاجًا» (4).

ولهذا فالجدير بالمسلمين أنيعيدوا إلى الحج فوائده المتوقعة، كما قال سبحانه: «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ» (5)، وذلك عبر رفع المنع عن كل من يريد الحج، بل إلغاء أي روتين يعرقل ذلك، وأن تكون مكة المكرمة والمدينة المنورة - على الأقل - محل أمن ومعتل حرية لإقامة كل الشعائر الإسلامية، ومركزاً للتلاقي والاختلاط بين كافة المسلمين (6). ومع الأسف فإنه اليوم أضحي إلى حد كبير - حيث جرد من كثير منافعه وغاياته - خلافاً لما قاله القرآن الحكيم، فإذا رجع الحج إلى واقعه الإسلامي كان العامل الأساسي في تقدم المسلمين إلى الإمام (7).

ص: 369

1- سورة الأعراف: 157.

2- سورة الأنبياء: 92، سورة المؤمنون: 52.

3- سورة الحجرات: 10.

4- سورة المائدة: 48.

5- سورة الحج: 28.

6- راجع كتاب (ليحج خمسون مليوناً كل عام) للإمام المؤلف (قدس سره).

7- حول هذه النقاط راجع للمؤلف (قدس سره) (لكي يستوعب الحج عشرة ملايين)، و(الحج بين أمس واليوم والغد)، و(مؤتمرات الإنقاذ)، و(موسوعة الفقه: ج 38-46 كتاب الحج)، و(ليحج خمسون مليوناً كل عام).

تشيد الدين

مسألة: يجب تشيد الدين (1) وتقويته، كما قال تعالى: «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ» (2) في الواجبات.

ويستحب في المستحبات.

إذ إن استحكامه في فرائضه بالواجبات وفي مندوباته بإتيان المستحبات؛ لأن مثل الدين كبناء يحتاج إلى المواد الأساسية للبناء، بالإضافة إلى التجميلية، فهو أيضاً بين واجب ومستحب.

هذا بالإضافة إلى ما للمستحبات من دور كبير في السوق نحو مزيد الالتزام بالواجبات، فهي مشيدة للدين ذاتاً وتسيباً.

والحج من المقومات الأساسية للدين، وبه يستحكم الدين ويتعالى ويتسامى كما لا يخفى، والمستحب منه أيضاً من بواعث تشيد الدين كما سبق.

قال علي (عليه السلام): «فرض الله... الحج تقويةً للدين» (3).

وقال (عليه السلام): «خير الأعمال ما أصلح الدين» (4).

ص: 370

1- تشيد البناء: إحكامه ورفعته - لسان العرب: ج3 ص244 مادة شيد -.

2- سورة الشورى: 13.

3- شرح نهج البلاغة: ج19 ص86 باب الحكم والمواعظ 249.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص156 ق1 ب6 ف4 خير الأعمال ح2934.

والعدل تنسيقاً للقلوب(1)،

أنواع العدل والظلم

أنواع العدل والظلم(2)

مسألة: يجب العدل في موارد، كما هو مستحب في موارد مثل: تقسيم اللحظة والنظرة والبسمة والسلام والتكلم مع الجلساء، وتقسيم ما عدا الحقوق المقررة تقسيماً مستحباً بين الأولاد أو الزوجات أو ما أشبهه، إلى غير ذلك من النظائر، كما يدل عليه جملة من الروايات، وكما حققه علماء الأخلاق والكلام والفقهاء.

وقد ورد في عهده (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر (رحمة الله) حين قلده مصر: «وأس بينهم في اللحظة والنظرة»(3).

وفي الحديث: «العدل أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأطيب ريحاً من المسك»(4).

ص: 371

1- وفي بعض النسخ: «والعدل تسكيناً للقلوب» - راجع علل الشرائع: ج 1 ص 248 ب 182 ح 2 - وفي بعضها: «والحق تسكيناً للقلوب وتمكيناً للدين» - راجع دلائل الإمامة: ص 33 حديث فذك - وفي بعضها: «والعدل تنسكاً للقلوب» - راجع بلاغات النساء: ص 28 كلام فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) -.

2- راجع كتاب (العدل أساس الملك) للإمام المؤلف (قدس سره).

3- نهج البلاغة، الرسائل: 27 ومن عهد له (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر (رضي الله عنه) حين قلده مصر، ونهج البلاغة، الرسائل: 46 ومن كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عماله.

4- الكافي: ج 2 ص 147 باب الإنصاف والعدل ح 15.

ومن البين أن العدل غير المساواة، وأن النسبة بينهما العموم من وجه.

وكما يجب العدل يحرم الظلم، وهو يشمل: ظلم النفس - روحاً وجسماً - وظلم العائلة، وظلم المجتمع، وظلم الحكومة(1). وظلم الحيوان والنبات والطبيعة، وظلم الأجيال القادمة أيضاً، والظلم الاقتصادي والاجتماعي وغيرها. قال تعالى: «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»(2). وقال سبحانه: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ»(3).

وقال تعالى: «يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»(4).

وقال سبحانه: «وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا»(5).

وقال تعالى: «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا»(6).

وقال سبحانه: «فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ»(7).

وقال تعالى: «يَا كُفْرَانَ أَمْوَالِ الَّتِي آمَىٰ ظُلْمًا»(8).

ص: 372

-
- 1- قد يكون هذا من الإضافة للفاعل، وقد يكون من الإضافة للمفعول، أي: ظلم الحكومة للناس، أو ظلم الناس للحكومة.
 - 2- سورة النحل: 118.
 - 3- سورة العنكبوت: 68.
 - 4- سورة لقمان: 13.
 - 5- سورة الإسراء: 59.
 - 6- سورة النحل: 41.
 - 7- سورة البقرة: 279.
 - 8- سورة النساء: 10.

وبكلمة جامعة: فإن «مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (1)، ولكل من تلك الأنواع مباحث مفصلة في مظانها (2).

قولها (عليها السلام): «تنسيقاً للقلوب» فإن من أهم ثمار العدل تنظيم قلوب الناس، حيث يرى الناس أن الحاكم يساوي بين الناس ولا يقدم بعضاً على بعض عبثاً واعتباطاً، ولذلك فهم يتعاطفون مع الحاكم ويلتفون حوله، كما تتوثق به أواصر العلاقة بينهم أنفسهم، وبعضهم مع بعض، والمجتمع الذي تسود فيه روح التعاطف والتحابب، وتتصافى فيه القلوب يكون مجتمعاً مستقراً متكاتفاً متقدماً إلى الإمام.

من مصاديق العدل ومظاهره

مسألة: قد جعل الإسلام العدل من قواعده الأساسية، قال سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» (3).

وقال تعالى: «وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» (4).

وقال علي (عليه السلام): «العدلاقوى أساس» (5).

ص: 373

1- سورة البقرة: 229.

2- راجع للإمام المؤلف (قدس سره) (الفقه: الاجتماع)، و(الفقه: الحقوق)، و(الفقه: الدولة الإسلامية)، و(الفقه: المحرمات)، وغيرها.

3- سورة النحل: 90

4- سورة النساء: 58.

5- مستدرك الوسائل: ج 11 ص 318 ب 37 ح 13146.

وقال (عليه السلام): «العدل زينة الإمارة»(1).

ولذا لم يكن في الإسلام حدود جغرافية، ولا تمايز بالألوان واللغات والعشائر وما أشبهه، بل «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»(2).

ولهذا السبب التفّ الناس حول الإسلام أيما التفاف، بعد أن رأوا العدالة في مختلف شؤون:

العبادية..

والاقتصادية: كالإرث والضرائب الأربعة فقط وحق حيازة المباحات والتجارة الحرة..

والسياسية: فلكل من جمع الشرائط أن يكون والياً مثلاً، من أية لغة أو قومية أو ما أشبهه، وكذلك «يسعى بدمتهم أدناهم»(3) وغير ذلك..والجزائية.. وغيرها.

فكل الناس في ذلك شرع سواء، إلا فيما خرج بالدليل كبعض الأمور النابعة من مقتضى واقع الحال والعدل مثل: (تعدد الزوجات)، وأن «لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْأُنثِيَيْنِ»(4) وما أشبهه، حيث إن هذا الاختلاف - على ما بين في الشرع - هو مقتضى العدالة، والمساواة في أمثال هذه الموارد هو على خلاف العدالة، وذلك كالمساواة بين البقال والمهندس، أو الجاهل والعالم، في الاحترام

ص: 374

1- بحار الأنوار: ج 75 ص 91 ب 16 ح 96.

2- سورة الحجرات: 13.

3- تهذيب الأحكام: ج 4 ص 131 ب 37 ح 2، والتهذيب: ج 6 ص 140 ب 61 ح 1.

4- سورة النساء: 11.

.....
وفي العطاء، أو بين الطفل الصغير وأخيه الأكبر في كمية الأكل، أو ما أشبه ذلك، وقد ذكرت فلسفة كل تلك الموارد في الكتب المعنية بهذا الشأن(1).

تأليف القلوب

مسألة: يستحب - وقد يجب - السعي لتنسيق القلوب وتأليفها وجمعها وتصافيتها.

قال تعالى: «لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ»(2).

وقال عز وجل: «وَلَا تَتَّزَعُوا فِتْنَةً لَكُمْ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ»(3).

وذلك عبر تكريس التقوى في النفوس، وعبر تربية النفس والناس على الإغضاء عن السيئة، والعفو والصفح، وعلى سعة الصدر، وفي الحديث: «المؤمن مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»(4).

هذا وفي الأحاديث أنه بهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام) يؤلف الله بين القلوب، قال (عليه السلام): «بنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عدواة الفتنة»(5).

ص: 375

1- راجع للإمام المؤلف (قدس سره): (الفقه: الاقتصاد)، والفقه: الحقوق، والقول السديد في شرح التجريد، و(شرح المنظومة)، وغيرها.

2- سورة الأنفال: 63.

3- سورة الأنفال: 46.

4- الكافي: ج 2 ص 102 باب حسن الخلق ح 17.

5- بحار الأنوار: ج 51 ص 84 ب 1 الرابع والثلاثون ضمن ح 37.

وعبر عدم فسح المجال لرواج الغيبة والتهممة والنميمة، وعبر سلسلة من البرامج العملية التي تقضي على التدابر والتحارب بين المؤمنين، كما فعل الإمام الصادق (عليه السلام) ذلك حيث دفع كمية من الأموال للبعض من أتباعه كي يصلح به أي نزاع مالي يحدث بين مؤمنين(1).

ومن الواضح أن أحكام الله تعالى تابعة لمصالح ومفاسد في المتعلقات إلا نادراً(2)، وهي (صلوات الله وسلامه عليها) تشير هنا إلى أن المصلحة في إيجاب العدل - أو جزءها - هي تنسيق القلوب، وإذا كان كذلك كان الراجح، بل اللازم في بعض الأحيان السعي لتنسيقها عبر ما يزيد على العدل، كالإحسان مثلاً، وكما فيما سبق.

ص: 376

1- راجع الكافي: ج2 ص209 باب الإصلاح بين الناس ح4.

2- كما لو كانت المصلحة في نفس الأمر أو النهي، كما في قصة أمره تعالى بذبح إسماعيل (عليه السلام). راجع التفاسير في تفسير قوله تعالى: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» - سورة الصافات: 102 -.

وجوب إطاعة أهل البيت (عليهم السلام)

مسألة: يجب إطاعة أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام) وإعلام الناس بذلك، فإن الله سبحانه وتعالى جعلهم (عليهم السلام) هداة للخلق بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، كما جعل الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) هداة للناس، وكذلك الأمر في أوصياء الأنبياء (عليهم السلام)، وفي الأحاديث أنه: «كان لكل نبي وصي»⁽¹⁾.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أيها الناس، إن علياً إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، وهو وصيي ووزير وأخي وناصر، وزوج ابنتي وأبو ولدي، وصاحب شفاعتي وحوضي ولوائي، من أنكره فقد أنكرني، ومن أنكرني فقد أنكر الله، ومن أقر بإمامته فقد أقر بنبوتي، ومن أقر بنبوتي فقد أقر بوحدانية الله عز وجل. أيها الناس، من عصى علياً فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصي الله»⁽²⁾.

ولا يخفى أن الإيمان بوجوب إطاعة أهل البيت (عليهم السلام) إنما يكون بعد الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى نصبهم حججاً على خلقه وأدلة لعباده.

و(أهل البيت) يشمل فاطمة الزهراء (عليها السلام) - بالإضافة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) - وقد دلت على ذلك آية التطهير⁽³⁾ وروايات

ص: 377

1- من لا يحضره الفقيه: ج4 ص180 باب الوصية من لدن آدم (عليه السلام) ح5407.

2- بحار الأنوار: ج38 ص129 ب61 ح81.

3- قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» - سورة الأحزاب: 33 -.

متواترة(1)، فهي (صلوات الله عليها) واجبة الطاعة، كوجوب طاعة الرسول(صلى الله عليه وآله) والأئمة الاثني عشر (عليهم الصلاة والسلام)(2).و(الملة): الطريقة والدين والشريعة(3)، أي ما شرعه الله سبحانه لعباده بواسطة أنبيائه (عليهم السلام) لإيصالهم للسعادة الدنيوية والأخروية، قال تعالى: «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ»(4) أي: دينه.

وقد استعملت في مطلق الشرائع والملل حتى الباطلة، قال تعالى: «حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ»(5)، أي: سنتهم وطريقتهم.

وقد تأتي بمعنى (الأمة) أيضاً(6).

و(النظام): بمعنى القوام، وبمعنى التأليف والجمع(7)..

ص: 378

- 1- راجع (عوامل العلوم ومستدركاته)، و(بحار الأنوار)، و(دلائل الصدق)، و(الغدِير)، و(إحقاق الحق)، وغيرها من الكتب.
- 2- راجع (من فقه الزهراء (عليها السلام)) المجلد الأول، المقدمة.
- 3- وفي لسان العرب: ج 11 ص 631 مادة ملل: (والملة: الشريعة والدين... وقيل: هي معظم الدين... وملتهم: سنتهم وطريقتهم).
- 4- سورة الحج: 78.
- 5- سورة البقرة: 120.
- 6- وفي لسان العرب: ج 11 ص 631 مادة ملل: (وفي الحديث: «لا يتوارث أهل ملتين»)، الملة: الدين، كملة الإسلام والنصرانية واليهودية).
- 7- قال في مجمع البحرين: ج 6 ص 176 مادة نظم: (النظام بالكسر: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ). وقال في لسان العرب: ج 12 ص 578 مادة نظم: (النظم: التأليف... وكل شيء قرنته بآخر أو ضمنت بعضه إلى بعض فقد نظمته). وفي القاموس المحيط: ج 4 ص 181: (النظم التأليف وضم شيء إلى شيء آخر... ونظم اللؤلؤ: ألفه وجمعه في سلك فانتظم). وفي المنجد: ومنه نظم الشعر لتأليفه كلاماً موزوناً ومقفى. فعلى هذا يكون المراد بقولها (عليها السلام): «وطاعتنا نظاماً للملة» تشبيه الملة - أي الشريعة - باللالتي المنتشرة التي تكون إطاعتهم (عليهم السلام) سبباً لتأليف الدرر وجمعها على نظام بديع. هذا بالنسبة للمعنى الثاني الذي ذكره الإمام المؤلف (قدس سره)، وأما بالنسبة للمعنى الأول فقد جاء في مجمع البحرين: ج 6 ص 176 مادة نظم: (نظمت الأمر فانتظم أي أقمته فاستقام). وفي المنجد: (نظام الأمر قوامه). وفي لسان العرب: ج 12 ص 578 مادة نظم: (نظام كل أمر ملاكه... وليس لأمرهم نظام أي ليس له هدى ولا متعلق ولا استقامة). فعلى هذا يكون المراد بقولها (عليها السلام): «نظاماً للملة» أن ياطعتهم (عليهم السلام) يستقيم الدين ويستحكم، ولولا إطاعتهم لضعف واضمحل. قال (صلى الله عليه وآله): «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، وسائل الشيعة: ج 27 ص 33-34 ب 5 ح 33144.

.....
وكلا المعنيين محتمل هنا، ولكل منهما مرجحات، ويمكن أن يكون المراد به الجامع.

إطاعتهم (عليهم السلام) سبب للنظام

مسألة: من الضروري التنبيه على أن طاعتهم (عليهم السلام) هو الذي يوجب إيجاد وحفظ واستقرار النظام ودعوة الناس لذلك، فإن الملة والشريعة تحتاج إلى النظام بكلا معنييه، وطاعتهم (عليهم السلام) توجب جمع الملة وتأليفها وصونها عن الشتت والتناثر، كما توجب إقامة الملة والشريعة واستقامتها.

قال علي (عليه السلام): «الإمامة نظاماً للملة»⁽¹⁾.

ص: 379

1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 176 ق 2 ب 1 ف 3 ح 3376، وفيه: «الإمامة نظاماً للأمة».

ومن المحتم بالبرهان أن نظام ملة الإسلام وشريعته هو أفضل الأنظمة على الإطلاق، بل لا قياس بينه وبين غيره(1).

وأما ما يكون بإطاعة غيرهم من (النظام) فإنما هو ظاهري ومحدود ومؤقت(2)، بل قد يكون أكثر إضراراً، ثمانيه (نظام) لمفردات ومصاديق وقوانين خاطئة في حد ذاتها غالباً.

وقد قال الشاعر:

ولو قلدوا الموصى إليه أمورها *** لزمتم بمأمون على العثرات(3)

وقال: (ولو قدموا حظهم قدموكا).

وقال الرسول (صلى الله عليه وآله): «إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما تمسكتم بهما، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»(4).

ص: 380

1- راجع موسوعة الفقه: كتاب القانون.

2- أشار المصنف (قدس سره) بقوله: (ظاهري) إلى عدم تجذر هذا النظام بل هو ك (الخشب المسندة)، وبقوله: (محدود) إلى عدم شموليته لشتى أبعاد الحياة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية...، وبقوله: (مؤقت) إلى عدم استمرار هذا النظام على مر الأعصار، أي أشار إلى العمق والسعة والامتداد الزمني، وقد أوضح الإمام المؤلف (قدس سره) الثغرات الكبيرة في الحضارة الغربية وفي عدة كتب، منها: كتاب (الغرب يتغير)، كما تطرق إلى ذلك في مواطن شتى من (الفقه: السياسة)، و(الفقه: القانون)، و(الفقه الحقوق)، و(الفقه: الاقتصاد)، و(الفقه: الدولة الإسلامية)، وغيرها.

3- من قصيدة دعبل الخزاعي التي قرأها عند الإمام الرضا (عليه السلام)، راجع بحار الأنوار: ج 49 ص 246 ب 17 ح 13.

4- هذه الرواية من الأخبار المتواترة، وقد رواها الفريقان في مختلف كتبهم، راجع (الغدیر) للعلامة الأميني (رحمة الله)، و(المراجعات) للمرحوم شرف الدين، وبحار الأنوار للمجلسي (قدس سره).

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا» (1)، أي: ولاية علي وذريته (عليهم السلام) (2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «وطاعتنا طاعة الله، ومعصيتنا معصية الله عز وجل» (3).

وقال (عليه السلام): «نحن قوم فرض الله طاعتنا في القرآن» (4).

وقال (عليه السلام): «إن الله تبارك وتعالى أوجب عليكم حبنا وموالاتنا وفرض عليكم طاعتنا» (5).

وقال (عليه السلام): «طاعتنا فريضة، وحبنا إيمان، وبغضنا كفر» (6).

حماية حماة الشريعة

مسألة: يجب إيجاد الشروط والظروف الموضوعية التي توفر الدعم والحماية لمن هم (عليهم السلام) بأقوالهم وسيرتهم السبب في نظام الشريعة؛ فإن حمايتهم حماية للشريعة نفسها، قال تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى» (7).

فإنه يستفاد من كلامها (عليها السلام) أمران:

ص: 381

1- سورة آل عمران: 103.

2- راجع تفسير العياشي: ج 1 ص 194 من سورة آل عمران ح 122 و123.

3- بحار الأنوار: ج 36 ص 228 ب 41 ح 6.

4- وسائل الشيعة: ج 9 ص 532 ب 1 ح 12645.

5- مستدرک الوسائل: ج 14 ص 10 ب 2 ح 15958.

6- بحار الأنوار: ج 26 ص 252 ب 5 ح 24.

7- سورة المائدة: 2.

الأول: لزوم النظام للملة أولاً وبالذات، وهذا أمر عقلي قبل أن يكون شرعياً(1).

الثاني: إن هؤلاء المعصومين(عليهم السلام) هم الذين ينظمون الملة، وهذا شرعي من باب الأدلة العقلية الوفيرة، وعقلي من باب انطباق المواصفات اللازمة(عليهم السلام) دون غيرهم(2).

فإن ملة الإسلام تنتظم أمورها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية والعسكرية والعائلية والمعاملية وغيرها بطاعة المعصومين(عليهم السلام)؛ وذلك لأن التشريعات الإلهية والأحكام النبوية التي يتولونها توجب النظم وعدم الفوضى والخلل والاضمحلال.

و(الملة) بملاحظة مادتها قد تفيد معنى مل(3) بمعنى الملل؛ لأن الطريقة الوحيدة المتبعة توجب التكرار المسبب للملال غالباً، هذا من جهة اللفظ.

أما الواقع فإن الصحيح والمستقيم والحق هو الذي لا- يمل وإن تكرر، ولذا لا يمل ضوء النهار وجريان الأنهار وغير ذلك من الأمور التكوينية على تكررهما، وكذا الحال في الأمور التشريعية، فإنه لا يحيد أي عاقل عن الصحيح إلى غير الصحيح وإن تكرر الصحيح. نعم، من كان منحرفاً في ذاته ربما رجح الباطل.

ص: 382

1- راجع موسوعة الفقه: كتاب القانون.

2- راجع كتاب (الألفين) للعلامة الحلي (قدس سره).

3- على القول بأن المصدر مشتق من الفعل الأمر واضح، وأما على العكس فليس المقصود - كما هو واضح - الاشتقاق إذ هذا بلحاظ الصورة بل الجامع، وقد أشار الإمام المؤلف (قدس سره) إلى ذلك بكلمة (مادتها).

وإمامتنا أماناً للفرقة (1)،

الاعتقاد بالإمامة

الاعتقاد بالإمامة (2)

مسألة: يجب الاعتقاد بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) كما يجب إرشاد الناس لذلك، على ما يستفاد من (جعل الله... إمامتنا)، ولغير ذلك من الأدلة الكثيرة المذكورة في مظانها.

إذ جعل الإمامة أماناً، إنما هو بالجعل المركب، وجعلها هي بسيط، والإمامة غير الطاعة، فالإمامة مقدمة على الطاعة رتبةً كتقدم السبب على المسبب (3) فإذا لم يعتقد إنسان بإمامتهم (عليهم السلام) أتخذ لنفسه إماماً آخر، وهذا يوجب الفرقة كما لا يخفى، وقد حصل بالفعل بعد أن اتخذ الكثير من الناس أئمة غيرهم (عليهم السلام).

ولربما اعتقد شخص بالإمامة ولم يطع، أو أطاع ولم يعتقد، ولربما كانت الإمامة ولم توجد الإطاعة، أو بالعكس، فالنسبة بينهما عموم من وجه.

ص: 383

- 1- وفي بعض النسخ: «وإمامتنا لماً للفرقة» - راجع دلائل الإمامة: ص 33 حديث فذك، وكشف الغمة: ج 1 ص 483 فاطمة (عليها السلام)، وفي بعضها: «وإمامتنا أماناً من الفرقة» - راجع بلاغات النساء: ص 28 كلام فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) -.
- 2- حول مبحث الإمامة، راجع (نهج الحق وكشف الصدق) للعلامة الحلبي (رحمة الله) و(المراجعات) و(العقبات) و(الغدير) و(دلائل الصدق) و(إحقاق الحق) وغيرها.
- 3- فإن الإمامة علة وجوب الإطاعة، ولا تخفى الدقة في تعبيره ب (كتقدم).

التفرق عن سبيل الله

مسألة: تحرم الفرقة والتفرق في الجملة، وقد يكره حسب الموارد المختلفة، قال سبحانه: «فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» (1)، وقال جل وعلا: «لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» (2)، إلى غير ذلك من الآيات والروايات.

قال (عليه السلام): «وإياكم والتفرق» (3)، وقال (عليه السلام): «ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة» (4)، وقال (عليه السلام): «وإياكم والفرقة» (5).

ومن الواضح أن التفرق عن سبيل الله هو المحرم، أما التفرق في سبيل الله إلى الله، كما في «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ» (6) فهو المطلوب.

السعي لتحقيق فعلية حاكميتهم (عليهم السلام)

مسألة: يجب السعي لتحقيق فعلية سلطتهم وحاكميتهم (عليهم السلام) باعتبارها هي (الأمان من الفرقة)؛ فإن واقع الإمامة غير السلطة وبسط النفوذ والسيطرة، وتنبيه الناس وإرشادهم إلى الواقع من المقدمات لذلك، أي أنها من الأسباب

ص: 384

- 1- سورة الأنعام: 153.
- 2- سورة الشورى: 13.
- 3- نهج البلاغة، الرسائل: 11 ومن وصية له (عليه السلام) وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو.
- 4- الإرشاد: ج2 ص41.
- 5- نهج البلاغة، الخطب: 127 ومن كلام له (عليه السلام) وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين.
- 6- سورة البقرة: 213.

.....
التي تؤدي إلى فعلية السلطة والحاكمية، فتحقق فعلية (الأمن من الفرقة).

قولها (عليها السلام): «وإمامتنا أماناً للفرقة» فإن هذا غير الإطاعة، فقد يطبع الإنسان شخصاً ولا يتخذه إماماً، فكان لابد من إضافة هذه الجملة: (إمامتنا) على الجملة السابقة.

ثم إن الإطاعة ليست بمفردها هي الضمان من الفرقة، إذ الفرقة عقائدية ونفسية وعملية، والإطاعة قد تكون ضماناً من الأخيرة فقط، أما من يتخذهم (عليهم السلام) أئمة فإنهم (عليهم السلام) أمان من الفرقة، إذ الباطل دائماً يضرب بعض الناس ببعض ليسود، قال سبحانه: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا» (1).

وفي المثل الباطل: (فُرق تسد).

أما هم (عليهم السلام) فإنهم يعطون كل ذي حق حقه، ويتيحون الفرص للجميع على حسب قول علي (عليه السلام):

«الناس من جهة التمثال أكفاء *** أبوهم آدم والأم حواء» (2)

وكذلك يولفون بين القلوب ويجمعون الكلمة على التقوى، ويزرعون روح الأخوة الإيمانية والتعاون، وحين ذلك يكون الناس مأمونين من الاختلاف والتفرقة عملياً، كما أنهم يأمنون - بالاعتقاد بإمامتهم (عليهم السلام) - من التفرقة العقائدية.

وقد تقدم أنها (عليها السلام) أشارت إلى (الإمامة) التي من أصول الدين الخمسة،

ص: 385

1- سورة القصص: 4.

2- الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام): ص 24 الناس من جهة التمثال أكفاء.

ومن ذلك يظهر أن (الإمامة) بمعنى الرئاسة العامة الفعلية هي أمان فعلي من الفرقة - عكس رئاسة الغير - التي هي ليست أماناً من الفرقة.

أما (الإمامة) بمعنى ذلك المنصب الإلهي فهي بحد ذاتها مقتضى للأمن من الفرقة، ويوضح ذلك بكلا شقيه الحال في الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، فإذا اعتقد الناس بها - كما أمرهم الله تعالى به أمراً تشريعياً - واتخذوها الدليل والمرشد والمنهج الراسم لمسيرة حياتهم في شتى الأبعاد، كانت أماناً بالفعل.

ومن الواضح أن وكلاءهم (عليهم السلام) امتداد لهم، وإتباعهم وسلطتهم - بما هم وكلاء لهم - شعبة من إطاعتهم والاهتداء بهديهم (عليهم السلام).

قال (عليه السلام): «فإني قد جعلته عليكم حاكماً»⁽¹⁾.

وقال (عجل الله تعالى فرجه الشريف): «فللعوام أن يقلدوه»⁽²⁾.

ص: 386

1- تهذيب الأحكام: ج6 ص218 ب87 ح6، والتهذيب: ج6 ص302 ب92 ح52.

2- وسائل الشيعة: ج27 ص131 ب10 ح33401.

والجهاد عزاً للإسلام (1)،

الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله (2)

مسألة: يجب الجهاد في سبيل الله تعالى، والمراد بالجهاد ما ذكر في (الفقه) بأقسامه الثلاثة: الابتدائي والدفاعي والبغاة، لا جهاد النفس، إذ المنصرف منه ذلك وبقرينة قولها: «عزاً للإسلام».

وإن كان جهاد النفس أيضاً من الواجبات بل سماه رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الجهاد الأكبر» (3)، وقد يكون ذلك نظراً لأصعبيته من جهات عديدة، إذ يستمر طوال حياة كل فرد، ويواجه مختلف شهوات النفس: من حب المال والرئاسة، والرياء والسمعة، والكبر والعجب، وحفظ اللسان واليد والعين والسمع...

قولها (عليها السلام): «والجهاد عزاً للإسلام»؛ لأن أعداء الإسلام يحاولون - باستمرار - النفوذ إلى داخل بلاد المسلمين، والسيطرة على مقدراتهم - بشكل أو بآخر - فالجهاد يكون وقاية أو علاجاً (4) رفعاً أو دفعاً، كما يكون سبباً لتقدم بلاد

ص: 387

1- وفي بعض النسخ: «وحينا عزاً للإسلام» - راجع بلاغات النساء: ص 28 كلام فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) - فيدل على وجوب محبة أهل البيت (عليهم السلام) كما يدل على ذلك الآيات الشريفة ومتواتر الروايات، قال تعالى: «قُلْ لَأَسْئَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» سورة الشورى: 23.

2- راجع موسوعة الفقه: ج 47-48 كتاب الجهاد.

3- الكافي: ج 5 ص 12 باب وجوه الجهاد ح 3.

4- الوقاية في الجهاد الابتدائي، والعلاج في الجهاد الدفاعي.

الإسلام، ويكون سبباً لإرجاع المنحرف إلى الصراط المستقيم، إذ الجهاد ابتدائي ودفاعي وإصلاحى..

كما قال سبحانه: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» (1).

إعزاز الإسلام واجب

مسألة: كل ما يوجب عز الإسلام فهو واجب أو مستحب، فإذا كان وجوب الجهاد لأجل إعزاز الإسلام كان كل ما يوجب عزه راجحاً، وقد يصل إلى مرحلة الوجوب، باعتبار أن (العزة) ذات مراتب، بعضها واجب التحصيل وبعضها مندوب.

فمثلاً (شعائر الله) بعضها واجب وبعضها مستحب، على حسب مالها من المدخلية في (عز الإسلام) كأحد الملاكات، كما لا يخفى (2).

ص: 388

1- سورة الحجرات: 9.

2- أي أن (عز الإسلام) أحد الأسباب التي تقتضي الوجوب أو الاستحباب وليس الأمر منحصراً به، فلربما يجب الشيء لجهة أخرى.

والصبر معونة على استيجاب الأجر(1)،

الصبر

الصبر(2)

مسألة: يجب الصبر في موارد، ويستحب في موارد أخرى، كما سيأتي.

وحيث أطلقت (عليها السلام) (الصبر) شمل الصبر على أداء الواجبات، والصبر عن المحرمات، والصبر في النوازل والمصائب والمشاكل الشخصية والعائلية والاجتماعية بمختلف أبعادها، كما ورد في الحديث: «الصبر على ثلاثة أوجه: فصبر على المصيبة، وصبر عن المعصية، وصبر على الطاعة»(3).

ومن الواضح أن الصبر في هذه المواطن المذكورة بين واجب ومستحب، كالكثير من الأحكام الجوارحية والجوانحية الأخرى.

وإلى الأقسام الثلاثة من الصبر أشارت الآيات الكريمة: قال تعالى: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا»(4).

وقال سبحانه: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ»(5).

وقال تعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ»(6).

ص: 389

- 1- وفي بعض النسخ: «والصبر معونة على الاستجابة» راجع دلائل الإمامة: ص 33 حديث فذك .
- 2- راجع (الفضيلة الإسلامية) للإمام المؤلف (قدس سره)، وجامع السعادات) للمولى النراقي (قدس سره).
- 3- بحار الأنوار: ج 74 ص 422 ب 15 ضمن ح 40.
- 4- سورة طه: 132.
- 5- سورة القلم: 48، سورة الإنسان: 24.
- 6- سورة الكهف: 28.

وقال سبحانه: «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» (1).

وقال تعالى: «وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ» (2).

إلى غير ذلك من الآيات الشريفة.

وحيث إنها (عليها السلام) كانت في صدد بيان بعض الفروع المهمة التي لها مدخلية في قوة المجتمع واستقامته وتقدمه ذكرت الصبر؛ إذ «الصبر مفتاح الفرج» (3)، وسبب التقدم، ويدفع الإنسان على تحمل ما يوجب له الأجر في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: «وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» (4).

فإنه لا يتقدم متقدم في أي بعد من أبعاد الحياة - سواء كان فرداً أم أمة أم جماعة - إلا بالصبر، قال تعالى: «إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ» (5). ولذا قال علي (عليه السلام): «اعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له» (6).

وفي الحديث: «ولا إيمان لمن لا صبر له» (7).

وقال (عليه السلام): «نعم عون الدين الصبر» (8).

ص: 390

1- سورة الأحقاف: 35.

2- سورة البقرة: 177.

3- شرح نهج البلاغة: ج 20 ص 307 الحكم المنسوبة 514.

4- سورة الشورى: 43.

5- سورة الأنفال: 65.

6- الخصال: ج 1 ص 315 خمسة لورحل الناس فيهن ما قدروا على مثلهن ح 96.

7- الكافي: ج 2 ص 89 باب الصبر ح 4.

8- مستدرک الوسائل: ج 17 ص 347 ب 1 ح 21542.

وقال (عليه السلام): «أفضل العبادة الصبر» (1).

وقال (عليه السلام): «الزم الصبر؛ فإن الصبر حلو العاقبة، ميمون المغيبة» (2).

ومن الواضح - بعد ذلك - أن الصبر حالة إيجابية، ولذا قال تعالى: «اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ» (3) وليس حالة سلبية؛ فإنه يعني الصبر على مشاق الطاعات كالصلاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر عن إتيان المحرمات.

أما الصبر في مشاق الحياة فهو يعني تحملها بجلد دون الانهيار تحت وطأتها «إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» (4) فيما لا قدرة للإنسان على الخلاص منها - دائماً أو لفترة - كمرض ميئوس منه أو سجن لا مخلص للإنسان منه.

أما إذا كان له طريق للخلاص من المرض أو الفقر أو سجن الحاكم الجائر أو ما أشبه ذلك من مشاكاللحياة، فعليه أن يسعى للخلاص منه. ف: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (5).

وقال تعالى: «رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَبَثِّ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْكَافِرِينَ» (6).

ص: 391

1- الإرشاد: ج 1 ص 302 ومن كلامه (عليه السلام) في وصف الإنسان.

2- غرر الحكم: ص 284 ق 3 ب 2 ف 7 جملة من فوائد الصبر ح 6353.

3- سورة البقرة: 153.

4- سورة هود: 11.

5- سورة الرعد: 11.

6- سورة البقرة: 250.

لا أن يبقى الإنسان على الوضع الذي هو فيه - مما لا يريد الله سبحانه - مدعيًا الصبر(1)، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا»(2).

السعي لاستحقاق الأجر والثواب

مسألة: يجب - في الجملة - القيام بما يوجب استحقاق الأجر والثواب، وهو الذي اعتبرته (عليها السلام) العلة لجعله جل وعلا (الصبر).

و«استيجاب الأجر»، أي استحقاقه(3)، كما ورد في الدعاء:

«من غير استحقاق لاستماعك مني ولا استيجاب لعفوك عني»(4).

و: «وباعدتني عن استيجاب مغفرتك»(5).

وفي الصحيفة السجادية: «ولا يبرئ نفسه من استيجاب نقيمتك»(6).

وقد يجيء باب الاستفعال بمعنى الفعل المجرد(7) فيكون الصبر - على هذا -

ص: 392

1- راجع (الفضيلة الإسلامية) للإمام المؤلف (قدس سره).

2- سورة النساء: 97.

3- استوجب الشيء استيجاباً: استحقه. راجع لسان العرب: ج 1 ص 793 مادة وجب.

4- المصباح للكفعمي: ص 589 دعاء السحر لعلي بن الحسين (عليه السلام) رواه حمزة الشمالي.

5- بحار الأنوار: ج 91 ص 347 ب 46 ح 4.

6- الصحيفة السجادية الكاملة: ص 170 الدعاء 39 وكان من دعائه (عليه السلام) في طلب العفو والرحمة.

7- راجع (البلاغة) للإمام المؤلف (قدس سره)، فيكون الاستيجاب بمعنى الوجوب، واستيجاب الأجر أي: وجوبه، والوجوب هو الثبوت

واللزوم.

.....
معوونة على ثبوت الأجر ولزومه.

فإن العمل الصالح يحتاج إلى لزوم أجره وثبوته بنحو العلة المبقية، وكثير من الناس من يحبط عمله ب (الجزع) مثلاً.

فالصبر هو المعين على دوام الأجر وعدم حبطه، قال (عليه السلام): «من أعطي الصبر لم يحرم الأجر»⁽¹⁾.

وحيث إن (الأجر) بين ما يجب عقلاً تحصيله أو المحافظة عليه، وبين ما يستحب، كان إتيان وإنجاز ما يوجهه بين واجب ومستحب، فمثلاً:

الفقير الذي يكتسب لقوت يومه وقوت عياله يجب عليه العمل لاستيحاب الأجر الذي يوفر لهم المأكل والملبس، أما الزائد منه على قدر الضرورة فهو مستحب.

و(الأجر) قد ينصرف للأجر الإلهي، ولكنه لغة وعرفاً يطلق على الأجر الدنيوي منه والأخروي، وربما يستظهر من كلامها (عليها السلام) إرادة الأعم، وقد يؤيد ذلك بقريئة السياق، فتأمل.

ص: 393

وجوب الأمر بالمعروف

وجوب الأمر بالمعروف (1)

مسألة: يجب الأمر بالمعروف في الجملة، فإن كان المعروف واجباً وجب، وإن كان مستحباً استحب إلا لو طرأ عليه عنوان ثانوي فقد يجب حينئذ.

قال تعالى: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» (2).

وهو واجب كفائي، فإن قام به من فيه الكفاية وإلا وجب على الجميع.

وقوله تعالى: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ» (3) قد يفيد ضرورة تفرغ أو تخصص مجموعة لذلك، وكان ذلك من أسباب تفرغ رجال الدين للهداية والتبليغ على مر العصور.

ولا يبعد أن يراد ب (الأمر بالمعروف) هنا: الأعم منه ومن النهي عن المنكر، لإطلاق كل واحد منهما على الآخر إذا انفرد، فإن الأمر بالصلاة وكذلك النهي عن شرب الخمر كلاهما أمر بالمعروف توسعاً (4).

ص: 394

1- راجع موسوعة الفقه: ج 48 كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2- سورة آل عمران: 104.

3- سورة آل عمران: 104.

4- أي: أنه مجاز للتلازم بينهما، إذ كل نهى عن المنكر يستلزم عقلاً وعرفاً الأمر بضده، فالنهي عن شرب الخمر يستلزم الأمر بترك شربه.

وقد وصف سبحانه وتعالى الأمة بأنها «خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» (1)؛ لأنها اتصفت ب: «تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» (2)، ولا يخفى ما لجعل الأمر والنهي في سياق الإيمان بالله من الدلالة على أهميتها.

وفي الحديث:

«فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه بأنها إذا أدت وأقيمت استقامت الفرائض كلها، هيئها وصعبها...» (3).

قال (عليه السلام): «غاية الدينالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (4).

وقال (عليه السلام): «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله، فمن نصرهما أعزه الله، ومن خذلهما خذله الله» (5).

وقال (عليه السلام): «الأمر بالمعروف أفضل أعمال الخلق» (6).

ص: 395

1- سورة آل عمران: 110.

2- سورة آل عمران: 110.

3- بحار الأنوار: ج 97 ص 79 ب 1 ح 37.

4- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 185 ب 1 ضمن ح 13837.

5- الكافي: ج 5 ص 59 باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح 11.

6- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 185 ب 1 ح 13837.

مراعاة المصلحة العامة

مسألة: تجب مراعاة المصلحة العامة، وإنما استفيد من هذه الجملة وجوب مراعاة المصلحة العامة - مع قطع النظر عن الأدلة العقلية والنقلية الأخرى الدالة على ذلك - لأنها (عليها السلام) جعلتها العلة الغائية لجعله سبحانه وتعالى (الأمر بالمعروف)، فقد أوجبه جل وعلا لأنه الطريق لمصلحة العامة، فلولا وجوبها لما ترشح الوجوب إلى الوسيلة والسبب، فتدبر. وغير خفي أن ذلك غير ما ذهبوا إليه من (المصالح المرسله)⁽¹⁾.

فليست (المصلحة العامة) مشرّعة، بل إنها تنقح موضوع القواعد الأولية والثانوية، وقد أوضحنا في العديد من الكتب أن الشؤون العامة يكون المرجع فيها هو (شورى الفقهاء المراجع)⁽²⁾. ومن البين أن مصلحة العامة على قسمين:

1. مصلحة لازمة تمنع النقيض.

2. ومصلحة ليست بتلك الدرجة.

فالممانعة من النقيض واجبة، والراجحة مستحبة.

ص: 396

1- راجع (الأصول)، و(الوصائل إلى الرسائل)، و(الفقه: القانون) للإمام المؤلف (قدس سره).

2- يراجع حول هذا المبحث الكتب التالية: (موسوعة الفقه: كتاب البيع ج4 و5)، و(الشورى في الإسلام)، و(الفقه: الدولة الإسلامية) للإمام المؤلف (قدس سره)، وكذلك (شورى الفقهاء المراجع) للشيخ ناصر الأسدي، و(شورى الفقهاء دراسة فقهية أصولية) لآية الله السيد مرتضى الشيرازي.

.....
كما أنه يعلم مما تقدم أنه أعم مما ينهى عنه أو يأمر به.

قولها (صلوات الله عليها): «مصلحة للعامة»؛ لأن بالأمر بالمعروف تستقيم أمور العامة وتهتدي إلى سبيل الرشاد، وبتركه تنحرف إلى ما يفسد دينهم ودنياهم.

ومن مصاديق ذلك ما أشارت إليه الرواية الشريفة: «لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»⁽¹⁾.

ويظهر من الروايات الشريفة ومن التدبر الكامل في أبعاد القضايا أنه يخطئ من يتصور أن تركه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - سواء كان منكراً صادراً من الحكومة أم من آحاد الناس - يخلصه من المشاكل ويجعله بمنحى عن البلاء، فقد قال الإمام علي (عليه السلام): «واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل، ولا ينقصان من رزق»⁽²⁾.

ولو تخلص من بلاء لأوقعه الله في بلاء أشد ولو بعد حين، كما في الرواية الآتية: «ليستعملن».

ص: 397

1- الكافي: ج 5 ص 56 باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح 3.

2- نهج البلاغة، الخطب: 156 ومن كلام له (عليه السلام) خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم، نهج البلاغة، قصار الحكم: 374.

بيان الأحكام

مسألة: يجب بيان الأحكام الشرعية للناس وجوباً كفاثياً عموماً، ويمكن بيانها في الخطاب أيضاً، كما بينت الزهراء (عليها السلام) قسماً من الواجبات والمحرمات في خطبتها.

فإنها (عليها الصلاة والسلام) على حسب اقتضاء المقام بينت قسماً من الأحكام الشرعية للناس، وهي أسوة، والفعل - وكلامها من هذه الجهة من مصاديقه - في أمثال المقام دليل الرجحان الأعم من الوجوب والاستحباب.

قال (عليه السلام): «بينوا ما ذكره الله» (1).

وقال (عليه السلام): «بينوا للناس الهدى الذي أنتم عليه» (2).

وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» (3).

وقال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (4).

ص: 398

1- بحار الأنوار: ج 36 ص 108 ب 39 ح 57.

2- تصحيح الاعتقاد: ص 71 فصل في النهي عن الجدل.

3- سورة البقرة: 159.

4- سورة البقرة: 174.

وبر الوالدين وقاية من السخط(1)،

البر بالوالدين

البر بالوالدين(2)

مسألة: البر بالوالدين - في الجملة - واجب على ما هو مفصل في الفقه، قال الله تعالى عن لسان النبي عيسى (عليه السلام): «وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا»(3).

وعن يحيى (عليه السلام) قال تعالى: «وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا»(4).

وربما يظهر منه أن البر في مقابل التجبر والشقاوة والمعصية، وحيث إن التجبر والعصيان محرم فالبر واجب، فتأمل.

هذا إضافة إلى وقوعه في سياق الصلاة والزكاة وكونه وصية الله سبحانه الظاهرة - لولا القرينة - في الوجوب. والآيتان - بمعونة استصحاب الشرائع السابقة، بل دلالة الروايات على ذلك - كفيلتان بالمطلوب، فتأمل. قال تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا»(5) ولشفع الإحسان بالوالدين ب «لا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» ولقوله: «قَضَىٰ» أكبر الدلالة، كما لا يخفى.

ص: 399

1- وفي بعض النسخ: «السخطة» - راجع كشف الغمة: ج 1 ص 484 فاطمة (عليها السلام) -.

2- حول هذا المبحث يراجع: (الفقه: الواجبات والمحرمات)، و(الفقه: الآداب والسنن)، و(الفضيلة الإسلامية)، و(الأخلاق الإسلامية)، للإمام المؤلف (قدس سره).

3- سورة مريم: 32.

4- سورة مريم: 14.

5- سورة الإسراء: 23.

وقال سبحانه: «أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ»(1).

وقال تعالى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ»(2).

نعم، من البر ما هو مستحب أيضاً وهو الزائد على القدر الواجب، وقد ذكر هذا المبحث مفصلاً في علمي الأخلاق(3) والفقهاء.

قال (عليه السلام): «بر الوالدين واجب وإن كانا مشركين»(4).

وقال (عليه السلام): «بر الوالدين أكبر فريضة»(5).

وقال (عليه السلام): «بر الوالدين وصلة الرحم يزيدان في الأجل»(6).

إسقاط الوالدين

مسألة: يحرم ما يوجب سخط الوالدين، أو سخط الله سبحانه وتعالى، أو كليهما؛ لأن الألف واللام في (السخط)(7) قد يكون عوضاً عن المضاف إليه وهو الله تعالى، أو الوالدين، أو كليهما، أي (وقاية من سخط الله أو الوالدين أو...) أو إنه للجنس مثلاً.

ص: 400

1- سورة لقمان: 14.

2- سورة العنكبوت: 8، سورة لقمان: 14، سورة الأحقاف: 15.

3- راجع جامع السعادات للمولى النراقي (قدس سره).

4- وسائل الشيعة: ج 16 ص 155 ب 11 ح 21229.

5- مستدرک الوسائل: ج 15 ص 178 ب 68 ح 17924.

6- بحار الأنوار: ج 71 ص 83 ب 2 ضمن ح 90.

7- في قولها (عليها السلام): «وقاية من السخط».

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «رضا الله مع رضا الوالدين، وسخط الله مع سخط الوالدين»⁽¹⁾. وقال (صلى الله عليه وآله): «يا علي، رضا الله كله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخطهما»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «فإن رضاهما رضاء الله، وسخطهما سخط الله»⁽³⁾.

ولا يخفى أن جملة من العلماء ذهبوا إلى عدم وجوب طاعة الوالدين إلا فيما إذا أوجب عدم الطاعة أذاهما لا مطلقاً.

ثم المستثنى أيضاً ليس على إطلاقه، فلو تأذى الوالدان من تجارة الولد مثلاً ونهياه عن العمل مطلقاً، أو عن خصوص التجارة منه مثلاً، أو أمراه بطلاق زوجته خصوصاً إذا كان له منها أولاد، لا تجب عليه الطاعة حتى لو أدى ذلك إلى سخطهما وأذاهما وعدم رضاهما؛ لأن إطلاقات أدلة (الطاعة) و(البر) منصرفة عن أمثال ذلك⁽⁴⁾.

ص: 401

1- روضة الواعظين: ص 368 مجلس في ذكر وجوب بر الوالدين.

2- جامع الأخبار: ص 83 ف 40.

3- تفسير القمي: ج 2 ص 149 سورة العنكبوت.

4- راجع موسوعة الفقه: ج 93 كتاب المحرمات ص 259 وفيه: (ثم إنهما إذا تأذيا لعدم إطاعة الولد لهما، فالظاهر أنه إذا كان أمرهما يوجب هدم حياة الولد العادية لم تجب الطاعة وإلا وجبت؛ لانصراف النصوص عن مثل ذلك، فإذا قال الوالدان لولدهما: تزوج بالبنات الفلانية، أو لا تسافر في تجارتك الكذائية، أو افتح دكاناً في المحل الفلاني لا المحل الفلاني، أو طلق زوجتك، أو ما أشبه ذلك، لم يجب على الولد الطاعة بل له المخالفة وجريه العادي لكن مع التأدب في الكلام والملازمة في التخلص، والبحث بالنسبة إلى حقوق الوالدين وعقوقهما طویل، والروايات في الأمرين كثيرة نكتفي منه بهذا القدر، انتهى.

.....
و(السخط) يعني: الغضب والكره(1).

هذا ويحتمل أن يكون المراد من (السخط) هو السخط التكويني(2)؛ لأن عدم برّ الوالدين يؤدي إلى انفصام المجتمع وتشققه وتفككه وكرهية بعضه لبعض، إذ الأبناء إذا لم ييروا آباءهم لم يبرهم أبناؤهم، بل كان ذلك مقتضياً لعدم تعاون إخوانهم وسائر أقاربهم معهم، وإذا انفصمت العائلة انفصم الاجتماع وتفكك(3)، وهو من أكبر أقسام السخط، ويؤيد الثاني: إن أغلب العلل عقلية، واللام هنا قد تكون للعهد الذهني، فتأمل.

ص: 402

-
- 1- وفي لسان العرب: ج 7 ص 312 مادة سخط: (السَّخَطُ والسَّخَطُ: ضد الرضا... وسخط الشيء سخطاً: كرهه، وسخط أي غضب فهو ساخط، وأسخطه: أغضبه، تقول: أسخطني فلان فسخطت سخطاً... السَّخَطُ والسَّخَطُ: الكراهية للشيء وعدم الرضا به).
 - 2- فينبغي على هذا تفسير السخط ب (الكره) كما هو أحد معانيه لا (الغضب)، فتأمل.
 - 3- راجع كتاب (العائلة) للإمام المؤلف (قدس سره).

وصلة الأرحام منسأة في العمر، ومنمأة للعدد(1)

صلة الأرحام

مسألة: تجب صلة الأرحام، وتستحب بعض درجاتها، كما تستحب في بعض الأرحام، أصلاً وفصلاً، قال تعالى: «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «صلة الرحم تزيد في العمر»(3).

وقال (عليه السلام): «صلة الأرحام تزكي الأعمال»(4).

وقال (عليه السلام): «صلة الأرحام تثمر الأموال، وتنسى في الآجال»(5).

وقال (عليه السلام): «صلة الرحمة تزيد في الرزق»(6).

وكل من (الصلة)(7) و(الأرحام)(8) موضوعان عرفيان، بمعنى: إن العرف

ص: 403

1- وفي بعض النسخ: «وصلة الأرحام منمأة للعدد وزيادة في العمر» راجع دلائل الإمامة: ص 33 حديث فذك.

2- سورة النساء: 1.

3- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 368 باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب ح 5762.

4- الكافي: ج 2 ص 150 باب صلة الرحم ح 4، والكافي: ج 2 ص 152 باب صلة الرحم ح 13.

5- مستدرک الوسائل: ج 15 ص 250 ب 11 ضمن ح 18143.

6- وسائل الشيعة: ج 15 ص 347 ب 49 ح 20704.

7- الصلة هنا بمعنى: البر - مجمع البحرين: ج 5 ص 492 مادة وصل.

8- الرحم: من يجمع بينك وبينه نسب - مجمع البحرين: ج 6 ص 70 مادة رحم - فيخرج بذلك الترابط السببي كأقارب الزوجة للزوج

وبالعكس. وفي لسان العرب: ج 12 ص 232 مادة رحم -: (الرحم: القرابة، وذو الرحم هم القرابة، وخصها البعض بالقرابة من جهة الأب)،

وقيدها بعض بنمط آخر: (المحارم الذين يحرم التناكح بينهم). والصحيح ما ذهب إليه المؤلف (رحمة الله)، والذي يبدو أن المعنى العرفي

له: هو القرابة النسبية بمعنى كل ذي رحم وإن بعد ولكن إلى الحد الذي يسميه العرف رحماً. راجع سفينة البحار: مادة رحم.

هو المرجع في تشخيص ما هو صلة وما ليس بصلة، ومن هو رحم ومن ليس برحم.

نعم، لا يبعد الفرق بين الأرحام القريبة والبعيدة(1) وربما يحتمل أن الرحم البعيدة البعيدة جداً - مما يصدق عليها مع ذلك رحم لا كمثل القرابة معه في آدم وحواء (عليهما السلام) - يستحب صلتها وليست بواجبة.

قطع الرحم

مسألة: وكما تجب صلة الرحم يحرم قطعها، والكلام في القطع هو الكلام في صلة الرحم، من جهة الخصوصيات موضوعاً وحكماً، مضافاً ومضافاً إليه، وقد ذهب العديد من الفقهاء(2) - وهو المختار - إلى أن قطع الرحم ليست معصية فحسب بل هي من الكبائر أيضاً، قال تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ (عليهم السلام) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ»(3).

ص: 404

- 1- أي في مراتب الاستحباب مثلاً.
- 2- ومنهم الشهيد (قدس سره) في (القواعد)، وراجع أيضاً موسوعة الفقه: ج 93 كتاب المحرمات ص 305، وفيه: (لا إشكال في أن قطع الرحم من الكبائر، وكل واحد من الرحم والقطع موضوعان عرفيان، وفي مورد الشك المرجع الأصول).
- 3- سورة محمد: 22-23.

وقال الصادق (عليه السلام): «لا يجد ريح الجنة عاق ولا قاطع رحم»⁽¹⁾. وقال (عليه السلام): «من قطع رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «ما آمن بالله من قطع رحمه»⁽³⁾.

السعي لطول العمر

السعي لطول العمر⁽⁴⁾

مسألة: يستحب أن يأتي الإنسان بما يؤدي إلى طول عمره من الأسباب والعوامل الجسمانية والنفسانية والغيبية، إذ قد ذكرت (عليها السلام) أن الله سبحانه جعل لصلة الرحم - الواجبة في الجملة والراجحة مطلقاً - طول العمر ثواباً وجزاءً، وقد تقدم وجه الاستدلال، وقد ورد: «وأن تطيل عمري وتمد في أجلي»⁽⁵⁾، و: «وأن تجعل فيما تقضي وتقدر أن تطيل عمري»⁽⁶⁾، و: «أسألك أن تطيل عمري فيطاعتك»⁽⁷⁾، و: «وأن تصلي على محمد وآل محمد وأن تطيل عمري»⁽⁸⁾، و: «وطول العمر وحسن الشكر»⁽⁹⁾، وما أشبه ذلك.

ص: 405

- 1- تهذيب الأحكام: ج 8 ص 113 ب 5 ح 39.
- 2- فضائل الأشهر الثلاثة: ص 78 كتاب فضائل شهر رمضان ح 61.
- 3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 407 ق 6 ب 1 ف 2 قطع الرحم وذمه ح 9327.
- 4- راجع موسوعة الفقه: كتاب المسائل المتجددة، للإمام المؤلف (رحمة الله).
- 5- العدد القوية: ص 381 اليوم الثلاثون.
- 6- تهذيب الأحكام: ج 3 ص 115 دعاء أول يوم من شهر رمضان.
- 7- بحار الأنوار: ج 94 ص 358 ب 3 ح 1.
- 8- العدد القوية: ص 381 اليوم الثلاثون.
- 9- تهذيب الأحكام: ج 3 ص 123 وداع شهر رمضان ح 39.

ولما سُئِلَ (صلى الله عليه وآله) عن السعادة؟ قال: «طول العمر في طاعة الله»(1).

أما سؤال علي (عليه الصلاة والسلام) (2) والزهراء (صلوات

الله عليهما) من الله تعالى الموت - كما هو المشهور(3) فهو للتزاحم من باب قاعدة (الأهم والمهم) وليبيان المظلومية وغير ذلك.

هذا وقد قال تعالى مخاطباً اليهود: «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (عليهم السلام) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ»(4).

ثم إن تأثير صلة الرحم في طول العمر وزيادة العدد، يمكن أن يكون بالأسباب الغيبية، ويمكن أن يكون بالأسباب الظاهرية؛ فإن من يصل رحمه يكون مرتاح الوجدان، مطمئن الضمير، واطمئنان الضمير وسكون النفس يوجب طول العمر، لتأثير كل من الروح والبدن في الآخر، كما ذكرناه في مبحث آخر من هذا الكتاب.

إضافة إلى أن صلة الرحم يوجب الحيلولة دون كثير من النزاعات - التي

ص: 406

1- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 92 بيان السبب الذي ينال به حسن الخلق على الجملة.

2- ربما يكون إشارة إلى قوله (عليه السلام): «اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئمونني، فأبدلني بهم خيراً...» انظر بحار الأنوار: ج 39 ص 19 ب 31.

3- راجع بحار الأنوار: ج 43 ص 177 ب 7 ح 15، وفيه: عن فضة: أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت تقول: «يا إلهي عجل وفاتي سريعاً». وفي علل الشرائع: ج 1 ص 43 ب 38 ح 1، عن نبي من الأنبياء (عليهم السلام) أنه قال: «سيدي قد ترى ضيق مكاني وشدة كربتي، فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي، وعجل بقبض روحي ولا تؤخر إجابة دعائي».

4- سورة الجمعة: 6-7.

تتولد وتتزايد من قطع الرحم واستمراره - ومن الواضح تأثير النزاعات على تحطيم الأعصاب وتدمير الصحة. وقد فصلنا البحث في كتاب (الآداب والسنن)(1)، وربما يشير إلى ذلك قوله (عليه السلام): «صلة الأرحام تحسن الخلق، وتسمح الكف، وتزيد في الرزق، وتنسى في الأجل»(2).

وكذلك الأمر في تأثير صلة الرحم في تكاثر العدد لما سبق، والظاهر أنه لا مانعة من الجمع بين الوجهين السابقين(3).

التكثير في النسل

التكثير في النسل(4)

مسألة: يستحب التناسل والتكثير من الأولاد، وقد اعتبرته (عليها السلام) النتيجة الثانية لجعله جل وعلا (صلة الرحم) وأمره بها، كما اعتبرته مشوقاً للناس وطريقاً لحضهم على صلة الرحم؛ فإن كثرة الأولاد مطلوبة للشارع كما هو واضح، وقد قال (صلى الله عليه وآله): «تناكحوا تناسلوا تكثروا؛ فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط»(5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «تزوجوا الودود الولود»(6).

ص: 407

1- راجع موسوعة الفقه: ج 94-97 كتاب الآداب والسنن.

2- بحار الأنوار: ج 71 ص 114 ب 3 ح 74.

3- أي القول بأن تأثير صلة الرحم في طول العمر وزيادة العدد لأسباب غيبية أو لأسباب ظاهرية.

4- راجع تفصيل هذا المبحث في كتاب (الفقه: النكاح)، و(الفقه: الآداب والسنن)، و(العائلة) للإمام المؤلف (قدس سره).

5- جامع الأخبار: ص 101 ف 58.

6- مستدرک الوسائل: ج 14 ص 178 ب 15 ح 16437.

وقال (صلى الله عليه وآله): «سوداء ولود خير من حسناء عقيم»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «وخير النساء الودود الولود»(2).

وقال (عليه السلام): «تناكحوا تناسلوا»(3).

وقال (عليه السلام): «حصير ملفوف في زاوية البيت خير من امرأة لا تلد»(4).

وفي القرآن الكريم: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (عليهم السلام) يُرْسِدِ لِلسَّمَاءِ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (عليهم السلام) وَيُمِدُّ بِأَمْوَالٍ وَأَنْبِيَاءٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَاراً»(5). وقال تعالى: «ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ»(6).

وبالعكس من كل ذلك قطع الرحم فإنه يقصر العمر وينقص العدد، وربما أدى إلى اندثار أسر بكاملها.

قولها (عليها السلام): «منماة» لوضوح أن الأرحام إذا وصل بعضهم بعضاً ازدادوا تعاضداً وتعاوناً، وتنامي حالة التآلف والتعاون والتقارب بين الأرحام وتلك توجب كثرة النسل، إذ توفر الأرضية الطبيعية للزواج وتذلل العقبات التي تحول دونه، كما توجب اطمئنان العوائل والأسر بمستقبل أبنائهم فيحضهم ذلك على زيادة النسل، إلى غير ذلك من أسباب النمو العددي.

ص: 408

1- جامع الأخبار: ص 101 ف 58.

2- دعائم الإسلام: ج 2 ص 191 ف 1 ح 689.

3- مستدرک الوسائل: ج 14 ص 153 ب 1 ح 16346.

4- مستدرک الوسائل: ج 14 ص 176 ب 14 ح 16431.

5- سورة نوح: 10-12.

6- سورة الإسراء: 6.

أما ما يرى اليوم في بعض البلاد الإسلامية من الحث على قلة النسل فهو من حيل الاستعمار(1).

1- راجع كتاب (العائلة) للإمام المؤلف (قدس سره)، وفيه تحت عنوان (فكرة تحديد النسل من وراءها): قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «تناكحوا تناسلوا تكثروا»، وقال أيضاً: «تناكحوا تناسلوا تكثروا؛ فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط»، والحديثان يتضمنان حكماً وإن كان على سبيل الاستحباب لكن خلافه كخلاف كل مستحب ومكروه لا يكون إلا في حالة الضرورة، فإن صلاة الليل مثلاً مستحبة ولا تسقط عن الاستحباب إلا للضرورة، وهكذا بقية المستحبات. ويدخل إكثار النسل ضمن هذه القاعدة، لكن ما يجري اليوم خلاف هذه الحقيقة تماماً، فقد أصبحت فكرة (إكثار النسل) فكرة غريبة على المسلمين وأحلوا محلها فكرة (تحديد النسل) التي كانت مستهجنة عند المسلمين حتى قبل سنين، فحتى في أشد فترات التأريخ بؤساً من التأريخ الإسلامي لم نشاهد من يدعو إلى هذه الأفكار المخالفة للعقل والفطرة. صحيح أنه كان بعض الحكام يقترفون المنكرات لكن كانت قوانين الإسلام جارية - عادة - في المجتمع، فكان الاقتصاد إسلامياً والمجتمع مسلماً، فلم تظهر في هذا المجتمع بوادر سلبية منحرفة. أما اليوم وبعد أن دخل الاستعمار الغربي بلادنا انقلب كل شيء... انقلب الحرام حلالاً... أصبح الغناء أمراً شائعاً... أصبح القمار أمراً مألوفاً... وأضحت الضرائب والمكوس والحدود الجغرافية ومصادرة الحريات والكبت والإرهاب والمنع عن الحج أموراً جائزة. وفي هذا الجو المنقلب على الإسلام أتنا دعوة من الغرب تدعو المسلمين إلى تحديد النسل بحجة تدني المستوى الاقتصادي للأسرة، وهبوط مدخولات الدول التي لا تستطيع أن تفي بتعهداتها، من قبيل فتح المدارس وإنشاء المستشفيات، وما إلى ذلك من الخدمات الاجتماعية. أما هم فيشجعون أبناءهم على الزواج المبكر، ويشجعون التناسل والدعوة إلى الزواج والإنجاب، تبدأ مع تدريس الأولاد في الابتدائية وصاعداً. وهناك مخاوف كبيرة لدى العديد من قادة الغرب مفادها: إن الشعوب الأوروبية في طريقها إلى الانقراض إذا بقي العد العكسي في معدلات نمو السكان. وهم يعرفون لماذا تنقرض شعوبهم؟. يعرفون السبب الكامن وراء تناقص السكان في أوروبا... إن أهم سبب يكمن وراء ذلك هو الدعوة إلى تحديد النسل التي راجت أوروبا في الستينات، والتي زرعت في الذهنية الأوروبية فكرة: إن إنجاب الأولاد هو عمل خاطئ، وظل الأوروبيون يحملون هذه الفكرة حتى تضائل نسلهم. واليوم اكتشفوا أن الخطأ ليس في عملية الإنجاب بل في الدعوة إلى تحديد الإنجاب. واليوم ومع الأسف الشديد صدروا لنا هذه الدعوة بعد أن ذاقوا مساوئها، جاءوا بها إلى العالم الإسلامي ليدعوا المسلمين إلى تحديد النسل. وبعيداً عن الهالة التي أحاطوا بهذه الدعوة نستطيع أن نستقصي أهداف الغربيين منها، أنها من أجل دفع المسلمين إلى التنازل، فقد وجدوا في هذه الدعوة السلاح الفتاك القادر على أضعاف المسلمين بعد أن فشلت أسلحتهم الأخرى. نتساءل لماذا لا يطالبون اليهود في فلسطين المغتصبة بتحديد النسل؟. لماذا لانجد اليهود لا يعيرون أية أذن صاغية لهذه الدعوة؟. لماذا تشجع إسرائيل الإكثار من النسل، حتى أصبح من المناظر المألوفة - كما يذكر الصحفيون الذين زاروها - منظر النساء الحوامل وهن يجلن في الشوارع أو يعملن في المتاجر أو يدرسن في المدارس أو يشتغلن كشرطيات؟. لماذا تحرم إسرائيل الدعوة إلى تحديد النسل ونحن المسلمون نحللها، حتى البعض منا يعتبرها من الواجبات كالصوم والصلاة والعياد بالله. إن قضية تحديد النسل دعوة سياسية هدفها تضييق المسلمين ولا علاقة لها بالأمور الاقتصادية بالرغم مما يقولون. فنحن نتساءل: لماذا تحديد النسل؟. هل أن السنن الإلهية تغيرت في الكون؟. أم أن الطبيعة ومخلوقات الله تبدلت؟. أم أن أحكام الله سبحانه تختص بزمان دون آخر؟. أم لقلّة أراضينا ومياهنا؟. أم لقلّة مواردنا وإمكاناتنا؟. فالعالم الإسلامي يمتلك أراضي شاسعة صالحة للزراعة والعمارة ويمتلك مخزوناً كبيراً من المياه، ويزخر بالموارد والإمكانات التي لا تعد ولا تحصى. فمن غير الصحيح إطلاق أبواب تحديد النسل، إذ ليس هناك أي موجب لهذا العمل. مثلاً: العراق الذي كان يسمى ببلد السواد كانت نفوسه أكثر من

أربعين مليون إنساناً في العهد العباسي حسب تقديرات بعض المؤرخين، واليوم لا يزيد عدد سكانه عن نصف هذا الرقم. وبلد كالسودان ربما كان باستطاعته أن يشبع القارة الإفريقية بأجمعها لما يملكه من أراضٍ صالحة للزراعة وموارد مائية، وهكذا بقية البلاد الإسلامية التي تمتلك ثروة هائلة زراعية ومعدينية ونفطية. لكن إلى أين تذهب هذه الموارد؟. ولماذا تجمد تلك الثروات؟.

هذا هو السؤال الذي يجب أن نجيب عنه. هذه هي المشكلة التي يجب حلها. وكل المشاكل هي نابعة من هذه المشكلة. فمشكلة التضخم السكاني، ومشكلة التفاقم الاقتصادي، ومشكلة التخلف الاجتماعي، ومشكلة فقدان الاعتبار السياسي، كل هذه المشاكل مصدرها مشكلة واحدة هي جور الحكام وظلمهم وتعسفهم ودكتاتوريتهم، وسيطرتهم على رقاب المسلمين، وتسييرهم لأموال البلاد حسب أهوائهم، وليس حسب الخطط السليمة ومصالح الشعوب. إن حاكماً واحداً في بلاد إسلامية هو صدام، سرق - حسب بعض الإحصاءات - من قوت الشعب 300 مليار دولار، مع قطع النظر عما دمره من ثروات الشعب في حروب عدوانية. فلو أضفنا إليه سرقات الحكام الآخرين على مدى التاريخ الحديث للبلاد الإسلامية فكم من ثروة المسلمين تبذرت على أعتاب أهواء ونزوات هؤلاء الحكام؟. إن هناك من يسرق قوت الشعب، فكان لا بد أن نقول له الحقيقة، ونواجهه بالمشكلة ونقول له: أنت سارق، وأن نطالبه بأن يرد أموال الناس إليهم، وليس أن نطالب الناس بأن يشدوا أحزمة الجوع على بطونهم، ونقول لهم: كفوا عن الزواج وكفوا عن التناسل، فليس هناك طعام تملئون به أفواه أبناءكم. إن قسماً كبيراً من ثروات البلاد الإسلامية ذهبت إلى بلاد الغرب، فقد دلت الإحصاءات أن خمس البشر يستهلكون أربعة أخماس ثروات العالم، وهم الذين يعيشون في الدول الصناعية، أما أربعة أخماس البشر وهم الفقيرة الذين يسمونهم بالعالم الثالث فهم لا يستهلكون سوى خمس ثروات الأرض. هنا تكمن الكارثة... فانعدام العدالة في الأرض وعدم تطبيق القوانين الإسلامية في التنمية، كقانون (من سبق) وقانون (الأرض لله ولمن عمرها)، ووجود الحكومات الخائفة وسيطرتها على الأمور، وكثرة الموظفين الكابتين لحريات الناس، وسوء التوزيع في الثروة، وانعدام صوت المعارضة، نسفت الشعوب الفقيرة وديست كرامتها. منعوا عنا الكلام... ثم منعوا عنا الطعام... ثم جاءوا اليوم ليقولوا لنا: كفى إنجاباً للأولاد. إن مشكلة النسل تعالج في الإسلام ضمن سياق النظام الإسلامي القائم على العدالة والتعددية: فبالعدالة يزيل الإسلام الفقر، ويزيل الحواجز بين الغني والفقير والحاكم والمحكوم. وبالتعددية يجعل للشعب صوتاً عالياً قادراً على الكلام بحرية. إن نظرة الإسلام إلى الإنسان تختلف عن نظرة الأنظمة، فبعض الأنظمة ترى في الإنسان عباً ثقيلاً وترى في كل مولود جديد ضيفاً غير مرغوب فيه، ترى فيه فما جديداً يضاف إلى الأفواه التي تطالب بالطعام، هذا هو الإنسان في ظل بعض الأنظمة... أما في ظل الإسلام فالإنسان هو قوة حيوية ونشاط متوقد. فالقرآن الكريم يرى في الإنسان أقوى مخلوق على سطح الكرة الأرضية، ويرى فيه سر التقدم في الدنيا: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَأُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى» - سورة النجم: 36-41. ويرى الإسلام في كل مولود جديد رقماً يضاف إلى التقدم والرفق، وقد نسب إلى الإمام علي (عليه السلام) قوله: أنتحسب أنك جرم صغير *** وفيك انطوى العالم الأكبر ويرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في كل ولادة رقماً جديداً للتفاخر أمام الأمم وحتى لو كان المولود سقطاً لم تكتب له الحياة، أليس هو القائل: «تناكحوا تناسلوا؛ فإني أباهي بكم يوم القيامة ولو بالسقط». فالمولود الجديد قد يكون عالماً أو مخترعاً أو مهندساً أو أي إنسان آخر يضيف إلى الحياة ساعداً جديداً للعمل، ويضيف للتاريخ قيمة وعبقورية جديدة. فالحياة لا تشيدها الأدوات والمكائن بل السواعد الهميمة. والحياة لا تديرها الكمبيوترات المتطورة ولا الأقمار الصناعية بل يديرها العقل الكامن في الإنسان، فكل مولود جديد هو عقل جديد، وهو ساعد جديد، وهو تقدم جديد، فلماذا هذا الخوف...؟. أليس الله سبحانه وعدنا ووعدنا حق وصدق: «نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ» - سورة الإسراء: 31 -، وقال جل ذكره: «وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» - سورة النور: 32. فالزواج هو سبب لإزالة الفقر، والأبناء هم سبب للرزق، هذا في منطق الوجدان والقرآن والشريعة. أما الذين يرون عكس ذلك، يرون أن الزواج والأبناء سبب لتقليل الرزق يبتعدون كل البعد عن الله سبحانه والقرآن، وعن منطق العقل والحكمة)، انتهى.

حق القصاص

مسألة: يجوز القصاص وليس هو بواجب، فهو (حق) أعطاه الله للمعتدى عليه أو لذويه، له أن يأخذ به، وله أن يعفو.

فالمراد بقولها (عليها السلام): «جعل الله القصاص» أي حق القصاص، بل قد يكون الأرجح ترك الأخذ بهذا الحق، ولذا قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ... فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ» (1).

وقال عز وجل: «وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ» (2).

قال الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسيره للآية الشريفة: «(فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ)» (3) يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا عنه من جراح أو غيره» (4).

ص: 413

1- سورة البقرة: 178. وجاء في بعض التفاسير سبب ذكر كلمة (أخيه) - راجع التبيان: ج 2 ص 102 - . ثم إن التعبير بالأخ يوجب إثارة المحبة والرافة وقد يدل على أن العفو أحب.

2- سورة المائدة: 45.

3- سورة المائدة: 45.

4- تهذيب الأحكام: ج 10 ص 179 ب 13 ح 15.

وجعل الله تعالى حق القصاص هو الذي (يحقن الدماء)، ولا يلزم جعل (وجوب القصاص) بل جعل الحق أولى بدرجات من جعل الوجوب، لما فيه من رعاية شتى مقتضيات باب التزاحم(1)، ولذا عبر تعالى ب: «تَصَدَّقَ»(2) في الآية الشريفة. وقد روي: «إن القصاص كان في شرع موسى (عليه السلام)، والدية حتماً كان في شرع عيسى (عليه السلام)، فجاءت الحنيفية السمحة بتسوية الأمرين»(3). وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وصيته للمسلمين: «أيها الناس أحيوا القصاص»(4).

و(القصاص) أعم من النفس والجوارح والقوة(5) وإن كان في كلامها (عليها السلام) قد يقال بانصرافه للقتل نظراً ل (حقناً للدماء)، فتأمل.

فلسفة العقوبات الإسلامية

مسألة: من الضروري بيان فلسفة العقوبات في الإسلام للناس، حتى لا يتهموا الإسلام بالغلظة والقساوة، كما أشارت إليها (عليها السلام)، وكما ورد في كثير من الروايات(6).

ص: 414

- 1- إذ كثيراً ما يرى أولياء الدم المصلحة - لأنفسهم أو لغيرهم - في العفو عن الجاني، وكثيراً ما يرون الأصلح بحالهم أخذ الدية، ولذا خيروا بين القصاص والدية والعفو.
- 2- سورة المائدة: 45.
- 3- غوالي اللآلي: ج 1 ص 387 ب 1 المسلك الثالث ح 18.
- 4- وسائل الشيعة: ج 28 ص 338 ب 7 ح 34900.
- 5- كمن أفقد شخصاً قوة الإنجاب أو الفكر أو ما أشبهه.
- 6- راجع مثلاً: علل الشرائع: ج 2 ص 534 ب 321، ج 2 ص 538 ب 326، ج 2 ص 543 ب 331، ج 2 ص 545 ب 335.

فإن بعض الناس يتصورون أن بعض العقوبات قاسية من جهة أن الأفضل مثلاً في القاتل أن يُسجن أو تؤخذ منه الدية لا أن يُقتل، لكن هذه المزاعم غير تامة؛ فإن الإنسان إذا علم أن جزاء القتل هو السجن والغرامة لا القصاص بالمثل، فإنه عادة لا يعدل عن الجريمة، وخاصة إذا كان قادراً على التحايل والتلاعب بالقانون من خلال دفع الرشوة، واتخاذ المحامي بالباطل، وتخفيف مدة العقوبة وغير ذلك.

ولذلك قالت (عليها السلام): «والقصاص حقناً للدماء».

وقالوا: (قتل البعض إحياء للجميع)(1).

وقالوا: (القتل أنفى للقتل)(2).

وقال القرآن الكريم: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»(3).

ومن أوضح الأدلة على ذلك، ما نشاهده عن ازدياد الجرائم في العالم الغربي، وهذا بحث طويل نكتفي منه بهذا القدر(4).

ص: 415

1- أحكام القرآن للجصاص: ج 1 ص 194.

2- فقه القرآن: ج 2 ص 402 باب قتل العمد وأحكامه.

3- سورة البقرة: 179.

4- للتفصيل حول فلسفة العقوبات في الإسلام راجع: (العقوبات في الإسلام) لآية الله العظمى السيد صادق الشيرازي K، وراجع للإمام المؤلف (قدس سره) موسوعة الفقه: ج 87-88 كتاب الحدود والتعزيرات، وموسوعة الفقه: ج 89 كتاب القصاص.

وجوب حقن الدماء

مسألة: حقن الدماء واجب، وإراقته محرم، ففي الحديث: «زوال الدنيا أهون على الله من إراقة دم مسلم»⁽¹⁾.

وقال (عليه السلام): «من أغان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة بين عينيه مكتوب: آيس من رحمة الله تعالى»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «من أغان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله»⁽³⁾.

و(القصاص) المذكور في كلامها (عليها السلام) هو إحدى الطرق التي تؤدي إلى حقن الدماء.

فكل ما يؤدي - ولو تسبباً - إلى إراقة الدم محرم، من غير فرق بين إراقة الدم كلياً كالقتل، أو جزئياً كما في قطع يد أو رجل أو فقا عين أو جدع أنف أو صلصم أذن أو ما أشبه ذلك.

ولا يخفى أن وجوب (حقن الدم) وحرمة إراقته من باب المثل، وإلا فمطلق إزهاق النفس حرام ولو بحرق أو غرق أو سم أو ما أشبه ذلك، وهكذا بالنسبة إلى إسقاط عضو عن الفعالية وإذهاب قوة.

ص: 416

1- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 85 باب العتاب.

2- بحار الأنوار: ج 101 ص 383 ب 2 ح 1.

3- غوالي اللآلي: ج 2 ص 333 باب الصيد وما يتبعه ح 48.

نعم، لا- يجوز القصاص بالمثل في بعض الموارد، مثلاً من أحرق إنساناً فإنه لا يحرق في قبالة، كما أن من أغرق شخصاً فإنه لا يغرق كما أُغرق وهكذا، وقد ثبت هذا الاستثناء بالأدلة الخاصة المخصصة لقوله سبحانه: «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»(1)..

وقوله سبحانه: «وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا»(2)..

وما أشبه ذلك من العمومات التي لولا التخصيص لكانت شاملة لكل الأقسام(3).

ص: 417

1- سورة البقرة: 194.

2- سورة الشورى: 40.

3- راجع حول هذا المبحث (الفقه: القصاص)، و(الفقه: الحدود)، و(الفقه: الديات)، و(الفقه: القواعد الفقهية) للإمام المؤلف (قدس سره).

والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة(1)،

وجوب الوفاء بالنذر

مسألة: يجب الوفاء بالنذر(2) إذا اجتمعت فيه شروطه وفي مخالفته الكفارة، كما فصلناه في الفقه(3).

بخلاف النذر المنهي كما ورد: «أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى عن النذر لغير الله، ونهى عن النذر في معصية أو قطيعة رحم»(4).

قال تعالى: «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا»(5). وهذا مما يشير إلى أن عدم الوفاء بالنذر يعرض الإنسان لشر ذلك اليوم.

وقال سبحانه: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ»(6).

وقال جل وعلا: «لِيُوفُوا نُذُورَهُمْ»(7).

ص: 418

1- وفي بعض النسخ: «والوفاء بالنذور» راجع كشف الغمة: ج 1 ص 484 فاطمة (عليها السلام). وفي بعضها: «والوفاء بالعهود تعرضاً للمغفرة» راجع دلائل الإمامة: ص 33 حديث فذك.

2- راجع موسوعة الفقه: ج 74-75 كتاب النذر.

3- راجع المسائل الإسلامية: ص 588-591 أحكام النذر والعهد، المسألة 3095-3124، الطبعة 36، عام 1421 هـ / 2000م، مؤسسة المجتبي بيروت - لبنان.

4- دعائم الإسلام: ج 2 ص 100 ف 3 ح 319.

5- سورة الإنسان: 7. وقد صرح المفسرون من الفريقين بأن هذه الآيات نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام).

6- سورة النحل: 91.

7- سورة الحج: 29. واضح أن المورد لا يخصص الوارد.

وقال (عليه السلام): «كن منجزاً للوعد موفياً بالنذر»(1).

ولا- يبعد أن يراد بالنذر في قولها (عليها السلام) الأعم من النذر واليمين(2) الاصطلاحيين، فإن (نذر) بمعنى الفرض والإيجاب(3)، و(اليمين): القسم وفيه الفرض، وهو - على قول(4)- مأخوذ من اليد اليمنى حيث إن المتحالفين كانا - غالباً - يضرب كل واحد منهما يمينه بيمين صاحبه فيتحالفان(5).

ومنه يعلم حال (العهد) أيضاً، فهو قسم من النذر بالمعنى الأعم...

وكان أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) المصداق الأجلى لمن يوفون بالنذر، قال تعالى: «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا»(6).

وكان وفائهم (عليهم السلام) به في المرتبة العليا، وكانوا هم الأولى بصدق هذه الصفة عليهم، كما في قصة نزول سورة «هَلْ أَتَى»(7) وغيرها.

ص: 419

1- مستدرک الوسائل: ج16 ص99 ب19 ح19271.

2- قال في مجمع البحرين: ج3 ص492 مادة نذر: (النذر لغة الوعد، وشرعاً: التزام المكلف بفعل أو ترك متقرباً).

3- قال في لسان العرب: ج5 ص201 مادة نذر: (نذرت، أنذر وأنذر نذراً: إذا أوجبت على نفسك شيئاً من عبادة أو صدقة أو غير ذلك).

4- والقول الثاني: إن اليمين مأخوذ من اليمن بمعنى البركة، والقول الثالث: من اليمين بمعنى القوة. - راجع مجمع البيان: ج2 ص90 ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم -.

5- ومن معاني اليمين: القوة والقدرة... والحلف والقسم - راجع لسان العرب: ج13 ص461 مادة يمين.

6- سورة الإنسان: 7.

7- وتسمى هذه السورة بسورة الإنسان، وهي مدنية رقمها 76 وعدد آياتها 31 آية.

قولها (عليها السلام): «والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة»، فإن الله سبحانه تفضل على من وفي بنذره بغفران ذنبه، ومن الممكن أن يكون ذلك عقلياً أيضاً، يراد به المغفرة الدنيوية والأثر الوضعي التكويني، فالنذر معناه الإيجاب، فمن أوجب على نفسه شيئاً إذا وفى به ستر في المجتمع ما سلف من أخطائه، فيكون نظير معنى قوله تعالى: «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» (1). ومما يؤيده قوله (صلى الله عليه وآله): «... وإذا نقضوا العهد سلط الله عليهم عدوهم» (2).

ولكن قد يقال: بأن الظاهر إرادة المعنى الأول في قولها (عليها السلام): «تعريضاً للمغفرة» ويمكن القول بإرادة كلا المعنيين فتكون اللام للجنس، ولا يلزم منه استعمال اللفظ في أكثر من معنى، كما لا يخفى.

هذا وقد ورد في بعض التفاسير: «يوفون بالنذر الذي أخذ عليهم من ولايتنا» (3).

ص: 420

1- سورة الفتح: 2. وفي عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 202 ب 15 ح 1: قال (عليه السلام): «لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: «أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ...» - سورة ص: 5-7 - فلما فتح الله عز وجل على نبيه (صلى الله عليه وآله) مكة قال لمحمد: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (عليهم السلام) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى التوحيد فيما تقدم وما تأخر؛ لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم». وراجع أيضاً قصص الأنبياء للجزائري: ص 17 خاتمة في بيان عصمة الأنبياء (عليهم السلام) وتأويل ما يوهم خلافه.

2- الكافي: ج 2 ص 374 باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح 2.

3- بحار الأنوار: ج 24 ص 331 ب 67 ح 57.

وعنه (عليه السلام): «يوفون لله بالنذر الذي أخذ عليهم في الميثاق من ولايتنا»(1).

التعرض لمغفرة الله

مسألة: من اللازم أن يجعل الإنسان نفسه في معرض مغفرة الله سبحانه، وأن يتجنب المواطن التي تجعله في معرض غضبه تعالى(2).
فمصاحبة الأخيار والجلوس في مجالسهم والنية الصالحة وإن لم يمكنه تحقيقها خارجاً وشبه ذلك، مما يجعل الإنسان في معرض مغفرته جل وعلا، وفي الحديث الشريف: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»(3).

وقال تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ»(4).

وقال سبحانه: «وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضلاً»(5).

ومن البين أن ما يوجب التعرض لمغفرة الله الواجبة واجب، وما يوجبه من المستحبات مستحب. و(الوفاء بالنذر) من الواجبات التي جعلها الله سبحانه (تعريضاً لمغفرته) فهو بيان منها (سلام الله عليها) لإحدى الطرق التي تقود إلى ذلك.

ص: 421

-
- 1- الكافي: ج 1 ص 434 باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية ح 91.
 - 2- فمثلاً قال الإمام الصادق (عليه السلام): «لا تجالسوا شراب الخمر؛ فإن اللعنة إذا نزلت عمت من في المجلس» - وسائل الشيعة: ج 25 ص 374 ب 33 ح 32162 -، وقال (عليه السلام): «لا تجالسوا لنا عائباً» بحار الأنوار: ج 10 ص 92 ب 7 ح 1، والبحار: ج 68 ص 174 ب 64 ح 8.
 - 3- بحار الأنوار: ج 68 ص 221 ب 66 ح 30، والبحار: ج 80 ص 352 ب 8 ح 4.
 - 4- سورة آل عمران: 133.
 - 5- سورة البقرة: 268.

وتوفية المكيال والموازين تغييراً للبخر (1)

توفية المكيال والميزان

توفية المكيال والميزان (2)

مسألان: يجب توفية المكيال والميزان، ويحرم مطلق البخر (3)، وقد عدّه (عليه السلام) من الكبائر حيث قال (عليه السلام): «واجتناب الكبائر وهي... البخر في المكيال والميزان» (4).

وفي حديث المسوخ قال (عليه السلام): «وأما الجري فمسخ؛ لأنه كان رجلاً من التجار وكان يبخر الناس بالمكيال والميزان» (5).

ولا يخفى أن المكيال والميزان في الآيات الشريفة (6) وفي كلامها (عليها السلام) من باب المثال، وإلا ففي المعدود والمذروع وما أشبه ذلك يكون الحكم كذلك.

ص: 422

- 1- وفي بعض النسخ: «للبخسة» - راجع كشف الغمة ج 1 ص 484 فاطمة (عليها السلام) - وفي بعض النسخ: «ووفاء المكيال والميزان» - راجع دلائل الإمامة ص 33 حديث فدك -.
- 2- حول هذه المباحث راجع من موسوعة الفقه: كتاب البيع، والاقتصاد، والواجبات والمحرمات.
- 3- البخر: النقص والظلم.
- 4- وسائل الشيعة: ج 15 ص 329 ب 46 ح 20660.
- 5- بحار الأنوار: ج 62 ص 227 ب 5 ح 9.
- 6- قال تعالى: «وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ» - سورة المطففين: 1-3 -، وقال سبحانه: «وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» - سورة هود: 85 -.

وبالتلازم (1) يفهم أن كل بخس حرام، قال سبحانه: «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» (2) سواء كان البخس في الماديات أو في المعنويات، ويستثنى ما خرج بالخصوص أو بالانصراف. وقد يستند إلى هذه الآية ونظائرها في حقال تأليف والطبع والاختراع وأشباهها، فتأمل. وفي بعض الروايات في تفسير قوله تعالى: «وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ» (3) قال (عليه السلام): «لا تبخسوا الإمام حقه ولا تظلموه» (4).

قولها (عليها السلام): «وتوفية»، فإن الكيل والوزن إذا أعطيا بالحق لا يكون هناك بخس في الأموال ونقص في الثروات؛ لأن المجتمع إذا جرى على عدم التوفية تحول الناس إلى لصوص، إذ النقص في المكيال والميزان نوع من السرقة، واللصوصية توجب بخس ثروات الأمة، حيث يتحول المجتمع عندئذ من مجتمع منتج متناسف تنافساً إيجابياً اقتصادياً إلى مجتمع متحايل يحاول أن يخدع بعضهم بعضاً، وحينئذ تنعدم الثقة وتتدنى نسبة التعاون إلى أدنى الدرجات، والمجتمع غير المتعاون لا يتقدم، ولا تنمو ثرواته، بل تتناقص وتتضاءل.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): «وجدنا في كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله):... وإذا طفف الميزان والمكيال أخذهم الله بالسنين والنقص» (5).

ص: 423

-
- 1- أي التلازم في كلامها (صلوات الله عليها) بين «جعله تعالى توفية المكائيل والموازين» وبين «تغييراً للبخس».
 - 2- سورة الأعراف: 85، سورة هود: 85، سورة الشعراء: 183.
 - 3- سورة الرحمن: 9.
 - 4- تفسير القمي: ج 2 ص 343 سورة الرحمن.
 - 5- وسائل الشيعة: ج 11 ص 513 ب 41 ح 2. وسفينة البحار: مادة (كيل). والأماي للشيخ الصدوق ص 308 المجلس 51. وثواب الأعمال ص 252 عقاب المعاصي. وتحف العقول ص 51.

حرمة شرب الخمر

مسألة: يحرم شرب الخمر ويجب النهي عنه، لإطلاقات أدلة النهي عن المنكر. ولقولها (عليها السلام): «والنهي...» على تقدير كون المراد به (نهيكم) لا (نهيه)، فتأمل(1).

نظراً لأن اللام قد يكون عوضاً عن المضاف إليه وهو ضمير الجمع، أو الضمير الراجع إليه تعالى، فيكون المعنى: جعل الله (2) نهيكم عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس(3). ويؤيده أن ما سبق وما سيلحق من الجمل - إلا ما خرج بقائم البرهان(4) - مصاديق فعل العبد(5).

ص: 424

- 1- قد يكون إشارة إلى أنه يمكن الاستدلال حتى لو أريد بالنهي نهيه تعالى، فدقق.
- 2- إذ هذه الجمل المتعاقبة كلها مفعول ل «فجعل الله» الوارد في مطلع كلامها (عليها السلام).
- 3- فيكون نهى الناس بعضهم بعضاً عن شرب الخمر وردعهم عنه هو المجعول والمقرر من قبله تعالى أي المأمور به من قبله، أي أنه أمر: بالنهي عن الشرب.
- 4- وهو: «إمامتنا...»، وهذا مما دل عليه الدليل العقلي والنقلي، فلا- مناص من الالتزام بكونه فعله تعالى مباشرة، أما (النهي) فجائز الوجهين، فكان الأرجح نظراً للسياق إرادة (نهيكم) من كلامها (عليها السلام).
- 5- فالإيمان والصلاة والزكاة والصيام وما أشبه مما سبق، واجتناب القذف وترك السرقة مما سيأتي، وكان من الممكن أن تقول (عليها السلام): اجتناب شرب الخمر.

ويؤيده أيضاً - بل يدل عليه على ذلك التقدير - وجود (فترض) في بعض النسخ بدل (فجعل)(1)، هذا ومن المحتمل أن يكون المراد باللام: الجنس أو العهد.

ثم إن المراد بالخمير: كل مسكر(2) وقد سميت الخمر خمراً لمخامرتها العقل لأنها تسترته وتغطيه.

كما أن الحرمة تعم كل ما أوجب الاسكار ولو بالحقنة أو بالتدخين أو ما أشبه ذلك(3)، لما دل على حرمة كافة أنواع استعماله. قال (صلى الله عليه وآله): «ألا أيها الناس أنهاكم عن كل مسكر»(4).

وقال (عليه السلام): «كل مسكر حرام»(5).

وقال (عليه السلام): «كل مسكر خمير»(6).

وقال (عليه السلام): «شرب الخمر أشر من ترك الصلاة»(7).

ص: 425

-
- 1- حيث قالت (عليها السلام) - على هذه النسخة - : «فترض الله الإيمان... والنهي عن شرب الخمر»، فالنهي مفعول ل (فترض).
 - 2- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا حبيبة أيتها، كل مسكر حرام وكل مسكر خمير» - مستدرک الوسائل: ج 17 ص 58 ب 11 ح 20739 -، وفي مجمع البحرين: ج 3 ص 292 مادة خمير: الخمر فيما اشتهر بينهم: كل شراب مسكر ولا يختص بعصير العنب. وفي القاموس: ج 2 ص 23 مادة خمير: والعموم أصح...
 - 3- راجع موسوعة الفقه: ج 76 كتاب الأطعمة والأشربة، المسألة 22.
 - 4- وسائل الشيعة: ج 25 ص 280 ب 1 ح 31910.
 - 5- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 354 باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب ح 5762.
 - 6- تهذيب الأحكام: ج 9 ص 111 ب 2 ح 217.
 - 7- بحار الأنوار: ج 76 ص 133 ب 86 ح 23.

وقال (عليه السلام): «... وشرب الخمر وهو فح الشيطان»(1).

وقال (عليه السلام): «وشرب الخمر مفتاح كل شر»(2).

وقال (عليه السلام): «ما بعث الله نبياً إلا بتحريم الخمر»(3).

وعنه (صلى الله عليه وآله): «لعن الله الخمر وشاربها وساقبها وبياعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه»(4).

قال تعالى: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»(5). وقال سبحانه: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ»(6).

وقال عز وجل: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصَدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلَّا أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ»(7).

ثم إن العلة معممة ومخصصة(8)، والملاك(9) مستفاد من جملة من الروايات

ص: 426

1- وسائل الشيعة: ج 20 ص 26 ب 4 ح 24938.

2- بحار الأنوار: ج 76 ص 140 ب 86 ح 48.

3- تهذيب الأحكام: ج 9 ص 102 ب 2 ح 181.

4- مستدرک الوسائل: ج 17 ص 75 ب 23 ح 20805.

5- سورة المائدة: 90

6- سورة البقرة: 219.

7- سورة المائدة: 91.

8- الظاهر أن المراد بالعلة (الاسكار)، وهي تعميم الحرمة لغير الشرب كالحقنة أيضاً.

9- الظاهر أن المراد بالملاك (ملاك كون الاسكار محرماً) فهو علة العلة.

بل بعض الآيات، مثل قوله سبحانه: «لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ»⁽¹⁾؛ فإن من سكر لا يعلم ما يقول، سواء كان السكر بالشراب أم بالطعام، أم بغير ذلك من الطرق الموجبة لإدخال المسكر في البدن ولو بالتنفس.

وكذا قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ»⁽²⁾.

أما حرمة شرب حتى القطرة من الخمر فبالدليل الخاص⁽³⁾.

قولها (عليها السلام): «والنهي عن شرب الخمر»، حيث إن شرب الخمر كان شائعاً في الجاهلية وقد حرمه الإسلام، وكانت بعض النفوس تحن إليه عوداً على ما كانوا عليه، ولذا خصصته الزهراء (عليها السلام) بالذكر، وإلا فهو كسائر محرمات الأكل والشرب كالميتة ولحم الخنزير والدم وما أشبهه.

نعم، إن الخمر رأس كل شر، فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إن الخمر أم الخبائث ورأس كل شر، يأتي على شاربها ساعة يسلب لبه فلا يعرف ربه، ولا يترك معصية إلا ركبها، ولا يترك حرمة إلا انتهكها، ولا رحماً ماسة إلا قطعها، ولا فاحشة إلا أتاها»⁽⁴⁾.

ص: 427

1- سورة النساء : 43.

2- سورة المائدة: 91.

3- راجع موسوعة الفقه: ج 76 كتاب الأطعمة والأشربة، المسألة 22.

4- وسائل الشيعة: ج 25 ص 317 ب 12 ح 31999.

وقال (عليه السلام): «وإنّ من شرب منها جرعة لعنه الله وملائكته ورسله والمؤمنون، وإن شربها حتى يسكر منها نزع روح الإيمان من جسده، وركبت فيه روح سخيفة خبيثة ملعونة»(1).

وقال (عليه السلام): «ولم تقبل صلاته أربعين يوماً، ويأتي شاربها يوم القيامة مسوداً وجهه، مدلجاً لسانه، يسيل لعابه على صدره»(2).

وقال (عليه السلام): «ينادي: العطش، العطش»(3).

وإن شرب الخمر رجس؛ لأنه يوجب السكر الذي هو مفتاح كل شر، والرجس بمعنى(4) ما يؤدي للموبقات(5).

المخدرات

مسألة: ومن ذلك يعلم حرمة استعمال المخدرات أيضاً الموجبة لذهاب العقل؛ لأن العلة عامة وإن كان المورد خاصاً.

وربما يمكن استفادة ذلك من قولها (عليها السلام): «تنزيهاً عن الرجس» إذ الرجس هو القذر، وقد روي بسند صحيح عن أبي الحسن الماضي (عليه السلام):

ص: 428

1- الكافي: ج 6 ص 399 باب شارب الخمر ح 16.

2- تهذيب الأحكام: ج 9 ص 103 ب 2 ح 183.

3- الكافي: ج 6 ص 397 باب شارب الخمر ح 8.

4- أي من معانيه.

5- في القاموس: ج 2 ص 219 مادة رجس: الرجس: العمل المؤدي إلى العذاب. وفي لسان العرب: ج 6 ص 95 مادة رجس: الرجس: القذر... النجس... وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح والعذاب واللعنة والكفر.

«إن الله لم يحرم الخمر لاسمها، ولكن حرمها لعاقبتها، فما كان عاقبته عاقبة الخمر فهو خمر»(1).

وكذلك ما علّل فيه حرمة الخمر بأن شاربها لا يعرف أمه وأخته و... (2). وأما غير الموجب لذهاب العقل منها (3) فحرمة منوطة بما إذا أضرت ضرراً بالغاً (4).

اجتناب الرجس

مسألة: يجب تجنب الرجس، وذلك في مراتب منه وفي مصاديق كثيرة منه مما لا شك فيه، ولكن هل يمكن تأسيس الأصل في ذلك والالتزام بحرمة كل ما صدق عليه هذا العنوان بما هو هو؟.

لا يبعد ذلك، وربما أمكن الاستناد إلى كلامها (عليها السلام) لإثباته، والأمر بحاجة إلى مزيد من التأمل.

والمراد بالرجس: القذارة والخبائثة (5)، فإن القذارة قد تكون مادية في النفس أو الجسد، وقد تكون معنوية، قال سبحانه وتعالى:

ص: 429

-
- 1- تهذيب الأحكام: ج9 ص112 ب2 ح221.
 - 2- راجع الكافي: ج6 ص403 باب أن الخمر رأس كل إثم وشرح7.
 - 3- أي من المخدرات.
 - 4- راجع موسوعة الفقه: ج76 كتاب الأطعمة والأشربة، المسألة22.
 - 5- الرجس بمعنى: القذر، النجس، الفعل القبيح... راجع لسان العرب: ج6 ص95 مادة رجس، وغيره، وفي القاموس: ج2 ص219 مادة رجس: (كل ما استقذر من عمل). ومن معانيه: (وسوسة الشيطان) كما في المنجد.

.....
«فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ»(1).

وهذا رجس معنوي في قبال الرجس المادي في النفس الموجب للسكر، والرجس البدني كالتلوث بالقذارات الخارجية.

قال تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»(2)، فهم (عليهم السلام) منزهون عن الرجس بما للكلمة من معنى، كما دل على ذلك مختلف الروايات(3). وفي الدعاء: «أعوذ بالله من الرجس»(4).

هذا وقد فسر الرجس أيضاً بالشك.

قال (عليه السلام): «الرجس هو الشك»(5).

وبعمل الشيطان(6).

وبالنجس(7).

ص: 430

1- سورة الحج: 30.

2- سورة الأحزاب: 33.

3- راجع التفاسير في تفسير هذه الآية المباركة من سورة الأحزاب.

4- من لا يحضره الفقيه: ج 1 ص 25 باب ارتياد المكان للحدث ح 42.

5- بصائر الدرجات: ص 206 ب 11 ح 13.

6- راجع تأويل الآيات: ص 449 سورة الأحزاب.

7- راجع متشابه القرآن: ج 2 ص 158 باب فيما يحكم عليه الفقهاء.

واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة (1)،

حرمة القذف والسب

مسألة: يحرم القذف وفيه الحد (2)، وتفصيل الكلام في الفقه (3).

والقذف هنا: يعم السب والفحش واللعن وما أشبه ذلك (4).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «واعلموا أن القذف والغيبة يهدمان عمل ألسنة» (5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «القذف من الكفر، والكفر في النار» (6).

وقال (عليه السلام): «إن الكبائر أحد عشر... الشرك بالله عز وجل، وقذف المحصنة،...» (7).

ص: 431

- 1- وفي بعض النسخ: «اجتناب قذف المحصنة حجاباً عن اللعنة»، راجع دلائل الإمامة: ص 33 حديث فذك. وفي بعض النسخ: «واجتناب قذف المحصنات حجاباً عن اللعنة»، راجع علل الشرائع: ج 1 ص 248 باب علل الشرائع وأصول الإسلام ح 2.
- 2- أي في الجملة.
- 3- راجع موسوعة الفقه: ج 87-88 كتاب الحدود والتعزيرات.
- 4- القذف: السب، وقذف المحصنة أي سبها - لسان العرب: ج 9 ص 277 مادة قذف - قذف الرجل: رماه واتهمه بريية، وقاذفة: راماه وشاتمة. المنجد. والمقذف: الملعن. القاموس: ج 3 ص 183 مادة قذف.
- 5- جامع الأخبار: ص 158 ف 120.
- 6- بحار الأنوار: ج 100 ص 249 ب 4 ح 37.
- 7- مستدرک الوسائل: ج 11 ص 361 ب 46 ح 13266.

وهل يراد بالقذف ما ارتبط بالعرض أو مطلقاً؟.

فإن أصل القذف الرمي (1)، ثم استعمل فيما يرتبط بالعرض، لكن هل غلب على ما يرتبط بالعرض بالمعنى الأخص بحيث أصبح حقيقة تعينية فيه أم لا؟.

احتمالان، وإن كان المنصرف الأول (2) والإطلاق يقتضي الثاني، قال الشاعر (3):

ولست بقائل قذفاً ولكن *** لأمر ما تعبدك العبيد

وفي بعض النسخ (4) (قذعاً) مكان (قذفاً)، والقذع هو القذف والرمي بالفحش وسوء القول (5)، فإن الخليفة كان يجمع من الغلمان الخنثى ثم بيت معهم من أول الليل إلى الصباح يتعاطون الفاحشة، وإلى ذلك أشار الشاعر في هذا البيت.

ص: 432

1- راجع لسان العرب: ج9 ص277 مادة قذف.

2- في مجمع البحرين: ج5 ص107 مادة قذف: (قذف المحصنة رماها بفاحشة). وفي القاموس: ج3 ص183 مادة قذف: (قذف المحصنة رماها بزنية). وفي لسان العرب: ج9 ص277 مادة قذف: (القذف رمي المرأة بالزنا أو ما كان في معناه). ويؤيد هذا المعنى النسخة الأخرى لكلامها (عليها السلام): «واجتتاب قذف المحصنات» على ما نقله آية الله السيد محمد كاظم القزويني (رحمة الله) في كتابه (فاطمة الزهراء (عليها السلام) من المهد إلى اللحد).

3- هو دعبل الخزاعي (148-246ه).

4- أي: بعض نسخ الشعر.

5- وفي لسان العرب: ج8 ص262 مادة قذع: (القذع: الفحش، قذعه: رماه بالفحش وأساء القول فيه، وأقذع القول: أساءه، الهجاء المقذع: الذي فيه فحش وقذف وسب يقبح نشره، أقذع له: أفحش في شتمه).

.....
وقال شاعر آخر(1):

ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم *** ولا يرى لهم قرد له حشم

وذكرنا بعض التفصيل في كتاب (ممارسة التغيير)(2).

ثم إن هناك آثاراً وضعية للقذف خصوصاً الرمي بالفاحشة؛ وذلك لأن من قذف قُذِفَ فترجع اللعنة إليه كأثر وضعي تكويني لذلك، فمن الحكمة في فرض اجتناب القذف هي الحيلولة عن رجوع ضرره ولعنه إلى نفس القاذف.

قال سبحانه: «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ»(3).

وقال علي (عليه السلام): «إني أكره لكم أن تكونوا سبائين»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه»(5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من سب علياً (عليه السلام) فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله عز وجل»(6). ولعل قولها (عليها السلام): «حجاباً عن اللعنة» إشارة إلى قوله سبحانه:

ص: 433

1- هو أبو فراس الحمداني (320-357هـ).

2- راجع كتاب ممارسة التغيير لإتقاد المسلمين: ص 329-438.

3- سورة الأنعام: 108.

4- نهج البلاغة، الخطب: 206 ومن كلام له (عليه السلام) وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين.

5- الكافي: ج 2 ص 359-360 باب السباب ح 2.

6- الأمالي للصدوق: ص 97 المجلس 21 ح 2.

«إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»(1).

لا يقال: فلماذا نرى كلمات اللعن والسب أو ما أشبهه في القرآن الحكيم، مثل قوله سبحانه:

«إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ»(2).

وكذلك سب الأشخاص مثل: «عُتِلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ»(3).

قال تعالى: «أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ»(4).

وقال سبحانه: «أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»(5).

وقال عز وجل: «وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلْيَوْمِ الدِّينِ»(6).

وقال جل ثناؤه: «وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»(7).

لأنه يقال: إذا كان النقص واقعياً ورجع الأمر إلى إرشاد الطرف أو إرشاد أهله وعشيرته أو الآخرين لزم، وهذا ليس من السباب في شيء، بل داخل في إرشاد الجاهل وتنبية الغافل وإراءة الطريق للضال، فالمنع والجواز لهما موردان وهذان عقليان قبل أن يكونا شرعيين.

ص: 434

1- سورة النور: 23.

2- سورة الأنبياء: 98.

3- سورة القلم: 13.

4- سورة البقرة: 159.

5- سورة الرعد: 25.

6- سورة الحجر: 35.

7- سورة غافر: 52.

هذا بالإضافة إلى أن كلمات اللعن وشبهه الموجودة في القرآن الكريم كثيراً منها لا توجه إلى أسماء معينة المذكورة، بل إلى من يحمل تلك الصفات الرذيلة (1) أو الأمم السابقة، فالتركيز يكون على الصفات والأفكار والعقائد وأنواع السلوك والعمل، لا الأفراد بأنفسهم.

أما ما توجه إلى أسماء معينة كقوله تعالى: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» (2) فإنه يدخل في باب التزاحم والأهم وما أشبه كما لا يخفى.

الاجتناب عن اللعنة

مسألة: يجب أن يتعد الإنسان عن المواطن التي توجب له (اللعنة) (3) في

ص: 435

1- مثلاً قوله تعالى: «فَلَا تَطْعِ الْمُكذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تَطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ» سورة القلم: 8-13. وقوله سبحانه: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقَرَارُ» - سورة إبراهيم: 28-29 -، وقوله تعالى: «وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ» - سورة إبراهيم: 15-، وقوله سبحانه: «وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا» - سورة التوبة: 118-، وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسَدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ... وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» - سورة التوبة: 107-، وقوله سبحانه: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ... وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ... فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ..» - سورة الأعراف: 162-169-، وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» - سورة الأحزاب: 57-.

2- سورة المسد: 1.

3- اللعنة لغة: تكون لمعاني مختلفة، (لعنه: أخزاه، وسبه، وأبعده، وطرده عن الخير، وعذبه، وأهلكه، ودعى عليه، وغيرها)، راجع لسان العرب: ج 13 ص 387 مادة (لعن)، المنجد، مجمع البحرين: ج 6 ص 309 مادة (لعن)، وغيرها.

الجملة، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا»⁽¹⁾.

واستظهار ذلك من كلامها (عليها السلام) نظراً للتلازم المتقدم الذي ذكرناه بين العلة والمعلول، والسبب والمسبب ونحوهما.

لكن لا يخفى أن اللعن ينصرف إلى معنى: الإبعاد والطرده من الرحمة أو الخير، والبُعد كما يكون في أصول الدين والفروع الواجبة، كذلك يكون في الأحكام والفروع المستحبة تركاً، والمكروهة فعلاً، ولذا ورد اللعن بمختلف معانيه في جملة من الروايات:

كقوله (عليه السلام): «ملعون، ملعون من نكح بهيمة»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «المنجم ملعون، والكاهن ملعون، والساحر ملعون، والمغنية ملعونة»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «ملعون من ظلم أجيراً أجرته»⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): «ملعون من سب والديه»⁽⁵⁾.

وقال (عليه السلام): «من آذى الله فهو ملعون»⁽⁶⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «ناكح الكف ملعون»⁽⁷⁾.

ص: 436

1- سورة الأحزاب: 64.

2- الكافي: ج 2 ص 270 باب الذنوب ح 9.

3- وسائل الشيعة: ج 17 ص 143 ب 24 ح 22201.

4- مستدرک الوسائل: ج 14 ص 29 ب 5 ح 16018.

5- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 111 باب ما جاء في المرء والمزاح والسخرية.

6- جامع الأخبار: ص 147 ف 110.

7- مستدرک الوسائل: ج 14 ص 356 ب 23 ح 16948.

وقال (صلى الله عليه وآله): «من لعب بالشطرنج ملعون»(1).

وقال (عليه السلام): «المحتكر ملعون»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ملعون، ملعون من ضيّع من يعول»(3). وقال (عليه السلام): «معلون من جلس على مائدة يشرب عليها الخمر»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ملعون، ملعون مبغض علي بن أبي طالب (عليه السلام)»(5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ملعون ملعون من يظلم ابنتي فاطمة (عليها السلام)»(6).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من أبغض عترتي فهو ملعون»(7).

وقال (عليه السلام): «ملعون ملعون من أذى جاره»(8).

وقال (عليه السلام): «ملعون، ملعون قاطع رحمه»(9).

وقال (عليه السلام): «شارب الخمر ملعون»(10).

ص: 437

-
- 1- غوالي اللآلي: ج 1 ص 260 ف 10 ح 40.
 - 2- من لا يحضره الفقيه: ج 3 ص 266 باب الحكمة والأسعار ح 3961.
 - 3- الكافي: ج 4 ص 12 باب كفاية العيال والتوسع عليهم ح 9.
 - 4- تهذيب الأحكام: ج 9 ص 97 ب 2 ح 157.
 - 5- وسائل الشيعة: ج 16 ص 280 ب 41 ح 21555.
 - 6- بحار الأنوار: ج 29 ص 346 ب 11 الثانية، والبحار: ج 73 ص 354 ب 67 ح 21.
 - 7- جامع الأخبار: ص 84 ف 40.
 - 8- وسائل الشيعة: ج 16 ص 280 ب 41 ح 21555.
 - 9- مستدرک الوسائل: ج 15 ص 183 ب 71 ح 17942.
 - 10- بحار الأنوار: ج 62 ص 166 ب 2 ح 4، والبحار: ج 76 ص 141 ب 86 ضمن ح 52.

كما ورد(1) عنه (عليه السلام): «من كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون»(2).

وقال (عليه السلام): «ملعون من ألقى كله على الناس»(3).

وقال (عليه السلام): «الجالس في وسط القوم ملعون»(4).

وقال (عليه السلام): «معلون من آخر العشاء إلى أن تشتبك النجوم»(5).

وقال (عليه السلام): «المنان على الفقراء ملعون في الدنيا والآخرة»(6).

وقال (عليه السلام): «ملعون من لم ينصح أخاه»(7). ومثل ما ورد من اللعن لمن أكل زاده وحده، أو نام في بيت وحده، أو ركب الفلاة وحده(8)، أو ما أشبه ذلك.

والمراد من (اللعنة) في قولها (عليها السلام): اللعنة التي تسببها المحرمات، وأما اللعن في أصول الدين أو في المكروهات فقولها (عليها الصلاة والسلام) قد تكون منصرفة عنهما(9).

ص: 438

1- ما سبق من الروايات كانت تدل على الحرمة، وما سيأتي على الكراهة.

2- وسائل الشيعة: ج 16 ص 94 ب 95 ح 21073.

3- تهذيب الأحكام: ج 6 ص 327 ب 93 ح 23.

4- بحار الأنوار: ج 89 ص 166 ب 15.

5- وسائل الشيعة: ج 4 ص 201 ب 21 ح 4919.

6- إرشاد القلوب: ج 1 ص 194 ب 52.

7- مستدرک الوسائل: ج 9 ص 122 ب 132 ح 10425.

8- راجع من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 359 باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب ح 5762، وفيه قال (صلى الله عليه وآله): «يا علي، لعن الله ثلاثة: أكل زاده وحده، وراكب الفلاة وحده، والنائم في بيت وحده».

9- فاللعن في أصول الدين رتبة ودرجة أعلى، وفي المكروهات رتبة أدنى.

وترك السرقة إيجاباً للعفة(1).

حرمة السرقة

مسألة: السرقة بمختلف أنواعها - سواء أدت إلى قطع اليد أم لم تؤد، وسواء كانت سرقة للأموال أم للحقوق، وسواء كانت من الأفراد أم الأمم، وكذلك من الأجيال القادمة مما ذكر مفصلاً في الفقه(2) - محرمة؛ فإنها تسبب الفوضى في المجتمع، وانعدام الأمن، والهرج والمرج، إضافة إلى كونها مصادرة لجهود الآخرين وحقوقهم، وإن جعل حدود العقوبات على أفرادها مختلفة حسب الحِكم والمصالح المختلفة.

قال (عليه السلام): «ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»(3).

وجوب التحلي بالعفاف

مسألة: يجب التحلي بالعفة، قال (عليه السلام): «عليك بلزوم العفة والورع»(4).

وقال (عليه السلام): «إن أفضل العبادة عفة البطن والفرج»(5).

ص: 439

1- وفي بعض النسخ: «ومجانبة السرقة» - راجع علل الشرائع: ج 1 ص 248 باب علل الشرائع وأصول الإسلام ح 2، وكشف الغمة: ج 1 ص 484 فاطمة (عليها السلام) -.

2- راجع للإمام المؤلف (قدس سره) حول شتى هذه النقاط: (الفقه: الاقتصاد)، و(الفقه: الغصب)، و(الفقه: الحدود)، و(الفقه: والديات).

3- تهذيب الأحكام: ج 6 ص 371 ب 93 ح 195.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 297 ق 3 ب 3 ف 3 ذم الطمع ح 6691.

5- الكافي: ج 2 ص 79 باب العفة ح 2.

وقال (عليه السلام): «العفة رأس كل خير»(1).

وفي الدعاء: «وارزقني العفة في بطني وفرجي»(2). والمراد بالعفة هنا: العفة عن (ما لا يحل) وهي العفة الواجبة؛ لأنه من العفة واجب ومنها مستحب.

والعفة معناها: كف النفس عن الشيء المشين والقبیح(3)، فإن كان الشيء المشين محرماً كانت العفة واجبة، وإن كان مرغوباً عنه لا إلى المنع عن النقيض كانت العفة مستحبة.

أما العفة في قولها (عليها السلام) فمنصرفه للأمر الواجب للقرينة، فإن العفة حالة تقتضي حفظ اليد واللسان والبطن والفرج وسائر الجوارح، فإذا سرق إنسان خرق عفته، ومن المعلوم أن خرق العفة يؤدي إلى سائر الموبقات، ولذا ترى السارق لا يمتنع عادة من اغتصاب النساء وأكل الحرام، إلى غير ذلك. ومن المعلوم أن تقشي عدم العفة في المجتمع يهدم الاجتماع، ولعل لذلك قرر الشارع للسرقة عقوبة من أشد العقوبات إذا توفرت فيها جميع الشروط المذكور في الفقه - قال تعالى: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ»(4).

ص: 440

1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 255 ق 3 ب 2 ف 2 العفة ح 5399.

2- المصباح للكفعمي: ص 588 ف 45 الليلة التاسعة.

3- جاء في كتب اللغة (العفة): الامتناع عن ما لا يحل (عن الحرام أو المحارم) وما لا يجمل (أي ما لا يحسن للمرء أن يأتي به)، وإنها: النزاهة عن القبائح، وذكروا من مصاديقها: كف النفس عن السؤال من الناس - راجع مجمع البيان: ج 2 ص 201، ولسان العرب: ج 9 ص 253 مادة عفف، والقاموس: ج 3 ص 176، وغيرها.

4- سورة المائدة: 38.

وحرم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية (1) ،

الشرك الجلي والخفي

مسألة: يحرم الشرك الجلي، وكذلك يحرم الشرك الخفي أيضاً (2) في الجملة، قال تعالى: «لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (3).

وقال تعالى في الحديث القدسي: «يا عيسى، لا تشرك بي شيئاً» (4).

وقال عزوجل: «يا موسى، لا تشرك بي لا يحل لك الشرك بي» (5).

وهل المراد بالشرك هنا الشرك الجلي حتى يكون تأكيداً لما تقدم من قولها (عليها السلام): «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك»، أو الشرك الخفي كالرياء ونحوه حتى يكون تأسيساً؟.

لا يستبعد الثاني؛ لأن الأصل لتأسيس، وإن كان المنصرف من لفظ (الشرك) المعنى السابق فيكون تأكيداً، لكن السياق قد يؤيد الشرك الخفي، إضافة إلى كلمة (إخلاصاً) المقابلة للشرك الخفي، فهذه الكلمة والسياق وعدم التكرار تقاوم الانصراف البدوي، فتأمل.

ص: 441

1- وفي بعض النسخ: «والنهي عن الشرك إخلاصاً له تعالى بالربوبية» راجع دلائل الإمامة: ص 33 حديث فدك

2- كالرياء؛ فإنه الشرك الخفي. راجع منية المرید: ص 217 ب 3 ف 2.

3- سورة لقمان: 13.

4- الكافي: ج 8 ص 141 حديث عيسى ابن مريم (عليه السلام) ح 103.

5- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 159-160 ب 97 ح 13777.

كما يمكن التفريق بين هذا المقطع وذاك بالقول بأن المراد بالجعل في الكلام السابق التكوين، ويكون المراد بالتطهير أيضاً التكويني، والمراد ب (حرم): التشريع، فلا تكرر.

أو يقال: إن الأول إيجابي إذ (الإيمان) شيء وجودي، والثاني (الشرك) شيء سلبي باعتباره سلباً للإيمان(1).

أو يقال: بأنه مضاد للأول وكلاهما وجوديان من قبيل (الشجاعة والجبن)، ولذا استحق كل منهما الذكر، كغالب الأضداد سواء كان لها ثالث أم لا، ولا يهم الآن تحقيق ذلك.

ومن لا يشرك فإنه يخلص لله سبحانه بالإذعان له بالربوبية وحده.

ولعلها (عليها السلام) كررت ذلكلفظين - على القول بأنه تكرر - لشدة الاهتمام به، وهناك بعض الاحتمالات الآخر، والله سبحانه وأوليائه (عليهم السلام) أعلم.

ثم إن التحريم ها هنا إرشادي، وعلى بعض الآراء مولوي(2).

ص: 442

1- أو يقال بالعكس؛ نظراً لأن التوحيد سلب الألوهية عما عدا الله، والشرك إثباتها لغيره أيضاً.

2- من الأقوال في ملائكة الأوامر الإرشادية: كل ما استقل به العقل فهو إرشادي، وعلى هذا فتحريم الشرك إرشاد لحكم العقل. ومن الأقوال: إن الإرشادي هو كل ما لزم من اعتباره مولوياً الدور وشبهه، فعلى هذا فتحريم الشرك ها هنا مولوي، إذ لا يلزم من اعتباره مولوياً محال، فتأمل.

ف اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ (1)

مراتب التقوى

مسألة: التقوى لها معان ومراتب، وهي على ذلك تنقسم إلى ما هو واجب وما هو مستحب، ومنها ما يكون من درجات المقربين (2).

فإن التقوى قد تطلق ويراد بها (الخشية من الله تعالى وهيئته)، وعلى هذا فهي حالة نفسانية ومملكة روحانية، وقد يراد بها معنى أدق من هذا (3).

وقد تطلق ويراد بها الإطاعة والعبادة (4) وهو الغالب، وهي على هذا ليست شيئاً وراء إتيان الواجبات وترك المحرمات.

فقوله سبحانه: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» (5)، وقوله تعالى: «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» (6) وما أشبه ذلك، مثل قوله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

ص: 443

1- إشارة إلى قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» سورة آل عمران: 102.

2- قد يكون هذا عطفًا للخاص على العام نظراً لأهميته.

3- قد يكون المراد: تنزيه القلب عن التفكير في الذنب وهي درجة سامية جداً، وقد يكون المراد: التوقي عن كل ما يشغل القلب عن الله تعالى، بأن يكون القلب معموراً بذكر الله دوماً، وهي درجة أسمى وأعلى كما لا يخفى، وسيأتي بيانه من الإمام المؤلف (قدس سره) بعد قليل.

4- قال الإمام الصادق (عليه السلام) عندما سئل عن تفسير التقوى: «أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك» - وسائل الشيعة: ج 15 ص 239 ب 19 ح 20381 - في جواب من قال له: أوصني.

5- سورة التغابن: 16.

6- سورة آل عمران: 102.

الرَّسُولِ» (1) حيث إن الطاعة ليست شيئاً وراء الإتيان بالواجبات وترك المحرمات بل هذه مصاديقها، وكذلك هاهنا فليست التقوى على هذا المعنى أمراً وراء أداء الواجبات وترك المحرمات، لوضوح إنه ليس هناك أمران ونهيان، كما أنه ليس هناك واجبان ومحرمان وثوابان وعقابان، على ما ذكر مفصلاً في علمي الكلام والأصول (2). وفي الحديث عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» (3)؟ قال (عليه السلام): «يُطَاعُ فَلَا يَعصَى، وَيُذَكَّرُ فَلَا يُنسى، وَيُشْكَرُ فَلَا يُكْفَرُ» (4).

وقال (صلى الله عليه وآله) في خطبة الغدير: «معاشر الناس، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (5) (6).

نعم للإطاعة والتقوى مراتب (7) بحسب الأمر والمتعلق وما أشبهه، وقد تكون في المستحب والمكروه، لكن لا على سبيل اللزوم والمنع من النقيض وإنما

ص: 444

-
- 1- سورة النساء: 59، سورة المائدة: 92، سورة النور: 54، سورة محمد: 33، سورة التغابن: 12.
 - 2- من مواطن هذا البحث: مبحث (الأوامر)، و(التجري والانتقياد)، و(هل أن الأمر يقتضي النهي عن الضد؟)، و(مقدمة الواجب)، في علم الأصول. يراجع (الوسائل إلى الرسائل)، و(الأصول) للإمام المؤلف (قدس سره).
 - 3- سورة آل عمران: 102.
 - 4- مستدرک الوسائل: ج 11 ص 265 ب 20 ح 12952.
 - 5- سورة آل عمران: 102.
 - 6- بحار الأنوار: ج 37 ص 211 ب 52 ح 86.
 - 7- الظاهر أن المراد: إن لها مراتب من حيث درجات الوجوب أو الرجحان وأشدية الطلب.

.....
على سبيل الرجحان، بل من التقوى والإطاعة أيضاً ما يرتبط بالمباحات (1) ل:

«إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه» (2).

و: «إن الله يغضب على من لا يقبل رخصته» (3)، وذلك في قبال من يوجب أو يحرم على نفسه بعض المباحات، قال سبحانه: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» (4).

الاستزادة من التقوى

مسألة: حق التقوى هو العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى، أي العبودية التي لا تشوبها شائبة رياء أو سمعة أو عجب، أو أي نوع من أنواع الأنانية، بل كما قال علي (عليه السلام): «ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» (5).

وهي التي تتحقق بالرضا بقضاء الله على النحو الأتم، وتذكره سبحانه وتعالى دوماً بحيث لا يغيب عن القلب والفكر أبداً، بل يجده الإنسان حاضراً ناظراً أبداً، كما نجد ذلك متجلياً في حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وآله الأطهار (عليهم السلام) (6)، فهم معصومون من الغفلة عن ذكر الله، إضافة إلى عصمتهم من مجرد

ص: 445

1- وعلى هذا فيكون المراد من التقوى ها هنا: التوقي عن تحريم أو إيجاب ما أحله الله تشريعاً، لا الترقى عن مجرد ترك المباح أو فعله ولو استمراراً، كيف والفرض أنه مباح.

2- وسائل الشيعة: ج 1 ص 108 ب 25 ح 263، والوسائل: ج 16 ص 232 ب 29 ح 21441.

3- المناقب: ج 4 ص 414 فصل في آياته (عليه السلام).

4- سورة الأعراف: 32.

5- غوالي اللآلي: ج 1 ص 404 ب 1 المسلك الثالث.

6- ومنه لم يترك أمير المؤمنين (عليه السلام) ذكر الله حتى حين أراد الحلاق قص شارب وطلب منه إطباق شفتيه.

.....
التفكير في الذنب، بل في المكروه أيضاً.

ومن المستحب أن يسعى الإنسان للاستزادة من التقوى يوماً بعد يوم، بل ساعة بعد ساعة، نظراً إلى قوله تعالى: «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» (1).

وحق التقوى له مراتب متصاعدة غير محدودة بحد، مما قد يعبر عنه باللامتناهي اللا يقفي، وحيث إن كثيراً من مراتبها مما يتعسر - بل مما يتعذر - على غالب الناس، قال تعالى في آية أخرى: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» (2).

فقوله تعالى: «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» (3) تشير إلى ما هو المبتغى والمراد الأسمى، و«مَا اسْتَطَعْتُمْ» تشير إلى ما على الإنسان أن يحققه، فلا يصح على هذا ما قيل من أن «مَا اسْتَطَعْتُمْ» ناسخة للآية الأخرى: «حَقَّ تَقَاتِهِ» بل أحدهما مكمل للآخرى (4).

ص: 446

1- سورة آل عمران: 102.

2- سورة التغابن: 16.

3- سورة آل عمران: 102.

4- راجع مجمع البيان: ج 10 ص 34، وفيه: (ولا- تنافي بين هذا وبين قوله: «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» لأن كل واحد منهما إلزام لترك جميع المعاصي، فمن فعل ذلك فقد اتقى عقاب الله، لأن من لم يفعل قبيحاً ولا أخل بواجب فلا عقاب عليه، إلا أن في أحد الكلامين تبييناً أن التكليف لا يلزم العبد إلا فيما يطيق، وكل أمر أمر الله به فلا بد أن يكون مشروطاً بالاستطاعة، وقال قتادة: قوله: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» ناسخ لقوله: «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» وكأنه يذهب إلى أن فيه رخصة لحال التقيّة وما جرى مجراها مما يعظم فيه المشقة، وإن كانت القدرة حاصلة معه. وقال غيره: ليس هذا بناسخ، وإنما هو مبين لإمكان العمل بهما جميعاً وهو الصحيح)، انتهى.

ومن الواضح أن الله سبحانه وتعالى جعل للأشياء حدوداً، فالصلاة في كل يوم خمس مرات، والصوم في كل سنة شهراً، والحج في العمر مرة واحدة، وهكذا مما هو محدد في جانب الكم.

وكذلك الكثير مما هو محدد في جانب الكيف.

أما التقوى فإنه سبحانه لم يجعل لها حداً بل قال تعالى: «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ»⁽¹⁾؛ لأنه في كل حصة حصة من الحياة تقوى أو لا تقوى.

ثم التقوى أيضاً كما سبق على درجات، فهي ممتدة كما إلى آخر نفس من أنفاس الحياة - وعدم الحد هنا نسبي - كما أنها في الكيف غير محدودة بنحو اللائقي كما سبق.

قال تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «إن خير الزاد التقوى»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «إن التقوى حقالله سبحانه عليكم»⁽⁴⁾.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نحن كلمة التقوى»⁽⁵⁾.

ص: 447

1- سورة آل عمران: 102.

2- سورة المائدة: 2.

3- من لا يحضره الفقيه: ج 1 ص 179-180 باب التعزية والجزع عند المصيبة ح 535 و536.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 269 ق 3 ب 2 ف 5 فضيلتهما والترغيب فيهما ح 5855.

5- بحار الأنوار: ج 24 ص 184 ب 50 ح 24.

وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (1)،

الموت على الإسلام

مسألة: الموت بما هو أمر غير اختياري، إلا أن الموت على صفة وحالة اختيارية اختياري، ولذلك يمكن أن يؤمر به أو ينهى عنه بهذا اللحاظ، ف (الموت على الإسلام) مأمور به، قال تعالى: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» (2) يعني وجوب الاستمرار في الاعتقاد الحق إلى آخر لحظة من لحظات العمر. فالجملة السابقة (3) تشير إلى الجانب الكيفي، وهذه الجملة (4) إلى الامتداد الزمني، أي: اتقوا الله حق تقاته واستمروا على ذلك إلى حين الموت، والمسلم الحقيقي هو الذي يطيع الله في كل شيء، وفي كل لحظة من لحظات العمر، فلا يموت الإنسان إلا وهو في طاعة الله سبحانه. وفي الحديث: «وأعوذ بالله من شر عاقبة الأمور» (5).

وقال (عليه السلام): «أشد الناس ندماً عند الموت العلماء غير العاملين» (6).

ص: 448

- 1- سورة آل عمران: 102.
- 2- سورة آل عمران: 85.
- 3- أي: «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ».
- 4- أي: «وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».
- 5- من لا يحضره الفقيه: ج4 ص402 ومن ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الموجزة التي لم يسبق إليها ح5868.
- 6- غرر الحكم ودرر الكلم: ص45 ق1 ب1 ف2 العلم بلا عمل ح173.

وقال (عليه السلام): «إياك أن ينزل بك الموت وأنت آبق عن ربك في طلب الدنيا»(1).

حسن العاقبة

مسألة: كل ما يؤدي إلى حسن العاقبة للإنسان فهو راجح ومطلوب، فإن كان في مرتبة المنع من النقيض كان واجباً، وإلا كان مستحباً، وذلك عقلي قبل أن يكون شرعياً، وإنما المصاديق غالباً مما يؤخذ من الشارع، لقصور العقل عن التوصل إلى كثير من جهاتها أو تراحماتها.

وقد قال سبحانه: «وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ»(2). وقال تعالى: «فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ»(3).

وقد ورد في الدعاء: «واجعل عاقبة أمري إلى غفرانك ورحمتك»(4).

و: «فاجعل عاقبة أمري إلى خير»(5).

و: «واختم لنا بالتي هي أحسن وأحمد عاقبة، وأكرم مصيراً»(6).

و: «اللهم إني أسألك حسن العاقبة»(7).

ص: 449

1- نهج البلاغة، الرسائل: 69 ومن كتاب له (عليه السلام) إلى الحارث الهمداني.

2- سورة لقمان: 22.

3- سورة آل عمران: 137، سورة النحل: 36.

4- تهذيب الأحكام: ج 3 ص 115 دعاء أول يوم من شهر رمضان.

5- الإقبال: ص 521 ب 6 ومن الدعاء في يوم المباهلة.

6- بحار الأنوار: ج 88 ص 269 ب 7 ح 22.

7- فقه الرضا (عليه السلام): ص 406 ب 116.

الاقتباس من الكتاب

مسألة: يستحب الاقتباس من الكتاب العزيز في الحوار والخطاب، وقد أكثر المعصومون (صلوات الله عليهم أجمعين) من إدراج آيات القرآن في كلماتهم، كما اقتدى بهم أتباعهم؛ لأن القرآن شفاء ونور وبلاغ، ولأنه جامع لعلوم الأولين والآخرين ولعلوم الدنيا والآخرة في مختلف المجالات والأبعاد.

قال تعالى: «وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» (1).

وقال سبحانه: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ» (2).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله» (3).

وفي الحديث الشريف: «في القرآن شفاء من كل داء» (4).

وقال (عليه السلام): «داووا مرضاكم بالصدقة، واستشفوا له بالقرآن، فمن لم يشفه القرآن فلا شفاء له» (5).

وفي الدعاء: «وأن تجعل القرآن نور صدري، وتيسر به أمري» (6).

لذلك فقد استند إليه أتباعهم في شتى المنطلقات وفي شتى الأبعاد، كل حسب قابليته وفي دائرة أبعاده ومدار اهتمامه أو تخصصه وتوجهه.

ص: 450

1- سورة الأنعام: 59.

2- سورة النحل: 89.

3- بحار الأنوار: ج 89 ص 176 ب 18 ح 1.

4- مستدرك الوسائل: ج 2 ص 98 ب 16 ح 1526.

5- بحار الأنوار: ج 59 ص 262 ب 88 ح 18، والبحار: ج 89 ص 202-203 ب 23 ح 26.

6- العدد القوية: ص 326 اليوم السادس والعشرون.

وليس ثمة كتاب سماوي أو أرضي اعتنى به أهل ملته وأتباعه مثل القرآن الحكيم، فإن علماء الإسلام - تبعاً لقيادة الإسلام - أعطوه من الأهمية والعناية ما لم يُعطَ لكتاب قبله ولا ولن يُعطى لكتاب بعده، حسب معتقدنا من كونه الكتاب الوحيد المتفرد والمتميز بهذه الكيفية.

فقامت كل طائفة بدراسة فن من فنونه:

فقد اهتم جمع بمعرفة مخارج حروفه وعدد الآيات والكلمات والحروف والسكنات والحركات من الضمة والفتحة والكسرة وغير ذلك.

كما أن أئمة المسلمين - في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) - كانوا يحفظون القرآن كله من أوله إلى آخره وإلى يومنا هذا.

واعتنى اللغويون: بمفرد مفرد من مفرداته.

ويعتني النحاة: بالمعرب والمبني والأسماء والأفعال والحروف منه، بل كان أصل تكونه وتأسيسه (1) بتوجيه وإرشاد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على أبي الأسود الدؤلي لأجل التحفظ على صحة قراءة القرآن الكريم وإعرابه (2).

ص: 451

1- أي علم النحو.

2- ففي كتاب (الصراط المستقيم: ج 1 ص 220-221 ب 7 ف 19): وأما النحاة فظاهر وصفه (عليه السلام) لأبي الأسود الدؤلي فإنه دخل عليه فرآه متفكراً، فقال له: فيما أنت تفكر؟. قال: «سمعت في بلدكم لحناً وأردت أن أضع في اللغة كتاباً». قال: فأتيت بعد أيام فألقى إليّ صحيفة فيها: «الكلام كله ثلاثة: اسم وفعل وحرف، والأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وغيرهما، فانح هذا النحو». وفي (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 1 ص 20 القول في نسب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وذكر لمع يسيرة من فضائله): ومن العلوم علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه - أي علياً (عليه السلام) - هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله، من جملتها: «الكلام كله ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف»، ومن جملتها: «تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم». وفي (كتاب كشف اليقين: ص 58 ف 3 ب 1 المبحث الثاني العلم): وأما النحو فهو - أي علي (عليه السلام) - واضعه، قال لأبي الأسود الدؤلي: «الكلام كله ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف» وبين له وجوه الإعراب. وفي (كشف الغمة: ج 1 ص 133 وأما تفصيل العلوم فمنه ابتداءؤها وإليه تنسب): وإما النحو فقد عرف الناس قاطبة أن علياً (عليه السلام) هو الواضع الأول الذي اخترعه وابتدعه ونصبه علماً لأبي الأسود ووضعه.

واعتنى أهل الرسم والخط: برسوم كلماته وما يتعلق به من هذا النحو من الخطوط، والتي أنهارها بعضهم إلى أكثر من عشرين بما هو الدارج عند العرب والعجم، وأما سائر الخطوط في اللغات الأخرى فهي كثيرة.

واعتنى المفسرون: بألفاظه مفردات وجمل (1) سواء منها الألفاظ المشتركة التي تدل على أكثر من معنى أم الألفاظ ذات المعنى الواحد، وكذلك الكلي والجزئي، وذكروا المحكم والمتشابه، وأن المتشابه له احتمالان أو احتمالات، ورجحوا المحتمل على المحتمل استناداً إلى تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير القرآن بالأحاديث الشريفة، أو حسب القرائن المقامية والسياق والانصراف العرفي وما أشبه.

واعتنى علماء الكلام: بما في القرآن من الأدلة العقلية والشواهد البرهانية والفطرية مما هو كثير.

ص: 452

1- فقد ورد عن ابن عباس قال: (حدثني أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفسير الباء من بسم الله الرحمن الرحيم من أول الليل إلى آخره) كشف اليقين: ص 59 ف 3 ب 1 المبحث الثاني العلم.

كما إن المنطقيين: ذكروا الأدلة المستفادة من القرآن في الصناعات الخمس(1).

وكلتا الطائفتين ذكروا ما استفاد من القرآن الحكيم من الأدلة على وحدانيته تعالى ووجوده وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به وما أشبه ذلك من صفاته الجمالية والجلالية. أما المتكلمون فقد ذكروا ذلك في باب أصول الدين، وأما المناطق فقد ذكروا ذلك(2) في باب الحجة وما هو من شأن المنطق.

والأصوليون: تكلموا في العام والخاص، والنص والظاهر، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والمحكم والمتشابه، والأمر والنهي منه، وغير ذلك من الشؤون المرتبطة بأصول الفقه.

والفقهاء: استفادوا من القرآن الحلال والحرام والواجب والمستحب والمباح، والملاكات أصولاً وفروعاً.

كما أن جمعاً من الفقهاء ذكروا آيات الميراث وخصوصياتها وسموا ذلك بعلم الفرائض مما يرتبط بمختلف طبقات الوراث وأنصبتهم، وقد ألف جمع منهم كتباً خاصة ب (آيات الأحكام) وهي خمسمائة آية بل أكثر.

وعلماء الأدعية: ذكروا أدعية القرآن الحكيم وهي كثيرة، مع الشؤون المرتبطة بهذه الأدعية الواردة في الكتاب العزيز.

وجماعة تخصصوا بذكر قصص القرآن عن القرون السابقة والأمم البالية ونقل أخبارهم، وذكروا ما يتعلق بابتداء الكون والدنيا وبدايات الأشياء.

ص: 453

1- وهي: البرهان، الجدل، الخطابة، الشعر، المغالطة.

2- أي الأدلة والحجج والبراهين المستفادة من القرآن.

واستفاد المؤرخون منه مباحث كثيرة في كتاباتهم، واستفاد منه البعض في علم فلسفة التاريخ.

وقامت جماعة باقتباس الأمثال والحكم والمواعظ والعبر والترغيب والترهيب من القرآن الحكيم، وتطرقوا للوعد والوعيد، والتشويق والتحذير، والموت والنشر، والمعاد والحشر، والحساب والعقاب، والجنة والنار، والميزان والبرزخ وما أشبه ذلك من الروادع والزواجر مما يفيد أهل الوعظ والإرشاد والخطباء لتوجيه الناس إلى الله والدين والخير والآخرة.

كما أن جماعة من المعبرين للرؤيا استفادوا من القرآن الحكيم إشارات وعلامات، بالتأمل في أغوار قصة يوسف (عليه السلام) والبقرات السمان(1)..

ورؤيا صاحبي السجن(2)..

ورؤيا إبراهيم (عليه السلام)(3)..

ص: 454

1- إشارة إلى قوله تعالى: «وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِيَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ» سورة يوسف: 43 . وقوله تعالى: «يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِيَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ» سورة يوسف: 46.

2- إشارة إلى قوله تعالى: «وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِينًا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» سورة يوسف: 36. وقوله تعالى: «يَا صَاحِبِ السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسَّ قِي رَبِّهِ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضَيَّي الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ» سورة يوسف: 41.

3- إشارة إلى قوله تعالى: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» سورة الصافات: 102 .

.....
ورؤيا النبي (صلى الله عليه وآله) (1)..

ورؤيا المسلمين في قصة بدر (2)، وما أشبه ذلك.

وعلماء الفلك: استخرجوا من القرآن الحكيم ما يرتبط بعلمهم من المواقيت، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبروج ونحوها، كما يشاهد ذلك في المراصد والاسطرلابات والكتب المعنية بهذا الشأن.

والشعراء والكتّاب: استفادوا من القرآن الحكيم في جمال اللفظ وبديع النظم وحسن السياق، والمبادئ والمقاطع، والمطالع والمخارج، والتلون في الخطاب، والإسناد والإيجاز، وغير ذلك مما يرتبط بعلوم البلاغة من المعاني والبيان والبديع على مختلف شؤونها وشجونها (3).

وعلماء المناظرة: استفادوا من القرآن الحكيم أسلوب الحوار والجدال، وذلك من مخاطبة الله سبحانه وتعالى مع الناس أو الملائكة أو الجن، وكذلك في حوار الأنبياء (عليهم السلام) مع الأمم وغير ذلك مما يعلم أسلوب البيان والمحاورات للمنصف والمجادل وغير ذلك.

هذا بالإضافة إلى أنه يمكن الاستفادة من كثير من آيات القرآن الحكيم في علم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والحقوق والإدارة وغيرها،

ص: 455

1- إشارة إلى قوله تعالى: «لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسَاجِدَ الْحَرَامَ إِذَا شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا» سورة الفتح: 27.

2- إشارة إلى قوله تعالى: «إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا - وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَسْتَهُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» سورة الأنفال: 43.

3- راجع كتاب البلاغة للإمام المؤلف (قدس سره).

وقد استفاد عدد من العلماء من بعضها في تلك العلوم(1). إضافة إلى علوم أخرى كعلم طبقات الأرض، وعلم وظائف الأعضاء والعلوم التي ترتبط بشتى الصناعات وغيرها.

وفيه بحوث وإشارات إلى شتى أصناف المخلوقات المادية والمجردة، وقد قال سبحانه: «مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»(2)، فإنه تعالى لم يفرط في الكتاب التكويني شيئاً قابلاً للخلق، كما أنه لم يفرط في الكتاب التشريعي شيئاً مرتبطاً بشؤون الإنسان.

وإننا لم نقصد مما ذكرنا هنا إلا الإلماع؛ لأن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ذكرت هنا آية قرآنية كريمة كشاهد على كلامها.

والآلة التفصيل يحتاج إلى مجلد ضخم مما هو خارج عن مبحث هذا الكتاب.

ص: 456

1- راجع موسوعة الفقه: (الفقه: علم النفس)، و(الفقه: الاجتماع)، و(الفقه: الاقتصاد)، و(الفقه: السياسة)، و(الفقه: القانون)، و(الفقه: الحقوق)، و(الفقه: الإدارة)، للإمام المؤلف (قدس سره).

2- سورة الأنعام: 38.

إطاعة الباري تعالى

مسألة: تجب إطاعة الله تعالى (1) والاهتمام بأوامره ونواهيه وتحريم المعصية. قال سبحانه: «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» (2).

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَتَوَلَّوْا عَنَّا» (3).

وقال (عليه السلام): «أطيعوا الله حسب ما أمركم به رسله» (4).

وقال (عليه السلام): «جمال العبد الطاعة» (5). وقال (عليه السلام): «العزير من اعتر بطاعة الله» (6).

هذا بالنسبة إلى الواجب فعلاً أو تركاً، وكذلك طاعة الله سبحانه وتعالى في القسم الراجح فعلاً وتركاً - وهي واجبة إن كان المقصود بها الالتزام باستحباب المستحب وكراهة المكروه، ومستحب إن كان المراد بها الامتثال

ص: 457

1- هذا الوجوب عقلي وفطري، والأمر هنا إرشادي.

2- سورة آل عمران: 32.

3- سورة الأنفال: 20.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 183 ق 2 ب 2 ف 1 الترغيب في الطاعة ح 3471.

5- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 181 ق 2 ب 2 ف 1 فضيلة طاعة الله تعالى ح 3395.

6- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 184 ق 2 ب 2 ف 1 الطاعة عز ونصر وسلم ح 3495.

العملي للأوامر الاستجابية - بل تجري الطاعة في المباح(1) أيضاً، فإن المباح الأصلي غير المباح بعد التشريع، فلا يقال: إنه باق على الإباحة فليس بحكم شرعي(2) فتكون الأحكام حينئذ أربعة فقط، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في بعض كتبنا الأصولية.

وعلى هذا فإن «فيما أمركم به ونهاكم عنه» يكون تأكيداً لهذين المصداقين من الإطاعة وليس حصراً، وإن استشم منه عرفاً ذلك - فتأمل.

قولها (صلوات الله عليها): «وأطيعوا» تأكيد لما سبق، وتصريح بكل ما وجب وحرّم، وشرح ل «اتقوا الله».

ص: 458

1- الإطاعة في المباح هي الالتزام بإباحته.

2- الإباحة مجعولة وليست عبارة عن عدم الجعل، فلنا حكم بالإباحة لا مجرد عدم الحكم بالحرمة والوجوب.

فإنه «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»(1).

الخشية من الله

مسألة: ينبغي إشراب الجنان الخشية من الله تعالى وقد تجب كل في مورده؛ لأن الخشية التي تصدّ الإنسان عن المعاصي واجبة، أما الخشية التي تدفع الإنسان نحو إتيان المستحبات وترك المكروهات فهي مستحبة شرعاً.

ومع قطع النظر عن جانب (المقدمية) فإنها في حد ذاتها حالة مطلوبة وصفة إيجابية وميزة متميزة للمؤمن، قال سبحانه: «فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ»(2).

ومن الواضح أن العلماء بالله سبحانه وتعالى هم الذين يخشون، أما الجاهل بالله سبحانه وتعالى فلا يخشاه، مثله - ولا مناقشة في المثال - مثل الجاهل بكون هذا أسداً أو أن الأسد مما يخاف منه فإنه لا يتجنبه، كما هو شأن الأطفال والمجانين ونحوهما، ولذا قال الرسول (صلى الله عليه وآله): «إن المجنون حق المجنون: المتبختر في مشيته، الناظر في عطفه، المحرك جنبيه بمنكبيه»(3)، وأما المجنون - عرفاً - الذي يقابل العاقل فقد قال (صلى الله عليه وآله) عنه: «وهذا المبتلى»(4).

ص: 459

1- سورة فاطر: 28

2- سورة المائدة: 44.

3- وسائل الشيعة: ج5 ص43 ب23 ح5854.

4- وسائل الشيعة: ج5 ص43 ب23 ح5854.

وذلك أن العقل من العقل (1)، فهو تلك القوة التي تردع الإنسان عن ارتكاب الضار والتقحم في الهلكات والإتيان بما لا يلائم، والمجنون هو الذي يقدم على الضار ويقتحم الهلكات دون سبب أو يأتي بغير الملائم من دون وجه، وأي جنون أعظم من ارتكاب معصية الله؟ وأي جنون أكبر من التمهيد لدخول النار؟ أو الفوز بسخط الجبار؟، قال تعالى: «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» (2).

فأشارت (عليها السلام) إلى أهمية الخشية ولزومه، قال علي (عليه السلام): «سبب الخشية العلم» (3). وقال (عليه السلام): «الخشية ميراث العلم» (4).

وقال (عليه السلام): «غاية المعرفة الخشية» (5).

وقال (عليه السلام): «كان فيما أوحى الله تعالى جل ذكره إلى عيسى (عليه السلام): هب لي من عينيك الدموع، ومن قلبك الخشية، وأكحل عينيك بميل الحزن» (6).

ص: 460

1- راجع (لسان العرب: ج 11 ص 458 مادة عقل) وفيه: عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه. وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، أخذ من قولهم: قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع من الكلام... العقل عقلاً: لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه... واعتقل حبس... وأصل العقل مصدر عقلت البعير بالعقال أعقله عقلاً، وهو حبل تشني به يد البعير إلى ركبته فتشد به.

2- سورة الأحزاب: 36.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 63 ق 1 ب 1 ف 11 الخشية غاية المعرفة ح 787.

4- بحار الأنوار: ج 2 ص 52 ب 11 ح 18.

5- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 63 ق 1 ب 1 ف 11 الخشية غاية المعرفة ح 788.

6- راجع مستدرک الوسائل: ج 11 ص 243 ب 15 ح 12874.

التنويه بمكانة العلماء

مسألة: تنبغي الإشارة تلميحاً أو تصريحاً بميزة ومكانة العلماء، وصفاتهم ومسؤولياتهم، وبيان أهمية العلم والعلماء في منظار الإسلام.

قال سبحانه: «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» (1).

وقال تعالى: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن العلماء ورثة الأنبياء» (3).

وقال (عليه السلام): «العلماء باقون ما بقي الدهر» (4).

وقال (عليه السلام): «أشرف الناس العلماء» (5).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «فنحن العلماء» (6).

وذلك كله بالنسبة إلى العلوم الحقيقية، أما العلم المنحرف والعالم المنحرف فالأول باطل أو من مصاديق الجهل، والثاني ضالّ مضلّ كما في الحديث: «إذا فسد العالم فسد العالم».

ص: 461

1- سورة المجادلة: 11.

2- سورة الزمر: 9.

3- الكافي: ج 1 ص 34 باب ثواب العالم والمتعلم ح 1.

4- نهج البلاغة، قصار الحكم: 147.

5- إرشاد القلوب: ص 198 ب 53.

6- الكافي: ج 1 ص 34 باب أصناف الناس ح 4.

قال (صلى الله عليه وآله): «العلماء رجلا ن: رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج، ورجل عالم تارك لعلمه فهذا هالك، وإن أهل النار ليتأذون بريح العالم التارك لعلمه»(1).

قولها (سلام الله عليها): «فإنه إنما يخشى» لعلّ وجه الترابط(2) هو: إنكم حيث كنتم علماء بهذه الأمور التي ذكرتها فاللزام عليكم الخشية من الله تعالى والتي تتجلى في إتباع أوامره والارتداع عن نواهيهِ. والمراد بالعلماء: العلماء بالله وصفاته وأفعاله لمناسبة الحكم والموضوع، فإن الحكم يضيق ويوسع الموضوع، كما أن عكسه أيضاً صحيح، على ما ذكرناه في (الأصول).

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

1414هـ

ص: 462

1- غوالي اللاكي: ج 4 ص 76 الخاتمة الجملة الثانية ح 62.

2- حيث إنها (عليها السلام) عللت «أطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه» ب «فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء».

إلى هنا تم بحمد الله تعالى

المجلد الثاني من فقه الزهراء (عليها السلام)

وقد اشتمل على القسم الأول من الخطبة الشريفة

وسياتي بعده المجلد الثالث (وهو القسم الثاني من الخطبة)

ويبدأ بقولها (عليها السلام): ثم قالت: «أيها الناس اعلموا أنني فاطمة».

نسأل الله سبحانه التوفيق والقبول

الناشر

ص: 463

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

